

علم القلوب

تأليف

أبي طالب المكي

محمد بن علي بن عطية الحارثي

المتوفى ٢٨٦ هـ

محققه رعايه عليه

عبد القادر أحمد عطا



الروشن للطباعة والتصوير
(05401585) (777605154)

حضر موت - سيون

أبو طالس المكي

علم القلوب

حققه وعلق حواشيه وقدمه

عبد الفادرأحمد عطا

الناشر

مكتبة القاهرة

لصاحبها، على يوسف سليمان
شارع الصناديق، ميدان الأزهر بمصر

الطبعة الأولى
١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م

شركة الطباعة الفنية المتحدة
١٠ شارع المستعلى بالله / بالدراسة

إهداء متواضع إلى الإمام الذي وجهتني أنفاسه السامية نحو
المعرفة الإلهية .

إلى بقية السلف الصالح . سيد العلماء وقدوة المحققين أستاذي
الحبيب . سيدي الأستاذ الشيخ :

مصطفى عبد الخالق الشبراوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التقديم

هذا الكتاب :

هذا الكتاب الذى نقدمه إلى القراء مغتبطين ، هو كتاب «علم القلوب» لأبى طالب محمد بن على بن عطية الحارثى المكي . صاحب «قوت القلوب» المشهور ، الذى يعتبر مع كتابنا هذا من أسس السلوك الدينى القويم الذى نحتاج إليه فى تصحيح الأعمال والنيات والعقائد . ويوقفنا على دسائس النفوس ومكائد الشيطان حتى يتضح السبيل ويستنير الطريق .

وعلم القلوب من مخطوطات دار الكتب المصرية ، تحت رقم ١١٣ تصوف . ويقع فى ٢١٥ صحيفة ، ومسطرتها ١٩ سطراً ، وقد كتب بخط نسخى جميل ولكنه كثير التحريف والاضطراب حيث أسقط ناسخه بعض الكلمات ، والتزم فيه تذكير المؤنث وتأنيث المذكر ولم يكن دقيقاً فى رعاية قواعد اللغة العربية ، وقد اضطرننا إلى إضافة بعض الكلمات التى يستقيم بها المعنى وجعلناها بين علامتين هكذا [] كما اضطرننا إلى تغيير بعض الكلمات لتقويم المعنى كذلك أو لتصحيح الأسلوب ، ونهنا على ذلك فى التعليق ، وصحيفة العنوان بخط الناسخ ، وعليها خطوط تثبت ملكيته لأناس مختلفين^(١) . كما تثبت تواريخ ميلاد ووفاة بعض علماء التصوف

(١) رستم أحمد الثروانى والسيد عمر بن السيد محمد والسيد زين العابدين فى ذى القعدة سنة ١١٤٣ هـ . ويوسف زاده يوسف

المشهورين^(١) ، وقد أثبت على صحيفته العنوان كذلك أن الكتاب . قد أحضر من جامع مولانا الإمام الحسين^(٢) .

وليس للكتاب نسخة ثانية في أى فرع من فروع دار الكتب . وتوجد له نسخة ثانية ، في الاسكوريال ، وعلى هامش النسخة المصرية تعليقات بخط ردى . لا تخرج عن شرح الكلمات اللغوية شرحا وافيا ، وليس عليها ما يدل على تاريخ نسخها ، ولكن نوع الحبر والورق وطريقة الترقيم والرسم كل ذلك يدل على أنه كتب على الأرجح في القرن السابع الهجرى وعلى المرجوح في القرن الثامن . وليس للكتاب مقدمة إلا حمد الله والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم . وليس ذلك بدعا بين المؤلفات التى كتبها الكبار من أهل المشاهدات والأذواق فى القرون الأولى للهجرة ، وقد اكتفى المؤلف فى كتابه « قوت القلوب » الذى يكبر علم القلوب حجما بمقدمة قصيرة أعقبها بفهارس كتابه ، فلا غرابة فى منهج المؤلف من هذه الناحية .

منهج الكتاب ومزاياه : —

بحث المؤلف فى كتابه الموضوعات الآتية :

- ١ — ماهية الحكمة وعظم قدرها ومن المستحق لبذل الحكمة وشرفها
- ٢ — الفرق بين الحكمة والعلم والحكيم والعلماء .
- ٣ — معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم . طلب العلم فريضة على كل مسلم .
- ٤ — بيان التوحيد والتفريد على لسان أهل الإشارة من العارف والمريد .

- ٥ — وصف العارفين الذين وصفهم المعروف بالصفاء واليقين .
- ٦ — صفة الإخلاص وطبقات المخلصين بالقلب .
- ٧ — حكم النية فى الأعمال ومعرفة دقائق العلل وغوامض الآفات .

(١) محي الدين بن عربى والسهروردى وأبو طالب المكي

(٢) مكتوب على الوجه محضر من سيدنا الحسين فى ماه « مارت أى شهر مارس

٨ — تصريف العقائد والأعمال وتحصيل نيات كثيرة في محل واحد .

٩ — نية الاختلاف في المساجد .

١٠ — النية في جلوس العبد في المساجد والقعود فيها .

١١ — النية في التجوع لله .

١٢ — النية في زيارة الإخوان .

١٣ — النية في الصوم .

١٤ — صفة علامة المؤمن وصفة وصف النحل في الطيران .

١٥ — تفصيل الخصال المجتمعات في النحلة الموجود مثلها وشبهها

في المؤمن .

وهي موضوعات تتفق مع عنوان الكتاب ، فهي تبحت عن عمل القلب ودوره في تصحيح أعمال الجوارح أو عن العمل القلبي المحض الذي لا يتصل بالجوارح كالتوحيد والتفريد والحكمة والعلم ، وقد استغرقت النية والإخلاص نصف الكتاب تقريبا ولذلك يعتبر الكتاب من أهم المراجع في هذا الباب وأوسعها .

وقد عمد المؤلف إلى التوسع في نقل أقوال كبار الزهاد والصوفية المعتدلين ، ورتب هذه النقول ترتيبا دقيقا بحيث تتساند كلها في وحدة وترابط لتلم بالموضوع من جميع أطرافه ولا تدع لسائل بعد ذلك سؤالا ولا تترك فجوة في الباب دون بحث وإسهاب ولم يكن عمل المؤلف قاصرا على جمع أقوال العلماء فحسب ولكنه يوضح رأيه الخاص في كل موضوع مشيراً إلى ذلك بقوله ، قال أبو طالب المكي رحمه الله ، وهو مع كل ذلك يعرض علينا في كل موضوع ما يناسب المبتدى والمتوسط والمنتهى ويعنى برسم المثل العليا التي يصعب على كثير من الناس تطبيقها والعمل بها ، وينبه على الأخطاء التي يقع فيها كثير من المعتقدين والعاملين لله ، كما يقف طويلا عند كل ما يوهم الحلول والاتحاد والتشبيه فيوسعه بحثا وتنبيها على الخطر الجاثم من خلفه .

وليست الكتب التي تعتمد على النقول سهلة التصنيف إذ يقل فيها التوفيق والنجاح كثيرا إذا خلط مؤلفوها في نقولهم وحشدها دون تذوق ولا ترتيب ولا انتقاء ، ولكن مؤلفنا كان بارعا في عرض نقوله وتنميقها حتى استرعت القلوب والأنظار والأذواق بجمال عرضها وجودة انتقائها وتسلسل أفكارها في باقات منسجمة الألوان رائعة الجمال ...

وللكتاب مزايا كثيرة يكاد ينفرد ببعضها . ويشترك في باقيها مع غيره من المؤلفين وإن كان ينفرد كذلك باستيعاب الموضوع وجودة الاختيار ويمكن تلخيص تلك المزايا فيما يلي :

١ - يفتح أمام الباحثين مجالات البحث حيث يهيء لهم التأليف في كل موضوع من موضوعات الكتاب بالاستعانة بقليل من المراجع كتباً مستقلة يمكن السير فيها على نهج جديد يتفق مع الكشوفات العلمية الحديثة .

٢ - يمكن التعرف من خلال نقوله الكثيرة التي نقلها عن كبار الصوفية والزهاد والعباد على كثير من شخصياتهم التي تسحق الظهور في رسائل مستقلة توضح مذاهبهم وآراءهم بالاستعانة ببعض المراجع . كذلك ، ومن أمثال هؤلاء ، الشبلي ، ويحيى بن معاذ الرازي ، والحسين بن منصور الحلاج وأبو سليمان الداراني وأبو العباس الزرني ، وإبراهيم بن أدهم وذود النون المصري ، وأبو سعيد النيسابوري وغيرهم . من الأعلام الذين لهم في مجال البحث السلوكي في الإسلام أقدام راسخة . حيث قدم قدرا كبيرا من أقوالهم في كل باب من أبواب الكتاب .

٣ - لاخير في حفظ القواعد الشرعية ، ومعرفة أحكام العبادات إذا لم يصحب ذلك تصحيح للعمل به ، وإحراز كثير من الخير منه أو إخلاصه لله وحده دون نظر إلى دنيا ولا إلى عقبى . وهو ما جهد المؤلف في بيانه حتى جاء من أوفى الكتب إن لم يكن أوفاهما في هذا الباب .

٤ - يفتح آفاقا جديدة في القرآن وتفسير أسرارهِ ومقارنته بالآيات الكونية في الآفاق والأنفس وقد أعطانا المؤلف مفتاح هذا العمل الجليل

في حديثه عن صفات النحل وصفات المؤمنين وتوافقهما في أربعين وجها جعلها بيانا لقوله تعالى : « وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر » وتوضيحا لسر إichاء الله إلى النحل من دون أنواع الطير وهو نهج جميل نرجو أن يفتح أعين العلماء على كثير من الأسرار المبثوثة في القرآن الكريم وعلى نظائرها في الآفاق والأنفس .

مؤلف الكتاب :

هو محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي ويكنى أبا طالب . وهو من أهل الجبل ونشأ بمكة .. وتجمع المراجع على أنه كان صاحب رياضات ومجاهدات عنيفة منها أنه ترك الطعام زمانا واقتصر على الحشائش المباحة حتى اخضر جلده من كثرة تناولها . ومهما كان الاعتراض على هذا الخبر فإن شيئا واحدا لا يمكن الاعتراض عليه هو دلالة الخبر على غرابة الرجل في جهاده لنفسه وكفاحه لشهواتها وصدقه في ذلك ، وشهرته به حتى تناقل الناس عنه القصص الصحيحة وغير الصحيحة على السواء ، وتقول بعض المراجع إنه كان في نهايته صاحب أسرار ومشاهدة . وهذا الكتاب الذي بين أيدينا إحدى ثمرات هذه المرحلة من حياته مرحلة الأسرار والمشاهدة ويدل على ذلك ما تراه في أنحاء الكتاب من هذا اللون كثيرا . أما قوت القلوب فيغلب أنه ألف قبل هذا الكتاب لأنه يميل نحو المجاهدات والرياضات .

وكان المكي واعظاً ولم يكن شيخاً للطريق ويروى أنه خلط في كلامه فهجره الناس وابتعدوا عنه ونسبوه إلى البدع فامتنع هو عن الوعظ وتروى جميع المراجع أن له مصنفات في التوحيد بعد أن تذكر له قوت القلوب ولم يعلم من هذه المصنفات إلا هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، وقد لقي كثيراً من الصوفية ولكنه تلمذ على أبي الحسن بن سالم البصري شيخ السالمية بعد موته وحين دخل بغداد بعد ذلك . وبقي بها إلى أن هجره الناس ومات سنة ٣٨٦ هجرية ودفن هناك وقبره ظاهر يزار .

لماذا هجره الناس :

يروى صاحب تاريخ بغداد أن للمكي في القوت أقوالاً مستبدشة في الصفات وينقل عنه أنه قال « ليس على المخلوقين أضر من الخالق » وتوافقه المراجع في هذا النقل . وقد ذكر عن الشبلي في هذا الكتاب الذي بين أيدينا قوله « إلهي كنت أتمنى معرفتك فلما عرفتك وقع اسمي في ديوانك ولا يمكنني الهرب فلا أستطيع المكث مع الله وليتني لم أعرفك » وقد ردونا على ذلك في موضعه من التعليق وقد ذكر في كتبه قليلاً من الروايات الإسرائيلية ذات الدلالة على قيمة المثل العليا للأخلاق الدينية ، وإن كان تفاصيلها بعيدة عن الصدق .

أما روايته عن الشبلي ، فهي تعبير المبتدئ حينما يجد نفسه مأخوذاً بنظام دقيق في السلوك ، ومهما كان في العبارة إن صحت عن الشبلي من خطأ في التعبير فهي نقل ، وليس على المكي فيها سبيل إلا سبيل النقل فحسب ولا يطعن ذلك في عقيدته ولا في سلوكه لا سيما وأن جميع المراجع تذكر أنه كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة ويذكر اليافعي في مرآة الجفان أن له لساناً حلواً في التصوف ويصفه بأنه قدوة الأولياء السكرام .

أما العبارة الأولى : فمن الذي ينكر مدلولها ؟ وهل يضر الإنسان شيء في الحياة غير خالقه ؟ وهل يعرضه للضرر سوى تصدية لمعرفة الله وادعاء تلك المعرفة دون استعداد لها ؟ وهل يمحق العمل الصالح سوى هفوه من هفوات المعرفة الإلهية فإذا كان رفع الصوت في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم والجهر له بالقول كجهر بعضنا لبعض يحبط الأعمال دون أن نشعر بما بالك بمثل هذه الهفوات من هفوات نسمعها دائماً في الطرقات والبيوت اعتراضاً على قضاء الله مرة وتصحيحاً لأحكامه مرة أخرى ورفعاً للصوت والرأي في حضرته وغير ذلك . فهل رأيت يا أخى أضر على المخلوقين من عدم الأدب في معرفة الخالق وليس بين التعبيرين فرق إلا ما في الأول من الاختزال وما في الثاني من التوضيح .

وليس المكي وحده هو الذي أصابته سهام الناس من بين رجال الدين فقد تعود بعض الناس أن ينكروا ما لم يألوه من مسائل العلم إنكاراً كاملاً لا مظنه فيه للحق ولا للتعديل وتعود بعضهم الآخر أن يتوقف فيما لم يألّف من تلك المسائل فلا يقطع فيها بحكم بل يسلم أمر عليها لله وهذا النوع الثاني أقرب إلى الصواب من سابقه فهو لا يهدم جازماً بالخطأ بل يترك ما لا يناسب مداركه إلى من يناسب مداركهم .

والناس لا يضعون الألفاظ إلا لما عرفوه من الأشياء وألفوه حتى من فنون المعرفة . أما ما لم يعرفوه وما لم يصلوا إليه من فنون العلم فلم يضعوا له ألفاظاً تدل على معناه وحينما ترتقى مدارك إنسان ما حتى يحلق في آفاق المجهول غير المنظور ، فإنه يقع في دوامة الحيرة لا يستطيع التعبير عما شهد من جديد في العلم والمعرفة ، ولا يجد من يشاركه في نفس المشاهدة إلا القليل فإما أن يرجع إلى ما وضعه سابقوه لهذا اللون من المعرفة من ألفاظ يعبر بها عن معناه وإما أن يضع هو ألفاظاً يعبر بها ومشاهدته لا تكون غريبة عنه ولكنها تكون غاية في القرابة عند غيره من الناس حتى تصل عندهم إلى مظنة الاتهام .

ومهما يكن من أمر فإن دراسة كتب السلوك الديني لازمة لكل الناس يأخذ المحققون منها حاجتهم من الحقائق وغير ، المحققين لهم فيها الملاذ من القلق والاضطراب ولهم فيها اليقين الذي فقدوه بين أمواج الزخرف والزينة والتسكاثر ولهم فيها الإخلاص الذي لا بد منه ولهم فيها راحة الأرواح إلى الحائرة وضابط العقول الناقرة ، وتصحيح الأعمال وإصابة الخير الكثير بعمل واحد أما المتجردون لله بأعمالهم فلمهم فيها ميزان تجردهم وضوابط مثابهم العليا حيث يسلك في هذا المسلك أفراد في العالم كانوا عجيبة الأهاجيب أمام الذين لم يألوا هذا السلوك من الناس .

وبعد :

فهذا كتابنا الذي نقدمه اليوم نرجوا أن يقع خالصا لله تعالى كما أرجوا
أن يكون التقصير في إعداده مدعاة للدعاء لي بالتوفيق في المرات التالية
وأدعو الله أن يجعل نفعه عاما للمسلمين . وسنحقق نسبته إلى مؤلفه في نهايته

وأقدم بالشكر لمن قدم لي عوناً في تحقيقه ولا سيما :

الدكتورة فائزة كمال الدين والأستاذ فؤاد السيد والأستاذ محمد شلبي
والأستاذ السيد عشاوى والأستاذ عبد الفتاح الملاح
والأستاذ أمين خورشيد

الذين يقدمون للجميع في قسم المخطوطات بدار الكتب خدمات تجل
عن الوصف نفهمهم الله ونفع بهم إنه سميع مجيب .

علم القلوب

لأبي طالب المكي

محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي

المتوفى سنة ٣٥٨ هـ

حققه وعلق حواشيه وقدمه

عبد القادر أحمد عطا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي وآله أجمعين .

باب ماهية الحكمة وعظم قدرها ومن المستحق لبذل الحكمة وشرفها

قوله جل جلالته « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيراً كثيراً » ونحن نذكر قبل تفسير هذه الآية ما أودع الله فيه من
لطيف الحكمة ، وذلك أن الله جل ثناؤه ، أعطى النبوة والرسالة
للخصوص من أهل الصفوة ، وختم ذلك بنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم
فأغلق باب الرسالة والنبوة ، فلم يكن لأحد أن يدعى ذلك بعده وأعطى
الحكمة نعمان عليه السلام ، ثم جعل بابها^(١) مفتوحاً إلى يوم القيامة بلا
توقيف ولا تحديد .

وقد استثنى الله عز وجل في عشرة أنواع من فواضل عطائه ، وذكر ذلك
في محكم كتابه ، قواً بهم ذلك في مشيئته ، يعطى ذلك من يشاء من خواص
عباده ، ويمنع^[هـ] عن يشاء ممن لا يرضاهم لودادة وقطع في شيتين ولم يستثن
فيهما^(٢) ، فصار حتماً على الله لأهل الصفوة من خلقه .

فأما الأنواع المستثنى فيهن ، [فأولها^(٣) إعطاء الحكمة للحكام ،

(١) في الأصل « باب » . (٢) في الأصل « فيه » .

(٣) في الأصل « أوله » .

قال الله تعالى : « يؤتي الحكمة من يشاء » فاطلبوها ^(١) بالجوع والظما .
 الثاني ، الملك ، قال الله سبحانه « والله يؤتي ملكه من يشاء » فاطلبوه ^(٢)
 بالتواضع والحياء . الثالث : الرحمة . قال الله عز من قائل « يختص برحمته
 من يشاء » فاطلبوها ^(٣) بالتضرع والبكاء . الرابع الغنى : قال الله تعالى
 « وإن خفتهم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » فاطلبوه بالشكر والرضا .
 والخامس : الإجابة . قال الله تعالى في مجمل كتابه : « فيكشف ما تدعون
 إليه إن شاء » فاطلبوها ^(٤) بدوام التبصيص ^(٥) . والسادس : التوبة قال الله
 تعالى غافر الحربة ^(٦) « ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء » فاطلبوها
 بملازمة الطاعة والتضرع والدعاء . السابع : الرزق . قال الله عز و علا :
 يرزق من يشاء بغير حساب « فاطلبوه بملازمة الطاعة والتقوى . الثامن المغفرة
 قال الله جل جلاله : « يغفر لمن يشاء » فاطلبوها بلزوم الخوف والرجاء
 التاسع : الهداية . قال الله تبارك وتعالى « ويهدي من يشاء إلى صراط
 مستقيم » فاطلبوها بحفظ العهد والوفاء . العاشر : ترفيع الدرجات وإعطاء
 الكرامات قال الله جل ذكره « نرفع درجات من نشاء » فاطلبوه بالكد
 والجهد والعناء . ثم قال في إعطاء الحكمة : « [ومن يؤت الحكمة] فقد
 أوتي خيرا كثيرا ، ولم يقل [ذلك] في شيء من هذه الأنواع المذكورة
 تعظيما لمحل الحكمة ، فتدبر لطيف الخطاب تقف على الصواب . ثم حتم الله
 بالمزيد للشاكرين وبالنذكر للذاكرين وقطع ذلك إيجابا ولم يستثن فقال في
 الشكر « لئن شكرتم لأزيدنكم » قال بعضهم لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم

(١) في الأصل « فاطلبوه » .

(٢) في الأصل « فاطلبوها » .

(٣) في الأصل « فاطلبوه » .

(٤) في الأصل « فاطلبوه » .

(٥) التبصيص التحير .

(٦) الحوبة الاثم

طاعتي ، ولئن شكرتم طاعتي لأزيدنكم خلوتي ، ولئن شكرتم خلوتي (١)
لأزيدنكم محبتي ، ولئن شكرتم محبتي لأزيدنكم مودتي ، ولئن شكرتم
مودتي لأزيدنكم قربتي ، ولئن شكرتم قربتي لأزيدنكم الغنى ، ولئن
شكرتم الغنى لأزيدنكم معرفتي ، ولئن شكرتم معرفتي لأزيدنكم رؤيتي
ووصالي ، فزيادة كل مقام بمقدار ذلك المقام . وقال بعضهم : لئن شكرتم
الفقر لأزيدنكم فقرا على فقر (٢) ، ولئن شكرتم البلاء لأزيدنكم بلاء على
بلاء وقال غيرهم (٣) : لئن شكرتم الإسلام لأزيدنكم الإيمان ولئن شكرتم
الإيمان لأزيدنكم الإحسان ، ولئن شكرتم الإحسان لأزيدنكم العرفان ،
فالشكر في مزيد ، والشكر في مزيد المزيد ، والشكر في نهاية المزيد :
ولهذا الفصل شرح طويل ، والعارف يجتزئ من القليل بالكثير .

قال أبو طالب محمد بن عطية المكي في كتابه المترجم بقوت القلوب قال (٤)
فيه : والمزيد هو إلى المنعم تجعله ما يشاء فيما يشاء مهما يشاء كيف يشاء .
وقد يكون المزيد أحوالا وأفعالا ، ويكون أخلاقا . ويكون صفات (٥) ،
ويكون ذاتا ، ويكون علوما ، ويكون فهوما ويكون معجلا ويكون مؤجلا
ويكون عند فراق الدنيا ويكون في الآخرة . [و] كما قطع الله تعالى بالمزيد

(١) أي خلوتكم معي في الذكر وليس المراد الخلوة في الغناء في حب الله لأنه
مرتبة تأتي بعد مرتبة الطاعة والمحبة والمعرفة والفرق بين خلوة الذاكر وخلوة الفاني
أن خلوة الذاكر يلاحظ فيها الذاكر والمذكور وهي مرتبة طلاب الطريق أما خلوة
الفاني فليس فيها ذاكر ولا مذکور وهي مرتبة المرادين من أهل الله .

(٢) المراد بالفقر حاجة العبد إلى الله كل شأن من شئونه وارتباط قلبه بتلك الحاجة

(٣) والبلاء على ثلاثة أنواع . نوع للانتقام وعلامته أن يصحبه ضيق في الصدر
وشكوى للخلق ونوع لتكفير الذنوب وعلامته أن يصحبه ضيق في الصدر من غير شكوى
للخلق ونوع لزيادة الدرجات وعلامته ألا يصحبه ضيق في الصدر ولا شكوى للخلق .

(٤) في الأصل . فقال .

(٥) في الأصل : صفاتا

لأهل الشكر . كذلك قطع أيضا بالذكر منه لأهل الذكر ولم يستثن فيهما ، فقال اذكروني أذكركم : فما من عبد يذكر الله إلا والله يذكره ، فقال بعضهم : اذكروني على وجه الأرض أذكركم في بطن الأرض : كما قيل إن الميت إذا وضع في قبره وانصرف عنه المشيعون من أهله وتركوه وحيدا في لحده . يقول الله عز وجل : ملائكتي . غريب قد نأى عنه الأهلون ، ووحيد قد جفاه الأقربون ؛ قد كان في الدنيا ذا كرا ؛ ثم يقول ؛ عبدى خذوك ؛ عبدى رفضوك ؛ وعزتي وجلالي لأنشرن عليك رحمتي .

وقال بعضهم : اذكروني عند المعصية بحل الإصرار^(١) أذكركم في القيامة عند رؤية النار . كما حكى في الأثر أن الله جل ثناؤه قال في بعض كتبه : عبدى استحي منى عند المعصية أستحي منك عذا يوم القيامة ولا أعذبك بنارى . وقيل . اذكروني وأتم لي أذكركم وأنا لكم كما قيل . إن الله تعالى يقول في بعض أسفار الأنبياء : عبدى أنا لك فأنت لمن ؟ وأنا معك فأنت مع من ؟ . وقيل اذكروني بنسيان غيرى أذكركم وأكشف الحجب [لكم] عن وجهى حتى تنظروا بنورى إلى نورى . وقيل . اذكروني بالقلب والجوارح واللسان أذكركم بالرؤية والجنة والرضوان فذكر اللسان جزاؤه الجنة ، وذكر الجوارح جزاؤه الرضا ؛ وذكر القلب جزاؤه النظر إلى الرب ؛ وقال أبو يزيد البسطامي : العجب ممن يقول ذكرت ربى ؛ وأنا أجتهد على أن أنساه فلا أنساه ثم أنشأ يقول :

الله يعلم أنى لست أذكره وكيف أذكره من لست أنساه
ويقال إن قوما من الفقراء دخلوا على الشبلى فقالوا : ماتقول فى الذكر ؟
فأنشأ يقول :

عجبت لمن يقول ذكرت ربى وهل أنسى فأذكر . ما هويت ؟
ثم قال : الذكر حرفة الغافلين ؛ والزهد حرفة البطالين ؛ والمحاسبة

(١) الإصرار تأكيد العزم على معاودة المعصية .

حرفة المعجبين^(١) ؛ والمشاهدة حرفة المتحققين . قال الشبلي إذا تقلقل القلب بالشوق إلى المذكور ؛ تحرك اللسان بذكر المذكور وقد أحسن القائل حيث يقول :

ذكرتك لا أنى نسيتهك ساعة ولكن بوادى الشوق تبدو فأنطق

وقد أوحى الجليل إلى صاحب الحزن الطويل : يا داود من ذكرنى ذكرته ومن شكرنى أحببته ؛ ومن أحببني قتلتته^(٢) ؛ ومن طلبني أبليتته ؛ ومن عرفني حيرته ، ومن هرب مني أدركته : وقال يحيى بن معاذ رضى الله عنه : إن الله تعالى مقاوِد معاقبة بالعرش بعدد قلوب المؤمنين ؛ لكل قلب مقود ؛ فلا يذكر ذاكر ربه حتى يحرك الرب مقوده . ثم قال : حركة المقود^(٣) هي قبل ذكر الذاكر للرب^(٤) .

فيا بن آدم إن علمت أن ذكر [ك] الله من علامة ذكر الله لك فأكثر ذكرك له . وقال يحيى . عند ذكر الدنيا تموت العقبي . وعند ذكر العقبي تموت الدنيا ؛ وعند ذكر المولى تموت الدنيا مع العقبي فعليك بذكر المولى بوصالك إلى العلا ؛ وقال : ذكر الدنيا داء وذكر الخلق بلاء ، وذكر العقبي دواء ، وذكر المولى شفاء .

وقد ذكر أبو سعيد النيسابورى رحمه الله تفسير هذه الآية فى كتاب ، الإشارة والعبارة من ثلاثين وجها انتقدت منها لبابه ولولا خرف الملاة

(١) المقصود الاعلان بالذكر وبالزهد وبالمحاسبة فالذكر لا يكون إلا بعد غفلة وإعلان الزهد لا يكون إلا بعد بطالة من أمر العبادة وإعلان المحاسبة إعجاب بالعبادة .

(٢) أى من أحب الله قتل فيه نوازع النفس الامارة ومن طلب معرفته الله عرفه الله به عن طريق البلاء الذى يعد النفس لها ومن ادعى المعرفة حيره فى معرفته لان المعرفة هي الحيرة فى المعرفة .

(٣) فى الاصل : هو

(٤) أى من باب قوله تعالى . فتاب عليهم ليتوبوا . وقوله يحبهم ويحبونه فمن علم منه صدق التوجه هيأ له الذكر .

لطولت لك في المقالة . فهذا وجه من الحكمة في ترتيب الآية مما أشرف على فهمه أهل الرعاية والعناية . فأما تفسير الآية . قوله تعالى وجل ذكره « يؤتى الحكمة من يشاء » فلذلك أوجه وهو أربعة عشر وجها من التفسير ، وأنا أبين لك ذلك ^(١) من غير إطالة ولا تقصير ، ولا تعمق ولا تكثير .

قال ابن عباس رضى الله عنه ، الحكمة هي المعرفة بالقرآن ناسخة ^(٢) ومنسوخة ومحكمة ومتشابهة ومقدمة ومؤخرة وحلاله وحرامه وأمثاله .

وقال السدي . الحكمة هي النبوة : قال النبي صلى الله عليه وسلم : كاد الحكيم أن يكون نبيا .

وقيل الحكمة الفراسة : قيل لبعض الحكماء ما الفراسة ؟ قال الإصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن بما كان . كما حكى عن العلوي قال : دخل خارجة بن مصعب ويحيى بن أكرم على الثوري بمكة فرفع رأسه إليهما ثم قال : كأني بأحدكما قاضيا و [ب] بالآخر وزيرا . فولى يحيى القضاء وخارجة الوزارة . وقال أبو بكر ابن زدينار رحمه الله : قد أكثر أهل الخطأ والغلط في تأويل تصحيح الفراسة . والتصحيح من الفراسة نظر الصالح بالصلاح الذي فيه نور التقى والإيمان والحقائق ، والصدق بالزهادة في الدنيا ، والرغبة في العقبى ، فينكر على أهل المنكر منكرهم . وذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : استحي [من] الله كما تستحي [من] رجل صالح ^(٣) من قومك . لم يقل كما تستحي من رجل فاسق ؛ فأراد صلى الله عليه وسلم ألا يكون المؤمنون بتخليقهم بحقائق ^(٤) ما وجب عليهم بحيث يمتثلهم المؤمنون الصالحون ، فما كان

(١) في الاصل بذلك .

(٢) النسخ في اصطلاح الأصوليين من الفقهاء إنهاء حكم شرعى ثبت بنص شرعى وإحلاله حكم آخر بدله بنص شرعى جاء ليلا على انتهاء الحكم الأول والناسخ هو النص الأخير الذي ارتفع الحكم الأول بمقتضاه وهو يلغى النص السابق .

(٣) في الاصل . رجلا صالحا .

(٤) في الاصل « من حقائق » .

غير هذا [من الفراسة] فذاك أجمع وسواس وأوهام وهو أخسها وأهاجيس
نفس في نفس بنفس لنفس . ومن العجب في باب الفراسة ما حكى عن أبي
الحسن العلوي الهمداني قال : اشتريت بطة وجعلتها في التنور ووضعت
تحتها شيئا ، وخرجت إلى جعفر الخلدی ، فلما أردت أن أخرج من عنده
قال لي . أقم عندنا الليلة ، فأبيت وخرجت ، فلما رجعت إلى البيت إذا كلب
قد دخل البيت وحمل البطة ، فقام رجل وعثر به وصبه فيقیت لم آكل من
ذلك لقمة ، فلما كان من الغد دخلت على جعفر الخلدی فقال لي . من خالف
المشايع سلط عليه الكلاب ، وكوشف بالقبايح .

فهذا كما قال الواحد العارف :

يشق الخلق لا تخطى فراسته كأنه في قلوب الخلق جاسوس

قال : والفراسة لا تعطى إلا لأهل الصدق والسياسة ، وأرباب الورع
والحراسة ، كما حكى عن الأحنف بن إسماعيل عن النون بن إبراهيم المصري رحمة
الله عليه أنه قال : حرم الله ثلاثا على ثلاث . الزيادة في الدين ، والإلهام في
القلب ، والفراسة في الخلق ؛ على كل بخيل بدينه . سخي بدينه . سيء
الخلق مع ربه ؛ فقال رجل ممن حضر . بخيل بالدين عرفناه . سخي بالدين
علمناه . صف لناسي الخلق مع الله قال . نعم . يقضي الله قضاء . وينفذ علما .
ويختار لغيره أمرا فترى صاحب سوء^(١) الخلق مع الله تعالى مضطرب القلب
في ذلك . غير راجع إليه ولا راض به . دائما يشكوه إلى خلقه فما ظنك به ؟
وقيل . الحكمة . العقل وكذلك حكى في التفسير عن ابن عباس
في معنى قوله . . وآتيناه الحكم صبيا^(٢) . يعني العقل . فمن عقله رده على
الصبين حين قالوا له : تعال نلعب : فقال . ما للعب خلقنا وبمثلنا جاء في
تفسير قوله جل وعلا « ولقد آتينا لقمان الحكمة » قيل العقل قال وهب

(١) في الاصيل « سيء » .

(٢) المراد بالآية « يحيى بن زكريا » ويعرف في كتب العهد القديم والجديد
« يوحنا المعمدان » .

ابن منبه . يقاس عقل لقمان يوم القيامة بعقول مائة ألف عاقل من الصديقين والشهداء والصالحين فيكون عقل لقمان أفضل من عقولهم أجمعين . قيل له من أعقل الناس ؟ قال محسن يخاف الله . قيل فمن أحق الناس ؟ قال مسمى يأمن مكر الله . وقيل للأحنف بن قيس متى عقلت ؟ قيل يوم (١) ولدت قيل وكيف ؟ قال . منعت الثدي فبكيت فلما أعطيت سكت . وقيل لعبد الملك من العاقل ؟ قال الذي لا يقدم على ما يندم [عليه] . وعن كعب قال . لو أن رجلا وافى يوم القيامة بحسنات تزن جبال الدنيا لم يعدل ذلك مثقال ذره إذا كان لا عقل له . ومن كان عاقلا وصل إلى الجنة بمثقال ذرة حسنة . قيل له ومن العاقل ؟ قال الزاهد عن الدنيا الراغب في الآخرة وحكي عن بعض الأعراب أنه قال : لو صور العقل لأظلمت معه الشمس المضئية (٢) والقمر الدرى ، ولو صور الحق لأضاء معه الليل المظلم والهندس المدبهم ، وقال عمرو بن العاص . كان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه عقل يمنعه عن أن يُخدع . وورع يمنعه عن أن يخدع .

وقيل : الحكمة هي الخشية . ونحو هذا جاء عن الربيع بن أنس في قوله تعالى : إنما يخشى الله من عباده العلماء : قال . من لم يخشى الله فليس بعالم ألا ترى أن داود عليه السلام قال : ذلك بأنك جعلت العلم خشيتك . والحكمة (٣) الإيمان بك . فما علم من لم يخشك . وما حكم من لم يؤمن بك وقال بعضهم : الخشية هي (٤) انقباض القلب تحت هيبة الرب : وذلك لما طالعوا موارد الحق عليهم ومطالعة الحق إياهم خشعت الجوارح وخشيت القلوب . فهو لاء القوم كما وصفهم الحكيم ذو النون ابن إبراهيم المصري : وإن لربى صفوة من عباده قلوبهم في بحر خشيته تجرى

(١) في الاصل (يوما) .

(٢) في الاصل . لاظم من الشمس المضى .

(٣) في الاصل : فالحكمة .

(٤) في الاصل : هو .

وأبدانهم قد سكنت حركاتها لما في قلوب القوم من مضمهر السر
تراهم صموتا خاشعين لربهم وأرواحهم تسرى إلى معبد الفخر
وقال ابن عطاء : الخشية أتم من الخوف . لأن الخوف صفة عموم
المؤمنين . والخشية صفة العلماء ^(١) الربانيين . وقال جعفر الخلدي : خشية
العلماء تكون من وجوه أربعة . من ترك الحرمة في العبادات وترك الحرمة
في الإخبار عن الحق . وترك الحرمة في متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم .
وترك الحرمة في الأولياء .

وقيل : الحكمة . هي ^(٢) الفقه في تفسير القرآن . قال ابن عباس :
ليس شيء من القرآن وإلا وقد نزل في شيء ولكن لا يعلمون وجوهه .
وقال ابن عباس رضي الله عنه : مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه
ودعا إلى الحكمة وقال : اللهم فقهه في الدين . وعلمه التأويل واجعله إماما
للمتقين . ودعا إلى جبريل عليه السلام مرتين وقال للنبي صلى الله عليه وسلم
استوص به خيرا فإنه خير أمتك . وقال أبو بكر النقاش في كتاب التفسير
المختصر من المختصر . إن تفسير القرآن يشتمل على أنواع منها تفسير
الناسخ والمنسوخ والمجمل والمفسر والمحكم والمتشابه ، والأقسام والموصول
الذي لا يجوز قطعه . والمفصل الذي أوله غير متعلق بمعنى ما بعده ،
وما بعده متعلق بأوله ، ومواضع الاختصار التي لا تظهر . والإشارة
والإضافة وكلام يدخل بين كلامين ليس منه ، وسؤال عن حجة قرر [ها]
الله للعباد فلم يردوا جوابا وتفسير الحروف التي افتتح الله بها السور ،
وما لا يعلم إلا برواية وأثر ، والوعد والوعيد ، والمدح الذي لا يصير ذما
والذم الذي لا يصير مدحا ، ومواضع بيان الجيدة والنظائر والوجوه
والأمر والنهي والحلال والحرام ، وما يطول تعداده من علم الظاهر والباطن
وقال الربيع (ابن سليمان) سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول : ثلاثة

(١) في الأصل : علماء .

(٢) في الأصل : هو .

أشياء لم يعطهن إلا نبي . تفسير القرآن كله ، ولغة العرب كلها ، وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم كلها : وقال ابن عباس : تفسير القرآن على أربعة أوجه : تفسير يعلمه العلماء ، وتفسير تعرفه العرب ، وتفسير لا يعرف أحد بحمالة يعنى من الحلال والحرام ، وتفسير لا يعلم تأويله إلا الله عز وجل^(١) ، فمن ادعى عليه فهو كذاب .

وقيل : الحكمة هي^(٢) العلم . لقوله تعالى « وعلمناه من لدنا علما » وعن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : أوحى الله إلى الخليل إبراهيم أنى علم أحب كل علم : وقال إبراهيم التيمي رحمه الله : العلوم ثلاثة . علم دنيوى . وعلم دنيوى وأخروى . وعلم لا للدنيا ولا الآخرة .

فأما العلم الدنيوى فالطب والنجوم وما أشبه ذلك ، وأما العالم الآخرى والدنياوى . فهو القرآن والفقه . وأما العلم الذى لا للدنيا ولا الآخرة فهو الشعر عجبت لمن قاله ومن يقوله . وما أساء إلا على سنتين ذهبتا من عمرى فى طلب الشعر ، قال أبو بكر النقاش رحمه الله ، العلماء ثلاثة : عالم ، وجاهل ، وعويلم فالعالم الذى يصيب كثيرا ويخطئ قليلا ، والجاهل الذى يخطئ كثيرا ويصيب قليلا ، والعويلم الذى يقوم صوابه لخطئه . وقال سفيان . العلماء ثلاثة : عالم بالله وبأمر الله فذلك العالم الكامل ، وعالم بالله غير عالم بأمر الله فذلك التقي الخائف . وعالم بأمر الله غير عالم بالله فذلك العالم الفاجر . وأنشد لابن بحر :

العلم بلغ قوما غاية الشرف فصاحب العلم محفوظ من الخرف
يا صاحب العلم مهلا أن تدنسه بالموبقات فما للعلم من خلف
وقال الخليل بن أحمد . الناس أربعة . رجل يدرى ويدرى أنه يدرى
فاتبعوه : ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك نائم فنبوه . ورجل

(١) وهو مراد الله تعالى من كلامه ، فنحن نفهمه حسب مداركنا القاصرة ، والمعنى الحقيقى لا تسعه عبارة ولا إشارة .

(٢) فى الأصل هو .

لا يدري ويدري أنه لا يدري فذاك متعلم فعلموه . ورجل لا يدري
ولا يدري أنه لا يدري فذاك جاهل فاجتنبوه . فمثله كما قال القائل :

إذا أنت لا تدري ولا أنت موقن بقول الذي يدري فحتى متى تدري
ومن أعظم البلوى بأنك جاهل وأنت لا تدري بأنك لا تدري
وكان للخليل بن أحمد والد يبيع التبن . فدخل يوما ؛ فرأى الخليل
يكتب العلم ، فلامه . فقال له . إلى متى تبذر وتمحق هذا الرزق ؟ وأنشأ
الخليل ^(١) يقول :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت أجهل ما تقول عذلتك
لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذرتك
وقيل الحكمة : الإصابة في الأقوال . إن نطق [قائلا] نطق بالله .
وإن سكت سكت مع الله . وقال ابراهيم بن رستم : صحبت ابن عون عشرين
سنة ما أظن أن الملائكة كتبوا عليه حرفا واحدا ^(٢) . وقال بعض الصالحين
منذ ثلاثين سنة ما تكلمت بكلام أريد أن أعذر منه . قال الهيثم لابنه
صالح يابني . إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب . وإذا أكثرت
من الكلام أقللت من الصواب . وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول
لابن عباس رضي الله عنه : كأنه ينظر إلى الغيب من ستور دقيقة ^(٣) من
جودة رأيه وكثرة إصابته . وفي مثله :

بصير بأعقاب الأمور برأيه كأن له في اليوم عينا على غد
وقال الوضين ابن عطاء : من قل كلامه كثر صوابه . ولقد عاش أبونا
آدم عليه السلام تسعمائة وثلاثين سنة . فلما حضرت وفاته أوصى بنيه
فقال : يا بني . إني كنت في الجنة أسمع كلام الملائكة ؛ فأخرجت منها بذنبي .
وإن ربي وعدني إن ملكك لسانى أن يردني إليها . فاحفظوا ألسنتكم .

(١) في الأصل فأنشأ يقول الخليل .

(٢) أى من المحرم أو المكروه .

(٣) في الأصل : دقيق .

ما تجز به رؤوسكم ألسنتكم . وفي معناه قيل :
احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ليت يخاف لقاء الأقران
وقيل الحكمة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم . التي هي شرح أحكام
القرآن وبيانها وتفصيل مجملاته . كالصلاة والزكاة وحسد السرقة والزنا والخمر
والقذف وسائر الأحكام التي يطول بدكرها الكتاب . فأحاديث النبي صلى
الله عليه وسلم كشف أحكام هذه الآي كلها .

وسئل سفيان بن عيينة عن قوله . السنة قاضية على الكتاب . وليس
الكتاب قاضيا على السنة . [ف] قال . لأن السنة تفسر الكتاب ؛ وهي
معنى الأمر والنهي . كقوله تعالى . خذ من أموالهم صدقة : ثم بين رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك المقدار المأخوذ منه فقال . لا يؤخذ من أقل من
خمس أوسق وخمس ذود وخمس أواق . وقال الله عز وجل « وليطوفوا
بالبيت العتيق ، فلم يسم سبعا ولا عشرة فطاف رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبعا ، كذلك الصلوات الخمس وجميع الفرائض .

وقيل السنة كانت تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم كنزول القرآن
وهو قوله « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » ودليل هذا من القرآن قوله جل
ذكره مخاطبا لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم . واذكرن مايتلى في
بيوتكن من آيات الله (والحكمة) ويعنى القرآن ويعنى أحاديث النبي
صلى الله عليه وسلم . وقال الشافعي رضي الله عنه في حديث فاطمة بنت
قيس ثلاثون فائدة لكل فائدة حكم متعلق بها . وهي التي جاءت إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فزوجها (١) عمرو بن حفص ثم طلقها البتة وحفص غائب
بالشام فأرسل إليها وكيله مشعرة ، فسخطته . فقال والله مالك عندنا شيء
فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك فقال . ليس لك عليه نفقة ؛
وأمر أن تعتد في بيت أم شريك . ثم قال : تلك امرأة تغشانا أصحابي .

(١) في الأصل فزوجها لها عمرو بن حفص .

فاعتدى عند ابن أم مكتوم . فإنه رجل أعمى ، تضعين ثيابك حيث شئت فإذا حللت فآذيني ، فلما حلت ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم أن معاوية وأبا جهم خطباني فقال : أما جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه^(١) وأما معاوية قصعوك لا مال له فانكحى أسامة بن زيد فكرهت (ذلك) ثم قال . انكحى أسامة فنكحته ، فجعل الله فيه خيرا وأغبطت به : فقد استنبط أهل الفقه من مقدار هذه الكلمات هذه الفوائد الكثيرة ، وقد ذكر أبو طالب المكي رحمة الله عليه فوائد الخبر في كتابه^(٢) فمن أراد الوقوف على ذلك فليطالع^(٣) .

وقيل الحكمة هي إصابة الأقوال والأعمال والإرادات ، لا يقول إلا لله ولا يعمل إلا لوجه الله ولا يريد إلا ما يريد الله .
وقيل الحكمة ثلاثة أشياء . الحياء من الملك الجبار وحفظ الحرمة للنبي المختار ، ورعاية حقوق الأهل والولد والجار .

وقيل : الحكمة هي^(٤) الورع . قال أبو عبد الله . أصل الورع أربعة . حفظ اللسان من الغيبة والكذب ، وحفظ الخلق من الحرام والشبهة ، وحفظ الستر^(٥) من الفحش والريبة^(٦) ، وحفظ القلب من الحسد والعداوة .
وقيل ألا تعمل بشك ، ولا تأكل بشك ، ولا تتكلم بشك .

ومن دقائق الورع لأبي يزيد البسطامي ، ما حكى عنه أنه غسل ثوبه ، فأراد أن يطرحه على جدار قوم ، ثم قال لا يجوز بغير إذنهم ، ثم أراد أن يطرحه^(٧) على جدار المسجد فقال لا يجوز ، ما لهذا بني فأخذ الثوب بيده وقام في

(١) أي إنه رجل شرير .

(٢) قوت القلوب .

(٣) في الاصل فليطالع .

(٤) في الاصل هو .

(٥) أي الفرج .

(٦) في الاصل . والزينة .

الشمس فأظال على قوم^(١) ، فقال لا يسع هذا . فخرج إلى الصحراء ووقف في عين الشمس إلى أن جف وكان يقول لم أطم وجه الماء بيدي قط ، كنت أقول إن الماء خلق لإقامة العطاء فكيف أؤذيه بما أنال منه ، وكنت إذا رأيت حشيشة خضراء أقول : حشيشة تسبح الله ولم تذب فكيف يطؤها مذنب مثلي ، وقيل الورع ألا يدخل في شبهة ولا يأخذ برخصة .

وقيل الحكمة . حفظ القرآن عن ظهر القلب ، يحكى عن ابن جبير قال سمعت ابن عباس يقول من قرأ القرآن من قبل أن يحتلم فهو بمن أوتي الحكمة صبيا ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أوتي القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لم يوح إليه . وقال النبي صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، ويقال إن امرأة مرت بعيسى عليه السلام وهو يعمل العجائب فقالت : طوبى لبطن حملك ولثدى أرضعك ، قال عيسى طوبى لمن قرأ القرآن وعمل به . قال الفضيل بن عياض حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي له أن يلهو مع من يلهو ، ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو ، ولا يكون له إلى مخلوق حاجة ، إلا الخلقاء . فمن دونهم ينبغي أن يكونوا محتاجين إليه .

وقيل الحكمة : هي فهم لطائف القرآن ووجوهه ومعانيه كما حكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . لو شئت أن أقر سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب لفعلت ، وقيل . ما من آية في القرآن إلا ولها سبع معان ظاهر وباطن وإشارات وأمارات ولطائف ودقائق وحقائق ، فالظاهر للعوام والباطن للخواص ، والإشارات للخاص والخواص ، والآمارات للأولياء ؛ واللطائف للصديقين والدقائق للمحبين « والحقائق للنبين » ، ثم تحت كل كلمة بل تحت كل حرف بحر حكم عجاج ذوق^(٢) مواج ، فإذا قرأه الشاهد من العارفين ، والصادق من الخائفين أعطى بكل حرف ذهن ،

(١) أي حجب الشمس عنهم .

(٢) في الأصل (لات قعر مواج) .

ولكل ذهن ألف فهم ولكل فهم ألف فطنة ولكل فطنة ألف عبرة
والعبرة لا تقوم بها السموات والأرض . فذلك قوله تعالى . ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا . يعنى فهم القرآن ومعانيه .

وفى الخبر . إذا تركت أمتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا
بركة الوحي . قال الفضيل يعنى فهم القرآن . وقيل لجنيد بن محمد رحمة الله
عليه . ما الحكمة فى تقديم قول الله تعالى الظالم على المقتصد والسابق فى قوله
« فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » فقال للسائل . إن الحكمة
فى ذلك هى أن الظالم له ذنوب جمّة ومعاصى جلة تحملانه على الإياس من
فضل الله والقنوط من رحمته فابتدأ بذكرهم كيلا يياسوا . فأغلق باب
الإياس عنهم وأخر ذكر السابق لأن له طاعات كثيرة وأحوالا رفيعة
تحمله على الإعجاب ، فأغلق باب المعجبين عنهم فتوسط بذكر المقتصد كي
يتوسط مع الله ويعمل فيما بين الخوف والرجاء . وهذا كما أوحى الشكور
إلى صاحب الزبور ، يا داود بشر المذنبين ، وأنذر الصديقين لأن الصديق
أقرب إلى العجب والمذنب أقرب إلى الإياس والقنوط ، وقد فسر (ت)
هذه الآية بمائة وستين وجها ليس هذا موضع ذكرها إلا أنى أفسر لك
وجها منها . قال بعض العارفين . فمنهم ظالم لنفسه . قال . الظالم لنفسه من
اشتاق إلى الجنان والخور الحسان . والوصائف والغلمان كما أوحى خالق
البرية إلى صاحب الخطية : يا داود من أظلم من عبدنى لجنة أو لنار ترى
لو لم أخلقجنة ولا نارا ما كنت أهلا أن أطاع ولا أعصى (١) .

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم : من اشتاق إلى الجنة فسارع إلى الخيرات فهذا
الظالم الذى زين (الله) له الجنان فاشتاق إليها ووصف له الرب نفسه بالكرم

(١) أما كونه تعالى أهلا للطاعة فمفهوم . وأما كونه أهلا للمعصية فليس
المراد استحقاقه تعالى المعصية استحقاق جزاء ولكن المعصية تستتبع الرحمة
والمغفرة والانتقام فى بعض الحالات فيصير المعنى أنه تعالى ما كان أهلا للمغفرة
والرحمة والانتقام من : الكافر .

والإحسان فلم يشتق إليه ، فكان شوقه شوق مخلوق إلى مخلوق ، فاستوجب لهذا اسم الظالم . والمقتصد من إليه الجنة مشتاقة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . إن الجنة تشتاق إلى أربعة : إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي ومقداد الكندي ، فعموم المؤمنين من أصحاب اليمين تمنوا رؤية الجنة رؤية الجنة ، واشتاقوا إليها ، والجنة اشتاقت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، واشتاق علي رضي الله عنه إلى خصوص العلماء الربانيين الذين كوشفوا^(١) بعلم اليقين وعمر بهم طريق الصديقين فقال من حديث كميل في جملة أوصافهم (أولئك أولياء الله من خلقه ، وعماله في أرضه ، والدعاة إلى دينه ، صحبوا الدنيا بأبدانهم ، وأرواحهم معلقة بالمحل الأعلى هجم بهم العلم على حقيقة الأمر ، فاستلأنوا ما استوعر^(٢) منه المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الغافلون ، أولئك الأقلون عددا ، الأعظمون خطرا ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ، ثم بكى على به أبي طالب رضي الله عنه حتى علا نحيبه ثم قال واشوقاه إلى رؤيتهم ، ياليتني رأيتهم .

قال أبو طالب المكي رحمه الله : ليس هذا وصف علماء الدنيا الناطقين بالرخص^(٣) والهوى ، هذه^(٤) أوصاف علماء الآخرة . ونعت علم الباطن ،

(١) في الأصل كشفوا .

(٢) الوعر من الطريق الصعب المسالك .

(٣) الرخص في الفقه تشريع سهل يقوم مقام تشريع أصعب كالتيميم في البرد الشديد بدلا من الوضوء فالتيميم هنا رخصة والوضوء عزيمة وكالإفطار في السفر كذلك رخصة والصوم عزيمة .

(٤) في الأصل هذا .

وعلم القلوب^(١) لا علم الألسنة المختلط بالجسد والشعب^(٢) فسيحان من رفع أقواما فجاوز بهم الحدود فصاروا منية المنى ، اشتاقت الجنة إلى قوم ، واشتاق القوم . إلى هؤلاء ، فصاروا مشتاقى المشتاقين .

ومثل هذا ما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا أذن المؤذن فقال . أشهد إلا إله إلا الله اهتزت الجنة . وأشرفت الحور العين من قصورها وغرفها شوقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شوق الجنة إليه اشتاق هو إلى طائفة من أمته . يخرجون في آخر الزمان ؛ يتخلقون بأخلاق النبيين ويتمسكون بطرائق الصديقين . فهم الغرباء بين عموم المؤمنين . فقال في حديث أبي هريرة واشوقاه إلى إخواني . قالوا يا رسول الله أولسنا إخوانك ؟ قال : لا : أتم أصحابي . إخواني قوم يأتون بعدكم ، يود أحدهم لو يشتري رؤيتي بأهله وماله وفي رواية أخرى ، آمنوا بي ولم يروني ، فهؤلاء الذين اشتاق الرسول إليهم ، صلى الله عليه وسلم ، هم غرباء الدين ، شهد لهم الرسول فقال ، بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء .

قال بعض أهل المعرفة : خلق الله الجنة^(٣) بما فيها من نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فلما اشتاقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان^(٤)

(١) المراد بعلم الباطن وعلم القلوب ، علوم الأذواق والإلهام الناتجة عن أحوال العبادات ، وقد نشأت معارك بين علماء الشريعة وعلماء التصوف في هذا الباب ، والقول الفصل في ذلك ، أن ذوق طعم العسل غير العلم به عن الغير ، وتجربة الإحراق بالنار وذوقها غير العلم بها عن الغير ، فلو علم علماء الشريعة وذاقوا ما ذاقه الصوفية ، لما اختلفوا معهم . في شيء ، (رابع مقدمه شرح النصوص للإمام النابلسي) .

(٢) في الأصل الشعوب .

(٣) في الأصل بماء .

(٤) في الأصل . كانت .

شوقها إلى المعدن والأصل ، وصار شوق المشتاقين إلى الجنة شوقهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنها من نوره خلقت . وقال الحكيم . قلب العارف دار الله ^(١) والجنة دار من أطاع الله . فأهل الطاعة مشتاقون إلى الجنة . فالجنة مشتاقة إلى العارف . لأن قلبه دار الله . والسابق من المولى إليه يشتاق ^(٢) . كما أوحى الرب الرحيم إلى صاحب النوح العظيم يا داود . ألا طال شوق أريائي إلى . وأنا إليهم لأشد شوقاً منهم إلى . ولكن حتى يبلغ الكتاب أجله . وكما جاء في الخبر : أن جبريل هبط على النبي عليه السلام فقال : من هذا العبد الذي مات من أمتك فاهتز عرش الرحمن لموته؟ وفي رواية أخرى من فرح الله بموته . فنظروا فإذا هو سعد بن معاذ رضي الله عنه . وكان وهب بن منبه ممن أظهر النبي شأنه في حياته . ووصفه بالحكمة فقال . يكون في أمتي رجل يجرى الله الحكمة على لسانه ^(٣) . تتكلم يوماً بفضل من الحكمة ^(٤) مجب له من ذلك حاضر وه . فقالوا : سبحان الله . من أعطاك هذه الحكمة وأجراها على لسانك ؟ فقال : وهل أقول إلا من أصل وثيق ^(٥) . درست اثنين وسبعين كتاباً ثم إن أبا هريرة حدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ^(٥) : إن لله تبارك وتعالى صندوقاً مربعاً قدام العرش من لؤلؤة بيضاء طوله مسيرة خمسمائة عام وعرضه مثل

(١) المراد أن قلب العارف مشغول دائماً بل ومستغرق في الله ولا يراود من مثل هذه العبارة في كلام الصوفية حلول ولا اتحاد فهم أبعد الناس عن هذا السلوك .
(٢) إشارة إلى قوله تعالى « إن الذين سبقتم مننا الحسنی أولئك عنها مبعدون » وقوله جل ذكره ، يحبهم ويحبونه .

(٣) حديث موضوع ولا دلالة فيه على أن المقصود به وهب أنه صحيح فما الذي ربطه بوهب بن منبه ؟ .

(٤) في الأصل : من واصل أصل .

(٥) الحديث ظاهراً الوضع وهو تصوير إسرائيلي في لقيمة الحكمة وأخواتها وسبق أن قلنا إن العبرة في نقل هذه الأخبار بدلالاتها لا بتفاصيلها .

ذلك مضروبا بكوأكب درية^(١) كل كوكب^(٢) منها مسيرة سنة . مكتوب
على ترابيعه . لا إله إلا الله محمد رسول الله . وعليه قفل من نور . في طول
مسيرة ثلثمائة عام . وله مفتاح في طول مسيرة مائة عام . فيه^(٣) أربعة
أشياء ممزوجة بأربعة . لا يعطى ذلك أجمع إلا الأنبياء والأولياء : الحكمة
ممزوجة بالجوع . والورع ممزوج بالمحبة . والبلاء ممزوج بالرضا : والحزن^(٤)
ممزوج بالشوق . فهذه الأربعة هي أصول في طريق المقربين . فتدبر فيما قال
فإن شرحه ربما طال .

ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما ناجى [به] ربه . إلهي
أعطيت داود وسليمان علما . وأعطيت إبراهيم رشده من قبل . وأعطيت
موسى وهرون الفرقان وصدا . وأعطيت عيسى بن مريم البينات . وأيدته
بروح القدس وفضلت أمة موسى على عالمي زمانهم . فما الذي أعطيتني
وأعطيت أمتي ؟ فقال الله عز وجل أعطيتك يا محمد سبعة من المثاني والقرآن
العظيم . وأعطيت أمتك الحكمة . ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا .

وقال بعضهم . خذ الذهب من الحجر . وخذ اللؤلؤ من البحر [.] خذ
المسك من المسك^(٥) [و] خذ الدر من الصدف [و] خذ الحكمة ممن قالها .
وإن لم يكن من أهلها قرب رمية من غير رام . وهذا كما حكى في الأثر أن
حذيفة وسليمان رضي الله عنهما نزلا على نبطية بالمدائن ، فلما حضرت الصلاة
قال أحدهما ، يا هذه ، هل هاهنا مكان طاهر نصلي فيه ، قالت طهر قلبك
وصل حيث شئت ، قال أحدهما لصاحبه ، خذها كلمة حكمة من قلب كافر

(١) في الأصل : الدري .

(٢) في الأصل كوكبة .

(٣) في الأصل فيها .

(٤) في الأصل . والورع . ويدل على التصحيح ما بعده .

(٥) المسك الجلد .

وقال صلى الله عليه وسلم . إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا ، وقلة منطق فاقربوا منه ^(١) ، فإنه يعطى الحكمة ، فالله تعالى قال لنبيه عليه السلام : فاسجد واقرب بسجودك إلى ، كي أتخفك بالفوائد من عندي ، فإن لك عندي ما تريد . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اقربوا من الحكماء فإنكم تجدون عنده ما تريدون . وقال القاسم في قوله عز وجل . (الله لطيف بعباده يرزق من يشاء [وهو القوى القوي العزيز] قال : اللطيف من نور قلبك بالهدى ، وربى جسمك بالغذا ، وأخرجك من الدنيا مع الإيمان بغير بلوى ، ويحرسك وأنت في لظى ، حتى تسمع وترى . يرزق من يشاء الحكمة والفطنة ، وهو القوى يقوى الفطن ، العزيز عزز عنايته ورعايته فلا يبذلها لـكل أحد . وقال أبو بكر الوراق : الحكماء خلفاء الأنبياء ، وليس بعد النبوة إلا الحكمة . وهي إحكام الأمور ، وأول علامات الحكمة طول الصمت ، والكلام على قدر الحاجة : وقال عيسى عليه السلام : اليقين حياة الإيمان ، والحكمة . نور القلب ، ولا حكمة إلا بيقين ، ولا يقين إلا بالتقوى ، ولا تقوى إلا بالزهد في الدنيا ، ومفتاح ذلك كله التضرع والدعاء ، فكيف يفتح لك باب بغير مفتاح .

وقيل : سبعة أشياء لا توجد إلا عند سبعة أصناف من الناس ، فمن وجد ذلك عند غير هؤلاء فهو باطل ، الحكمة عند الزاهدين . والسمع عند العاشقين ^(٢) والحزن عند المشتاقين ، والبكاء عند المحزونين ، والذل عند

(١) هذا القول يدل على علامة العالم الذي يصلح للإرشاد . لأن آفة العلماء هي الثثرة في الحديث بالعلم . وأكثر الناس إشارة إلى الله أبعدهم عنه : وحضرة المعرفة حضرة بهت وسكون . لا حضرة صياح وثرثرة .

(٢) السماع المباح عند الصوفية . هو ما كان بالروح لا بالنفس . وضابط السماع المباح . ألا يصحبه اضطراب ولا حركة ولا صياح . ولا تدبر للفظ : ولا للحن . أما ما نسمعه من بعض المريدين . من صياح عند السماع : فإذا أثر في السامعين : هذا الأثر السابق . فصاحبه صاحب حال صحيح . وإذا لم يؤثر في السامعين فهو مرض عصبي .

المحبين ، والفناء عند العارفين ، والإشارة عند الواجدين ، وقال صلى الله عليه وسلم : ما من شيء الواحد منه خير من ألف مثله إلا الإنسان .

قال أبو طالب المكي : لعمرى قلب حكيم خير من ألف قلب سليم ، وقلب مؤمن خير من قلب ألف مسلم ، وقلب موقن خير من ألف قلب مؤمن ، وقال الحسين بن منصور الخلاج : الحكمة سهام رب العالمين ، وقلوب المرادين أهدافها ، وألسن الحكماء قسيها ، والراى الحق القيوم . والخطأ معدوم ، وقال النورى : لست أعظم أحدا كتعظيمى رجلا يكون معه كلمة من الحكمة ، قال بعضهم : الحكمة سهام الله الثاقبة ^(١) ، وألسن الحكماء القسي المصبية ، وقلوبهم الجعاب ^(٢) المملوءة ، وسمع التائبين الأغراض الواسعة ، وقلوبهم الأسنة ^(٣) والرقاع اللامعة . والراى الله بوصف القدرة النافذة . فلم يكن الله ليخطئ . إذا رى .

وقال بعضهم : نور القلب من الحكمة ، وظلماته من اللقمة ^(٤) ، وعمارته من كثرة الفكرة ، وخرابه من طول الغفلة والقسوة ، وقال بعض السلف : خير لقمان بين الحكمة والنبوة فاختار الحكمة . وكان عبدا نوبيا غليظ الشفتين أسود الجسد أبيض القلب . اشتراه سيده بثلاثين دينارا ، وكان له زوجة وأولاد كفار ، وكان فقيرا جدا ، فمن بركات الحكمة : أعتقه سيده وصار حرا ، وصار السيد بنفسه يخدمه ، وأقبل على أهله وولده فلم يزل يعظمهم حتى أسلبوا عن آخرهم ، وكثر الله ماله فجعله من آحاد ^(٥) أغنياء زمانه وهذا كله من شرف الحكمة ، وقيل : خير سليمان عليه السلام بين الملك

(١) السهام الثاقبة : التى تصيب هدفها .

(٢) الجعاب : جمع جعبة وهى وعاء توضع فيه السهام .

(٣) فى الأصل : الآنسة .

(٤) المراد : اللقمة الحرام . فليس شيء أضر على سالك طريق الله من

أكل الحرام .

(٥) فى الأصل : من أحد .

والعلم والعقل فاختر العلم . فقال الملك : أمرنا ألا نفارق العلم ، وخير نبينا بين الغنى والفقر ، فاختر الفقر على الغنى . وقال : أجوع يوما وأشبع يوما ، وأعيش فقيرا ، وأحشر في زمرة المساكين . قال وكان لقمان في عصر داود عليه السلام ، فلما دخل عليه قال : من مثلك يا لقمان ؟ اخترت الحكمة فنجوت ، وابتلى أخوك داود بالمعصية .

وقال يحيى بن معاذ : الناس كثير والعلماء في الناس قليل . والعلماء كثير والفقهاء في العلماء قليل ، والفقهاء كثير والحكماء في الفقهاء قليل ، وكلام العلماء يبكي العيون وكلام الحكماء يبكي القلوب ، وقيل : كلام الحكماء يشفي المرضى ، وكلام الحكماء يحيى الموتى وكلام العارفين يرضى المولى .

وقيل : الحكمة تحيي القلوب الميتة ، وتستعمل الأجساد المتغلظة (١) وتجمع الهمم المتفرقة ، وتبكي العيون الجافية ، وترقق الأفئدة القاسية ، وتوسع الصدور الضيقة ، وتنور البقاع المظلمة ، وتحرر العبيد ، وتغنى الفقير وتعزز الدليل ، وتجلس المملوك مجالس الملوك . وقال بعضهم : إذا ظهر حكيم في محلة تبين فيها عشر علامات . قبحت الدنيا في أعينهم ، وحسنت الآخرة عندهم ، سكن غليان قدورهم (٢) ، وارتفع غليان قلوبهم ، وذهب القال والقيال من بينهم ، وازدحم الناس في مساجدهم ، وتفرقوا من أسواقهم ، واسترفق سنائيرهم (٣) وكلابهم وحميرهم وفقراؤهم ، وطرد عنهم الشيطان ، ورضى عنهم الرحمن . وفيما أوحى الملك الكريم إلى المخصوص بالمناجاة والتكليم : يا موسى بن عمران اضمن لي من نفسك ثلاثة ، أكرمك بثلاثة : احفظ بطناك من الحرام والشبهة حتى أكرمك بالحكمة ، واقطع قرين السوء حتى

(١) أي تدفع الأجسام الثقيلة إلى العمل في مرضاة الله .

(٢) كناية عن الزهد والتفرغ للعبادة والتقلل من الطعام .

(٣) السنائير جمع سنور وهو القط ومعنى استرفاق الكلاب والسنائير : أنها تشبع دائما فلا تغلب عليها الوحشية . واسترفاق الحمير : هدوءها لقله إثارتها بالعدوان عليها .

أكرمك بالرفيق الصالح ، واحفظ لسانك من الكذب والغيبة حتى أكرمك بدخول الجنة ، فهذا والله هو الغنيمة ، بقطع خصلتين يحصل لك غدا دخول الجنة . فالعجب من يملأ بطنه من الحرام والشبهة كيف يطمع في الحكمة؟ والعجب لمن لا يهجر قرين السوء كيف يطمع في مؤاخاة أهل الصلاح وإخوة من السادة؟ والعجب من لا يحفظ لسانه من الكذب والغيبة كيف يطمع في دخول الجنة؟ وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : حكمة الجسم في ترك نعيم الدنيا ، وحكمة الروح في ترك نعيم العقبى ، وحكمة العقل في احتمال أسرار الأولياء^(١) ، فالحكمة الأولى للزاهدين ، والثانية للصادقين ، والثالثة للعارفين .

وقال بعضهم : المرید يطلب الحكمة ، والمؤمن يطلب التوبة ، والزاهد يطلب الراحة ، والمحِب يطلب الخلوة ، والصادق يطلب الهمة ، والعارف يطلب الغاية ؛ والراغب يطلب الشهوة . فمن أراد الحكمة فعليه بمجالسة أهل الرغبة والرغبة ؛ ومن أراد التوبة فعليه بترك الخوبة . ومن أراد الراحة فعليه بهجران أهل القسوة والغفلة . ومن أراد الخلوة . فعليه بخلو المعدة . ومن أراد اجتماع الهمة فعليه بترك الأسباب . وقطع العلاقة ، ومن أراد الغاية فعليه بصحبة السادة . ومن أراد الشهوة فليتهياً لعظيم الحسرة .

وقيل : المتكلمون ثلاثة . عالم أمرى . وحكيم ربانى . وقاص غافل شهوانى فالعالم غسال^(٢) . والحكيم نبال^(٣) . والقاص كيال^(٤) . وقال بعضهم : من

(١) أسرار الأولياء . إلقاءاتهم في قلوب مريديهم وأرواحهم ، من العلوم والمعارف ، والتوجيه السلوكى عن قرب وعن بعد . عند التوجه الصامت الكامل ولزوم الجانب الايمن من الأستاذ والبعد عن الجانب الايسر عند الجلوس معه . وقد اعترفت العلوم الفلسفية ، بأن المتوجه إلى إنسان بروحه ، تنطبع في روحه علوم المتوجه إليه (راجع مقدمة شفاء السقام للسبكي) .

(٢) أى يغسل النفوس والقلوب من هم الدنيا .

(٣) أى يصيد القلوب بنبال حكيمته .

(٤) أى يكيل الوصايا دون حساب .

ادعى الزهد فى الدنيا ولم يعط الحكمة فهو كذاب . ومن ادعى محبة الله ثم رغب فى الدنيا فهو كذاب ؛ ومن ادعى الإرادة ثم طلب الراحة فهو كذاب . ومن ادعى المعرفة ثم أطلق لسانه بالدعاوى فهو كذاب . ومن ادعى المحاسبة ثم جالس أهل الغفلة فهو كذاب . ومن ادعى محبة المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم لم تجالس الفقراء فهو كذاب . ومن ادعى التوبة ثم تسوف بالطاعة فهو كذاب . ومن ادعى الإخلاص ثم غضب إذا ذكر [ت] عيوبه فهو كذاب . ومن ادعى العلم ثم لم يقل نومه بالليل، وحرصه بالنهار، ولم يزد خوفه من الملك الجبار ، فهو كذاب. كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من ازداد علما ولم يزد وجعا لم يزد »^(١) بعلمه من الله إلا بعدا ومقتا .

فسبحان الله ! كيف نفتضح إذا قسنا أحوالنا بأحوال المتقدمين . وقد انقطع هذا الطريق . وعفا أثره . واندرس خبره . وعظم عند أهل المعرفة خطره ، فالرسوم موجودة ، والحقائق مفقودة ، والمعاني مصونة ، ومواضع الحقيقة منيعة ، وليس للخلق من حيث الخلق إلى الحق سبيل ، والدعاوى طويلة عريضة ، وقد أحسن مجنون بنى عامر حيث يقول :

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نساها
فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها
ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » ومن طلب علم التصوف بال تلقين فهو كمن أسس بنيانه على السرجين ، فما أسرع ما ينهار ، كما قال الجليل فى محكم التنزيل : « أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم » قال . وكان الجنيد كثيرا ينشد هذين البيتين :

علم التصوف علم ليس يدركه إلا أخوفطن بالحق معروف
وليس ينصره من ليس يشهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

(١) فى الأصل « يزدده » .

وقال بعضهم عن السلف : سبعة من عجائب آخر الزمان ، حكيم ينطق من فعله ، وعالم مستعمل بعلمه ، وواعظ لا طمع له ، ومتعبد لا علاقة له ^(١) ، وامرأة تزهد زوجها في الدنيا ، وتائب يدوم على التوبة إلى فراق الدنيا ، وصالح يعاونك في دين الله ، وينصحك في الله . وقال بعض السلف : من ترك الحرام أربعين يوما أخرج الله ينابيع الحكمة من قلبه ، واشتعلت [ت] قناديل المعرفة في صدره ، وزهد في الدنيا وعرف عيوبها ، وعلم داءها من دوائها .

وقال بعض الحكماء : إذا زهد العبد في الدنيا وكل الله بقلبه ملكا حكما يغرس [الحكمة] في قلبه كما يغرس أحدكم طراثف ^(٢) الأشجار في بستانه ، وقال يحيى بن معاذ : مثل الحكيم مع قلبه ، مثل البستاني مع بستانه ، في قلب العارف عشرة بساتين : بستان التوحيد ، وبستان اليقين ، وبستان المعرفة وبستان المحبة ، وبستان العلم ، وبستان الحلم ، وبستان السبيل ^(٣) والسنة ، وبستان التواضع والخشوع ، وبستان الحلال ، وبستان السخاوة والبذل ، فيجب أن يدخل كل صباح تلك البساتين ويخرج ويقاع مالا يصلح فيها ، فيدخل بستان التوحيد . فإذا رأى فيه ^(٤) شكا أو شركا ونفاقا ورياء ، قلع ذلك ورمى به . ثم يدخل بستان اليقين . فإذا رأى فيه حرصا وأملا وشينا وحقدا ورغبة قلع ذلك ورمى به . ثم يدخل بستان المعرفة . فإذا رأى فيه تشبها وتمثيلا [أو] تعطى قلع ذلك ورمى به . ثم يدخل بستان المحبة فإذا رأى فيه اشتغالا بالأغيار ، أو حلاوة الخلق والديار ، قلع ذلك فرمى به . ثم يدخل بستان العلم ، فإذا رأى فيه جهلا وحمقا ، قلع ذلك فرمى به ، ثم يدخل بستان الحلم . فإذا رأى فيه غضبا أو حمية أو تعززا أو خيانة أو عجزا ، قلع ذلك فرمى به . ثم يدخل بستان السنة . فإذا رأى فيه بدعة أو محدثة أو زينا

(١) أى ليس له تعلق بشيء من زينة الدنيا ولو كان مباحا .

(٢) أى نواذر الأشجار .

(٣) أى بستان الطريق إلى الله .

(٤) فى الأصل فيها . فى الغقرة كلها .

أو هوى، قلع ذلك ورمى به . ثم يدخل بستان الحلال . فإذا رأى فيه حراما أو شبهة، قلع ذلك ورمى به . ثم يدخل بستان البذل والسخاء . فإذا رأى فيه بخلا أو منعا أو طمعا، قلع ذلك ورمى به .

وقيل: رأس مال الحكيم قلبه، لا تغنى حكمته على كثرة الإنفاق ، ورأس مال المؤمن دينه . يحفظه عن الشقاق والنفاق ، ورأس مال المنافق بطنه . يجمع فيها ما أمكن وأطاق ، ورأس مال العاقل قلبه . كيسه يحكمه بالشد والوثاق . وقيل الحكمة: ضالة المؤمن ، واللقمة ضالة المنافق . وقرأت في أخبار بني إسرائيل . قال . جمع رجع منهم ثمانين تابوتا من علم ، كل تابوت ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا . وكان لا ينتفع به، فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان : أن قل لهذا الكذاب ، لو جمعت مثله بعدُ لا تنتفع به حتى تعمل بثلاثة أشياء . أولها ^(١) [أ] لا تحب الدنيا لأنها ليست بدار المؤمنين . والثاني: [أ] لا تصاحب السلطان . فإنه ليس برفيق المؤمنين ^(٢) . والثالث: [أ] لا تؤذى المؤمنين ، فإنه ليس بحرفه المؤمنين . وقال أبو هريرة . تقول الحكمة . من طلبني فلم يجدني ؛ فليعمل بأحسن ما يعلم، وليترك أقبح ما يعلم ، فإذا فعل ذلك فأنا معه وإن لم يعلم ، وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين . أنى ينبت الزرع ؟ قالوا: في التراب يا روح الله . قال بحق أقول لكم كما لا ينبت الزرع إلا في التراب ، كذلك لا تخرج الحكمة إلا في قلب مثل التراب . فالعجب من ذلك . كيف تطمع في الحكمة وقد تغلبك اللقمة ؟ وتأسرك اللحظة ؟ وتشغلك الخطرة ؟ وتستعبدك الشهوة ؟ وقال ذو النون المصري لبعض تلاميذه وهو يوصيه : جالس من تكلمك صفته ، ولا تجالس من يكلمك لسانه ، فقال ومن ذاك يا أستاذ ؟ قال : هو الحكيم الصادق . موعظته، رؤيته ^(٣) ، آدابه [هي] فعاله ، قد أغناك مشهده عن مخبره . وقال

(١) الأصل أوله .

(٢) الأصل ليس هو برفيق .

(٣) أى إن رؤيته تقوم مقام وعظه أى تحيا القلوب برؤيته ؛ فسكا تظلم القلوب =

كعب . إن الحكمة إذا خرجت من فم الحكيم صعدت إلى الله ، فصارت له تحت العرش ولها دوى كدوى النحل ، تذكر صاحبها عند الله ، وتثني عليه . ولبعضهم :

وكيف تحب أن تدعى حكيما وأنت لكل ما تهوى تجوب
وتضحك دائما ظهرا لبطن وتذكر ما جنيت فلا تذوب
وقال بعضهم . لو أن رجلا قعد بين جبلين . أحدهما ذهب والآخر
فضة ، ثم جعل يتصدق من هذا ومن هذا ، ورجل حبيس ، بالحكمة
ينطق ، لكان صاحب الحكمة أعظم أجرا عند الله . وقال بعضهم : مثل
الجوع كمثل السحاب ، والزهد كمثل الرعد ، والقناعة كالبرق ،
والحكمة كال مطر .

وقال بعضهم : أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو هذه
الامة بدعوتين فقال في موضع : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة » وقال في
موضع آخر : « وادع إلى ربك » فإذا دعوتهم إلى ربك فادعهم بربك ،
إلى ربك ، وإذا دعوتهم إلى سبيل ربك ، [ف] بالحكمة والموعظة الحسنة .
وقيل : الحكمة عند الله في أرضه تقوى بها أبدان المرئدين للخدمة ، وتشرح
بها قلوب المخلصين للفكرة ، وتظهر بها أسرار المحبين للنظرة ^(١) . وفي
الحديث : يد الله على أفواه العلماء لا ينطقون إلا بما سهل لهم من الحق .
وقال في حديث آخر : لا يبكي العبد حتى يضع الرب يده على قلبه ، فالبكاؤون
مُرَقَّون في المنزلة على سائر جميع أهل المقامات ، وأرباب الأحوال ، بحديث
موسى عليه السلام فيما ناجاه الرب [به] يا موسى بن عمران ، وأما
البكاؤون من خشيتي ، فإن لهم الرفيع الأعلى ، لا يشاركون فيه ، فالبكاؤون مع

= برؤية الأشياء المنفرة ؛ تنير برؤية الأشياء الجميلة ومن هنا تحيا القلوب برؤية
الصالحين الصادقين .

(١) أى لتكون محلا لنظر الرحمن إليها . إذ لا بد أن ترتفع روح المؤمن
وترقى لتقرب برقتها من العالم العلوى . فتكون محلا لنظر الله تعالى ورحمته .

هذه المنزلة ؛ لا يبلغون درجات الحكاء . لأن الباكي قبل البكاء كان خاليا من موضع اليد ، فلما وضع الرب جل جلاله يده على القلب ، حضر له البكاء فبكي . فحصلت له بذلك المنزلة الكبرى . والحكيم لم تزل يد الله العظيم جل جلاله على فيه ، فلما حضر وقت المنطق ؛ رفع الرب يده عن فيه ، فنطق بالحكمة . فحصل له عند الله العلو والرفعة ، فما حصل للباكي بالوضع ؛ هو ما حصل للحكيم بالرفع ، فصار أعلى منزلة ، لأن الباكي أدنى منزلة من الحكيم . فحصل حال الحكيم مع الباكي في هذا الفصل كحال العالم مع الشهيد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في العالم وفضله . يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء . فيترجم مداد العلماء على دماء الشهداء . فأجل شيء عند الشهيد دمه ، وأقل شيء عند العالم مداده وخبره فتترجم أدنى حالة العالم ، على أعلى حالة الشهيد . فما ظنك بأرفع حالاته عند الله ؟ وكذلك الحكيم أدنى حالاته هو وقت رفع الله يده تعالى عن فيه ، فينطق بالحكمة . فتحصل له السناء والرفعة . فإذا كانت هذه الحالة أحقر حالاته ، فما ظنك بأرفع حالاته . إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب .

وقيل : كل مدينة ليس فيها عالم فأهلها سكارى . وكل مدينة ليس فيها فقيه فأهلها مرضى . وكل مدينة ليس فيها حكيم فأهلها موتى . وقال عيسى بن مريم عليه السلام : يا معشر الحواريين بحق أقول لكم . لا تمنعوا الحكمة من أهلها فتظلموهم ، ولا تنطقوا بالحكمة عند غير أهلها فتظلموا الحكمة ^(١) . ومن ظلم الحكمة فانه خصمه ، ومن كان الله خصمه خصمه يوم القيامة .

وقال بعضهم : إن الله عز وجل غرس في قلب عبده المؤمن أشجارا . شجرة الحكمة تسقى بماء الجوع . وشجرة الإخلاص تسقى بماء الزهد . وشجرة العلم تسقى بماء العمل . وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل . وشجرة الحكم تسقى بماء المحاسبة . وشجرة الورع تسقى بماء المراقبة . وشجرة المعرفة تسقى بماء الفسكرة . وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة . وشجرة المحبة تسقى

(١) نسبة الخبر إلى المسيح مشكوك فيها . وقد رويت عن كثير من الصوفية . وأعجب من ذلك إمر المسيح لتلاميذه بقراءة القرآن في خبر سابق .

بماء الإنفاق والمواقفة والإيثار . ولكل شجرة من هذه الأشجار نوع من الثمار لا يمسه إلا المطهرون . وهذه الأشجار كلها مغروسة في أرض الإيمان وكل شجرة لا تثمر، فالعيب في الأرض لا في الشجرة . إذا تفكر العبد فيه فنظر، وما يعقلها إلا العالمون، وما يحدد بآياتنا إلا كل ختال كفور .

وقال السكتاني رحمه الله . كنت في بدايتي أرى غليان الحكمة في صدرى لا أمنعها عن المستحق ولا غير المستحق . فرأيت ليلة من الليالي النبي صلى الله عليه وسلم في منامي ؛ فقال لي . إلى متى تستخف بالحكمة ؟ إن من استخف بالحكمة فقد استخف بالله ، ومن استخف بالله فما أسوأ حاله يوم القيامة . وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين : بحق أقول لكم . لا تنثروا اللؤلؤ بين يدي الخنازير . ولا تتكلموا بالحكمة عند من لا يعرفها .

قال . الحكمة خير من اللؤلؤ ومن لا يريد لها أشر من الخنزير . صدق المسيح عليه السلام لأن اللؤلؤة الواحدة قيمتها من درهم إلى ألف . والكلمة من الحكمة يتنبه بها العبد الغافل فيخرج بذلك من غفلته . ويطيع ربه فينجو من النار ويدخل الجنة . وقيمة الرجل اثنا عشر ألفا . وربما تنبه بكلمة واحدة ألف رجل فبصارت الكلمة من الحكمة خيرا من عشرين ألف لؤلؤة . بل خيرا من الدنيا بخدا فيرها .

وكان منصور بن عمار أحد الحكماء يحلو^(١) كلامه عن القلوب الدين^(٢) والعمى، فجرى يوما في محضره ذكر رابعة العدوية، فبالغوا في مدحها وقالوا:

(١) الأصل يحلى .

(٢) الرين : صدأ القلوب من الذنوب . والران والرین بمعنى واحد والمراد ما يترام على القلب من لذة المعصية، وبتكرار المعصية ؛ يألف العبد لذتها فيتكون الران على قلبه ، ويتحجر ولا يحس بوعده ولا وعيده ، ولا يلين قلبه لذكر ؛ ولا يكون مستعدا لتلقى العلم ، والضابط الذي يجب أن يسير عليه العبد لمعرفة الحق من الباطل، أن يعرض العمل على نفسه ، فإن وجد فيها تشوقا إليه ، وتلذذا بفعله ، فهو باطل . وإن وجد ثقيلا على نفسه، فهو حق يجب اتباعه .

هي إحدى المتحققات في زمانها ، قد زهدت في الدنيا . وادعت أنها لا تريد العقبى ، وتتسكلم بكلام تتحير منه عقول الورى . فقال منصور بن عمار : إن رابعة مع حالها ومقامها هي ميراث كلمة من حكمتى . وكانت بمن رجع إلى كلام منصور . ثم قال منصور : أحدثكم عن بدو ما رزقنى الله من الحكمة . كنت مولعا في صباى برفع القراطيس من الأرض حتى عرفت بذلك . وكان الصبيان ربنا أولعوا بى . فبينما أنا يوما في الصحراء . إذ أصبت قرطاسا فيه : لا إله إلا الله . رفعته . ولم يكن بإزائى حائط ولا شئ أضع [٤] فيه . فبلعته . فرأيت في منامى تلك الليلة هاتفا يهتف بى . فيقول : إن الله قد شكر [٥] لك ما فعلت . وقد ألهمك الحكمة بما صنعت . فانطق بها (٣) إن شئت . وكل ما سمعتموه من كلامى فهو ميراث ذلك القرطاس .

ويقال : إن الشافعى رضى الله عنه دخل بعض السكور فاجتمع عليه قوم جهال ، فجعلوا يسألونه فيجيبهم ولا يفهمون ، فأنشأ يقول :

أأنثر درا بين سارحة النعم	أم انشر منظوما لراعية الغنم
لعمري لئن ضيعت في شر بلدة	فأست مضيعا بينهم غررا السكلم
فإن فرج الله اللطيف بلطفه	وصادفت أهلا للعلوم وللحكلم
بثت مفيدا واستفدت ودادهم	وإلا فمخزون لدى ومكتهم
فمن منح الجاهل علما أضاعه	ومن منع المستوجبين فقد ظلم

ويقال إن ابرهيم بن أدهم . دخل على بعض الخلفاء . فقال : عظمى يا ابرهيم . قال بماذا أعظك ؟ بالعلم أم بالحكمة ؟ قال : بالحكمة . فقال ابرهيم : إن مثلك كما قال القائل :

نرفع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع
فقال الخليفة : أخرجوه عنى . فجعلوا يرفعونه . وهو يتمثل ويقول :
نفسى ! يا نفسى . إن تكلمت بالعلم والحكمة هجرك الجاهل . وإن تسكلمت

(٣) فى الأصل به : ولا غرابة فى هذا الخبر ، فالمدار على النية فى العمل ، وكل من عامل لمثل هذا العمل ، لا يجازى بشئ لأن نيته غير خالصة لله تعالى .

بالجمل والحققة لأمك العلماء . فحصلت بين الضر والبلاء . ثم أنشأ يقول :

اتخذ الله صاحباً ودع الخلق جانباً
وتمسك بذكره إن في ذكره الدوا
وتلذذ بحبه إن في حبه الشفا
ثم سلم لأمره وارضى عنه بما قضى

وقال أبو طالب المكي في كتابه . إن من إزالة الحكمة : أن ينطق الحكيم بها قبل أن يسأل عنها . وأن يجيب عن كل ما يسأل عنه . كما قال ابن مسعود من أجاب الناس في كل ما يسألون [عنه] فهو مجنون . أي يحتاج ^(١) أن يكون الحكيم صاحب فطنة . عليم يعرف لكل واحد منهم من بحره . ويسقيه بكأسه . ويكلمه بلسانه . على مقدار فهمه وعقله . ويزنه بميزانه . فيظهر ما يمكن إظهاره . ويخفي ما يحسن إخفاؤه .

وقيل لبعض العارفين من الحكيم ؟ قال من وضع المرهم على موضع الجرح ويبط ^(٢) الألم . ويشد موضع الكسر . ولا يسقي الشربة إلا لمن نظف بطنه واحتمى . ولا ينثر العنزروت ^(٣) في عين الضير الأعمى فإن رد بصره بهذا لا يرجى .

وقال أبو طالب رحمه الله : يحتاج الحكيم أن يستعمل أربع خصال حتى يكون قائماً بجرمة الحكمة . أولها ^(٤) [أ] لا ينطق [بها] قبل أن يسأل عنها ^(٥) . ولا يذكر ذلك في غير وقته . ولا يجيب عن كل ما يسأل عنه .

(١) في الأصل محتاج

(٢) بططت القرحة شققها

(٣) العنزروت والأنزروت هو السحل الفارسي يعني ترياق العين (تذكره

داود حرف الألف)

(٤) الأصل أوله

(٥) الأصل عنه

ولا يضعها] في غير مستحقها وأهلها^(١) . فإن اجاب عن كل ما يسأل عنه ذهب ثلث نوره . وإذا ذكرها في غير وقتها ذهب نصف حلاوتها . وإذا تكلم [بها] قبل أن يسأل عنها ذهب ثلثا نوره . وإذا وضعها في غير أهلها انطمس نوره .

وقال أبو علي بن السكاتب : إذا سمع الرجل الحكمة فلم يعمل بها فهو مذنب ، وإذا سمعها فلم يقبلها فهو منافق ، وأنشد في ذلك :

وضع الحكمة في أربابها من ذوى الفهم وجنبها السفل

لا تكونن كمن من جهله عرض الدر على أهل البصل

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « سافروا تصحوا وتغنموا » وقال أبو طالب في معنى هذا الحديث : فغنيمة كل مسافر على قدر همته ، ومبلغ إرادته ومحله وقدره ، فغنيمة أبناء الدنيا الأرباح الدنيا ، وغنيمة أبناء الآخرة أرباح الآخرة ، فمن سافر في طريق الزهد غنم الراحة ، ومن سافر في طريق المحبة غنم المؤانسة والألفة ، ومن سافر في طريق السنة والكتاب غنم الوصول ، ورفع له الحجاب ، ومن سافر في طريق الهوى والبدعة غنم الخذلان ، وعن الوصول خاب وانقمع ، ومن سافر في طريق حفظ العهد والوفا غنم القرب والرضا ، ومن سافر في طريق حفظ الحرمة والحياء غنم النظر إلى المولى ، في يوم الكشف واللقاء .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا ينفع القلب إلا ما خرج من القلب ، وواعظ الجاهل ، كالمتهنى عند رأس الميت ، وقال بعض السلف : سبعة أشياء في سبعة مواضع ، هن ضائعات : حكيم بين جهال لا يستمعون حكمته ، ولا يحفظون حرمة ، وسراج في ضوء الشمس ، وطعام طيب يقدم إلى سكران ، وامرأة حسناء تزف إلى عنين^(٢) ، وصاحب صوت

(١) الأصل مستحقه وأهله والضمير بالتذكير في بقية الفقرة

(٢) العنين من لا يقوى على إتيان النساء .

حسن يغنى بين أهل المقابر ، وكتابة العلم بخط دون ، وكلام لين تسكلم به صاحب حقد وحسد .

وقال رجل من أصحاب ذى النون المصرى . يا أستاذ . ما بال الحكمة عليها حلاوة فيوجد بها لذادة إذا خرج [ت] من أفواه الحكماء ؟ قال : ذاك لقرب عهدها ^(١) بالملك الأعلى جل وعلا ، وسئل الشبلى . ما بال الحكمة عليها حلاوة وليس ذلك على العلم والحديث ؟ قال لأن الحديث هو ميت عن ميت . حدثنى فلان وقد مات . عن فلان وقد مات . والحكمة حى عن حى . حدثنى قلبى عن ربى ^(٢) .

باب الفرق بين الحكمة والعلم ، والحكيم والعلم

قوله جل ثناؤه فى وصف يحيى بن زكريا : « وآتيناه الحكم صبيا » قيل فى تفسير الآية . أعطى الله تعالى الحكمة ليحيى ، وأعطى العلم للذنن للخضر . فقال « وآتيناه رحمة من عندنا وعلما » من لدنا علما . قال موسى للخضر ^(٣) عليهما السلام . بم أطلعك الله على سرائر العباد ؟ قال : بتركى المعاصى . وأعطى العلم المزيدي لنبينا عليه السلام فقال « رب زدنى علما » وأعطى علم الأسماء والحروف لآدم عليه السلام . « وعلم آدم الأسماء كلها » . قال الضحاك بن مزاحم : أقعده على كرسي الكرامة ، وتوجه بتاج

(١) فى الأصل عهده .

(٢) السؤال خطأ . والجواب أشد خطأ . فليس هناك من يقول إن الحديث ليست له حلاوة . والعجب من أن الشبلى على جلالة قدره يجيب هذه الإجابة ويقرر أن الحديث ميت عن ميت . وهل الحديث إلا من سيد الحكماء صلى الله عليه وسلم ؟ ! وإذا تقدم العهد على الحكمة فهل هى إلا ميت عن ميت ؟ والصحيح فى الجواب عن هذه المسألة أن الحديث نوعان : آداب وتشريع . فاما الآداب فلا ثقل فيها على أى قلب وأما التشريع فإنما ينشأ الثقل فيه للتكليف .

(٣) فى الأصل الخضر .

الفخر، وختمه بخاتم العز، وسوره بسوار الأنس والبهاء، وزينه بزينة أهل الجنان، وعلمه اسم كل شيء من الأولين والآخرين، وما يكون إلى آخر الدهر، بلغه أهل السماء والأرض. وكان آدم عليه السلام يتكلم بسبعمائة ألف لغة^(١) أفضلها العربية لغة النبي صلى الله عليه وسلم. فذلك قوله تعالى «وعلم آدم الأسماء كلها» وأعطى العلم الرباني لأمة محمد صلى الله عليه وسلم كلها. فقال: «ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون».

قال أبو طالب المكي رحمه الله. والرباني من العلماء هو الذي يعلم ويعمل بما يعلم، ويعلم الناس الخير، فإذا كان كذلك، سمي في ملكوت السماء عظيماً. كذلك روى عن عيسى عليه السلام. والربانيون فوق الأحرار بدرجة، والأحرار فوق الرهبان بدرجة، والربانيون علماء القلوب، والأحرار علماء الألسن. وقال إبراهيم الخواص الحكيم يتجر برأس مال نفسه، والعالم يتجر برأس مال غيره، ومن اتجر برأس مال غيره فما أقرب إفلاسه.

وقال بعض المفسرين في معنى قوله تعالى «فقهناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً» قل. قسم الله العلم والحكمة والفهم والفراسة بين داود وسليمان ومحمد صلى الله عليه وسلم. أعطى العلم والحكمة داود عليه السلام، ولم يعطه الفهم والفراسة، وأعطى سليمان العلم والحكمة [والفهم] ولم يعطه الفراسة، وأعطى محمداً صلى الله عليه وسلم العلم والحكمة والفهم والفراسة. فقال في وصف داود وسليمان، وشأن حكومتهم في أمر الحرث، «فقهناها سليمان» خاصة دون داود «وكلا يعنى داود وسليمان آتينا حكماً وعلماً» وقال في وصف نبيينا صلى الله عليه وسلم «فلتعرفنهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول»، يعنى الفراسة الثابتة^(٥)، وفيما أوحى الله إلى عيسى عليه

(٤) ليس المراد العدد.

(٥) والمعرفة كذلك «فلتعرفنهم» ودليل إتيائه العلم صلى الله عليه وسلم قوله.

السلام : يا عيسى ما أكثر العلماء ، وليس كلهم ينتفع بعلمه ، وما أكثر
العاملين ، وليس كلهم متقبل عمله ، وما أكثر الشجر ، وليس كلها تثمر ،
وما أكثر الثمر ، وليس كله بطيب ، وما أوسع الأرض ، وليس كلها يسكن
فيه ، وما أكثر المتكلمين ، وليس كل كلامهم حق ، وما أكثر المياه ، وليس
كلها عذبة ، وما أكثر الناس وليس كلهم مؤمنين . وهذا يدل على أن
المنافع في الأشياء هي مودعة في أقل جزائها^(١) ، إذ مساحة الأرض مسيرة
خمسمائة سنة ، منها أربعمائة سنة خراب يباب^(٢) . فالعمران مسيرة مائة
سنة ، فقس على هذا جميع الأنواع تقف على صحة ما أشرت إليه .

وكان جميع الصحابة رضى الله عنهم علماء صالحين ، أتقياء أبرارا ، ومع
هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «خص كل واحد بنوع من الفضل» ويؤت
كل ذي فضل فضله ، وقال في ذلك : إن عويمر أبا الدرداء هو حكيم أمتي .
وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم
أبي بن كعب ، ومن أراد أن ينظر إلى حكيم هذه الأمة فلي نظر إلى أبي هريرة .
وعبد الله بن عباس فارس القرآن ، وذكر الحديث .

فانظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم . كيف ميز أصحابه في مراتب الفضل ،
وكلهم فاضل عالم . وفي الأثر أن رجلا قام إلى ابن عباس فقال : أي رجل
كان علي بن أبي طالب ؟ قال مليء جوفه حكمة . وعلمه وقرابة من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وبأسا ونجدة ، فظن ألا يمد يده إلى شيء إلا ناله
فحامد يده [إلى شيء] فناله^(٣) ففرق ابن عباس بين الحكمة والعلم ، ليدل على أن

== تعالى «وقل رب زدني علما» . وقد كان علمه ومعرفة عين الحكمة فقد بلغ فيهما
أرقى المراتب صعودا ونزولا . فيما وراء .

(١) ومن هنا كان سلوك الصوفية على طريق التواضع ؛ وإيثار دخول الذكر
وقد توسعوا في توضيح فضل هذا السلوك في أمهات كتبهم .

(٢) أرض يباب أي خراب يقال خراب يباب .

(٣) التعبير مضطرب في الأصل والمراد أنه لم يمد يده إلى شيء من أمور الدنيا ،

إلا حفظه الله منه .

الكل واحد منهم حكما ، وفي إنجيل عيسى عليه السلام : يقول الله عز وجل ثناؤه . بحق أقول لكم ، ليس في كل الزقاق يصلح العسل ، وكذلك ليس في كل القلوب تسكن الحكمة ، إن الزقاق تطهر العسل وتحفظه مالم تتحرق أو تقحل^(١) ، وكذلك القلوب تصلح للحكمة مالم تخرقها الشهوات ، ويقحلها الطمع ، ويدنسها الشح .

وقال يحيى بن معاذ . [يخرج] العارف من الدنيا ولم يقض وطره من أربعة أشياء : استماع الحكمة ، والفرح بالله ، والتلذذ بقراءة القرآن ، والاستشفاء من البكاء ، وقال يحيى : يعطى العلم بالتعليم ، وتعطى الحكمة بحفظ حرمان المشايخ^(٢) . وفيما أوحى الله تعالى إلى المحزون في بلائه : يا دواد الأمر من صبار كريم ، اصبر فإنما هي أيام قلائل . حرام على كل قلب يحب الدنيا ، أن يذوق طعم الحكمة . وقال الشبلي : العلم فضة والحكمة ذهب والمعرفة جوهر . وقال بعض السلف : العالم هو الذي يجيب إذا سئل ، والحكيم يعتذر في ترك الجواب إذا سئل ، والقاص هو المتكلف يتكلم قبل السؤال ، ويهذى وينطق بالمحال .

وقال ابن عباس : من علم علما فليقل به ومن لا فليسكت ، وإلا كتب من المتكلفين ، ومرق من الدين .

وقال يحيى بن معاذ : العالم يدعو إلى عمارة الدنيا مع العقبى ، والحكيم

(١) قحل الشيء يقحل قحولا يابس فهو قاحل والمتقحل الرجل اليابس الجلد الشيء الخال .

(٢) لادليل أوضح على صحة هذا الرأي من قوله تعالى . لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . فجرد رفع الصوت ، والنداء بما ينادى الناس به بعضهم بعضا ، يحبط الأعمال . والعلماء ورثة الأنبياء . والأنبياء لا يورثون في مال . بل يورثون في حالهم ، والمراد بالعلماء من خالطت خشية قلوبهم « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

يدعو إلى عمارة الآخرة وخراب الدنيا ، والعارف يدعو إلى نسيان الدنيا مع العقبى . وقال في تفسير قوله تعالى فيما يعاتب [به] نبيه ، ويمن عليه بما أعطاه من جليل عطائه ، فقال عز من قائل « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم » يعنى لولا أن ثبتناك بعلم المعرفة واليقين ، فخلصناك من التهلكة لقد كدت تركن إلى علوم العقل فتهلك وتضمحل ، فذلك حين خاطبه وفد ثقيف فقالوا : متعنا باللات والعزى سنة من غير أن نعبدهما (١) ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم عن جوابهم ، بلا طمع في إسلامهم ، ولا خوف من ارتدادهم ، فترك استعمال علم المعرفة ، وإقامة الحق ، ومال إلى علم المعقول ، وخفي [ت] عليه الآفة ، فكروا القول على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ويلكم تذكرون اللات والعزى ؟ أحرقت قلب النبي ، أحرق الله قلوبكم وأكبادكم ، أسلموا كما أسلم غيركم ، وإلا فاذهبوا صاغرين ، فلا حاجة لنا في إسلامكم ، فنزلت [ت] هذه الآية وهم جلوس . فلولا أن ثبتناك [لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا] .

وقال سهل بن عبد الله الناس في طبقة الفضل على مقامات ثلاثة : تقى غير عالم ولا حكيم ، وعالم تقى غير حكيم ، وحكيم عالم تقى ، وأفضل هؤلاء العالم التقى الحكيم . وفي حديث ابن مسعود رضى الله عنه : المنقون سادة ، والعلماء قادة ، ومجالستهم زيادة ، يعنى إن المتقين سادة الناس كما قال الجليل فى محكم التنزيل إن أكرمكم عند الله أتقاكم . والعلماء قادة [هم] ، يقتفون (٢) آثارهم ، كما قال « واجعلنا للمتقين إماما » ففضل علماء المتقين بدرجات على المتقين غير العلماء ، وجعل العلماء أئمة للمتقين والمتقين أصحابا لهم . وشهد بالمزيد بمجالستهم على مجالسة التقى الذى ليس بعالم ، لأن كل عالم متق . كما قال الله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وليس كل متق بعالم كما قال سهل ابن عبد الله . العلماء كثير والحكماء من العلماء قليل ، والصالحون كثير

(١) فى الأصل : نعبد .

(٢) على الهامش : يقتدون .

والصادقون من الصالحين قليل ، وكما سئل عبد الله بن المبارك . من الناس ؟ قال العلماء . قيل فمن الكبراء عن الناس ؟ قال الحكماء . قيل فمن الملوك قال الزهاد . قيل فمن السفلة ؟ قال من أكل دنياه بدينه .

وقال بعضهم العالم محتاج إلى الحكيم ، والحكيم غير محتاج إلى العالم ، احتاج موسى إلى الخضر ، ولم يحتج الخضر إلى موسى فقارقه . وما يصح (في) هذا ما حكى في الأثر . كان أحمد بن حنبل رضى الله عنه كثيرا ما يختلف إلى معروف السكري ، فقال له ابنه صالح ذات يوم ، يا أباه . إنك تكثر الاختلاف إلى معروف فهل عنده علم أو وقع إليه إسناد لم يقع إليك ؟ فقال : يا بني . عند أصل الدين ومنع علوم التقي والحكمة . ويقال إن الشافعي رضى الله عنه كان إذا اشتبه [ت] عليه المسألة من الفقه فلم يجد لها دليلا في الكتاب والسنة دخل على شيبان الراعي ، فيقول له : يا أبا محمد . كيف ترى في هذا ؟ ويجلس ^(١) بين يديه ، فيكشف ما أشبه عليه من المسألة . وقال أبو العباس الشيباني : من حفظ قلبه مع الله بالصدق ، أجرى الله على لسانه الحكمة .

وسئل بعضهم . العلم أجل أم المعرفة ؟ . قال لا . بل المعرفة أجل . لأن العلم يكون في الشريعة ، والمعرفة [تكون] في الذات ، والأنبياء صلوات الله عليهم يقولون غدا عند السؤال : لا علم لنا ، ولا يقولون لا معرفة لنا . والعلم أعطى الله لآدم وداود وسليمان « ولقد آتينا داود وسليمان علما » . وعلم آدم الأسماء كلها ، والمعرفة أعطى محمدا « فلتعرفتهم بسيماهم ، ولتعرفنهم في لحن القول » لبيان ^(٢) الفضل في المعرفة . وقال أبو العباس الدينوري : العلم علان . علم قيام العبد بقيامه مع الله : وعلم بعلم الله في العبد . وهو العلم المغيب عن العباد . إلا ما كشف به عن طرف من ذلك من نبي أو خاص ولي .

(١) في الأصل : جالس .

(٢) في الأصل : في بيان .

وقال اليوشنجي : العلوم ثلاثة علم الأحكام وهو سراج البدن ، وعلم التوحيد وهو سراج القلب ، وعلم الحال وهو سراج السراجين .
وقال علي بن يزيدانيار رحمه الله . سمعت شنيدين يقول : اشتبهت مسألة علي قاضي خراسان ، فجاء إلى حاتم الأصم^(١) فجلس بين يديه ، ثم قال : إني أريد أن أسألك عن مسألة [ف]قال له : تركت العلماء من أصحابك وجئت تسألني ؟ فقال . ما تدري . مامثلي ومثلك [إلا] كمثل ملك ضل في البرية ، فهل يسأل الطريق مامثلا أم راعيا ؟ قال فإنك مرحوم . قال . إنه يجلس بين يدي خصمان ، وأحب أن تكون القضية لأحدهما ، قال والله ما عرفت ربك . قال القاضي ارفق بي . قال واعجبا ! ! تقتل نفسك بنفسك وتطلب مني رفقك ؟ .

والناس يتأدبون بالعالم ، والعالم يتأدب بالحكيم ، والحكيم يتأدب بالفقير ، والفقراء متأدبون بالله ، مشغولون بحفظ حرمة الله . وقال سهل بن عبد الله : الناس كلهم موتى إلا العلماء ، والعلماء كلهم سكارى إلا العاملين ، والعاملون نيام إلا الخائفين ، والخائفون منقطعون إلا المحبين والمحبون أحياء شهداء وهم المؤثرون الله على كل حال .
وقال بعضهم : العلم بالتعليم والحكمة بالتجويد ، فالعلم من اللسان إلى اللسان ، والحكمة من الغيوب إلى القلوب ، وكان أحمد بن حنبل يقول : للعلم إنما هو ما جاء من فوق . يعني إلهاما من غير تعليم . ومن أحسن ما سمعت في معنى هذا ما حكى عن تفسير قوله تعالى : يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم قيل العلم . وريشا . قيل اليقين ، ولباس التقوى قيل الحياء . وقال عبد الواحد بن زيد : سألت الحسن البصري رضي الله عنه عن علم الباطن ماهو ؟ قال سألت حذيفة عن علم الباطن ، فقال سألت ميكايل عن علم الباطن ، فقال سألت القلم عن علم الباطن ، فقال سألت الرب جل ثناؤه عن علم الباطن . فقال : علم الباطن هو سر من سرى . أخفيته

(١) في الأصل : أبي حاتم الأصم .

عن خلق وأودعته عند خاصة عبادي ، وهو نتاج معرفتي وموارثة خدمتي .

قال أبو طالب المكي الظاهر والباطن هما علمان أصلان لا يستغنى أحدهما عن صاحبه ، بمنزلة الإسلام والإيمان ؛ مرتبط كل واحد منهما بالآخر ؛ كالجسم والقلب لا ينفك أحدهما من صاحبه^(١) . وقال الجنيد رحمه الله . لو أن العلم الذي أتاكم به من عندي لفنى وانقطع ولكنه من حق بدأ وإلى حق يعود . وقال أبو طالب المكي . روينا في بعض الأخبار أن في بعض الكتب المنزلة : يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ؟ ولا في تخوم الأرض من يصعد به ؟ ولا من وراء البحار من يعبر [١] يأتي به . العلم مجعول في قلوبكم . تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين ، وتخلقوا إلى بأخلاق الصديقين ، أظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم^(٢) ، وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من العلم ، وهو

(٣) هذا هو مذهب الصوفية في علم الباطن وعلم الظاهر . أو الشريعة ، والحقيقة فقد أجمعوا على أن كل حقيقة لا تؤيدها الشريعة فهي باطلة ، ولا يقتدى بصاحبها ولو ظهرت عليه الخوارق . ولو طار في السماء أو مشى على الماء على حد تعبيرهم ، فعلم الباطن ، هو فقه أعماق علم الظاهر الذي هو الشريعة . فالهيج مثلاً . من قام به متمماً شعائره كلها . فقد أتى بعلم الظاهر ، ومن فقه من الإحرام . التجرد لله إلا بما يحفظ شريعته من ستر العورة . ومن فقه من الطواف : الطواف حول عرش الرحمن والتشبه بالملائكة في الطاعة ، ومن فقه من رمي الجمار . التهيؤ للذب عن محارم الله ، ورجم نفسه الأمانة . من فقه ذلك وغيره من الأسرار ، فقد أوتي حظاً من علم الباطن ، الذي لم تنفك عنه الشريعة في أي مرحلة من مراحلها ، وبعض الملاحدة فصلوا بين علم الباطن وعلم الشريعة فقالوا في خرق الخضر للسفينة : هو تجريد الله بتجريده عن كل ما يشغل فكره في الحياة حتى من عرضه وعرض أهله . والقاريء يدرك مدى الشناعة في نفس التأويل ، حينما انفصلت الحقيقة عن الشريعة .

(١) هذا مذهب الصوفية في تعلم العلم . فهم يرون أن العلم المكتسب من =

العلم الذى لا ينفع صاحبه ، كما استعاذ من الشرك والشقاق ، ومساوىء
الأخلاق ، فقال : أعوذ بك من علم لا ينفع . ثم قال فى حديث آخر . العلم
علمان علم ظاهر فذلك حجة الله على خلقه ، وعلم باطن فذلك العلم النافع ،
والذى لا ينفع صاحبه من العلوم ليس هو العلم الباطن ، والعلم الظاهر
يحتاج إلى تقوى ، فإذا لم يكن معه تقوى ، فهو باب من أبواب الدنيا
والمرئى . وقيل العلم الباطن يخرج من القلب فيقع على القلب ، والعلم الظاهر
يخرج من اللسان فلا يجاوز الآذان .

وقال أبو طالب : العلم الظاهر من عالم الملك ، وهو من أعمال اللسان ،
واللسان خزانة الملك ، وعلم الباطن ، من عالم الملكوت ، وهو من أعمال
القلوب ، والقلب خزانة الملكوت ، وكان حاتم الأصم أحد الحكماء ،
فاجتمع إليه الناس يوما ، فقالوا له : اجلس فى الجامع فإن الناس قد
احتاجوا إليك ، فقال لا يجلس فى الجامع إلا جامع أو جاهل . فليست

= الأوزاق ، ليس بعلم . وإنما هو علم تقليد ، وذوق مستعار ، والعلم كامن فى كل
روح إنسانية ، وإنما يمنعه من الظهور حجب النفس . ومتى قام العبد على قدم
التجرد لله باتباع شعائره ؛ واجتناب مكارهه ؛ وصدق توجهه إلى ربه . وصحت
نيتته ؛ وولى وجهه بعزم وثبات ، نحو الطريق . انكشفت تلك الحجب ؛ وبرز العلم
الكامن ؛ بمقدار ما فى المرید من عزم الجذب من عالم الفيض .

وقد برز هذا العلم على ألسنه بعض كبار الصوفية . من الأميين الذين جهلوا
القراءة والكتابة تماما . من أمثال . سيدى عبد العزيز الدباغ صاحب « الإبريز »
وسيدى على الخواص ؛ وقد نقل الإمام الشعرانى أبحاثه فى العلم ، والسيدة عجم
بنت النفيس البغدادية شارحة « المشاهد الإلهية » للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى
والقارىء لهؤلاء الاعلام يدرك المدى البعيد الذى وصلت إليه مداركهم . وقد
برز كثير منهم فى العلوم المختلفة حتى الجديد منها الآن (راجع المواقف . للنفرى)
وغیره من الكتب التى تعرضت لحقائق التصوف .

بجامع ولا أحب أن أكون جاهلا . فأكرهوه على ذلك حتى جالس . فبينما [هو] ذات يوم في مجلسه إذ قال : يا أيها الناس . جثتم لذكر الله ، قالوا نعم . قال : هل بكم ألم وجع الذنوب ؟ قالوا نعم . قال : فهل احتميتم لشرب الدواء ؟ قالوا : لا . قال : ماذا ؟ تأمروني أن أضيع الدواء ؟ قالوا : إنا نرجو بركة الذكر . قال : فمن المتكلم من بينكم ؟ قالوا : أنت . قال : فمن المستمع ؟ قالوا : نحن ، قال : فمن العامل ؟ فسكت القوم ونكسوا رؤوسهم . وقام حاتم ليمضي . فقالوا : إلى أين ؟ قال : قد حضر المتكلم والمستمع والعامل غائب فإذا تنتظروه . قالوا : لا تقنطننا . قال : والله لا ينفع ضرب المطرقة في الحديد البارد . قوموا وانحتوا أنفسكم بالمجاهدة وتعالوا . وقال ذو النون : المصري : بينا أسير في بعض أسفارى إذ وقعت على حجر عظيم مكتوب عليه : اقلبنى تعتبر . فقلبته ^(١) ، فإذا عليه مكتوب . كيف تطلب علم ما لم تعلم ؛ وأنت بما تعلم لا تعمل . فقلت لنفسي : خذها حكمة . قال فتكلم النورى يوما بلسان المعرفة عن غلبة الوجد بمشاهدة التوحيد ؛ فدقق وحقق فقال قائل : لو كررت لنا التكنة ^(٢) ؛ فقال إن جددت لنا الحالة ^(٣) . وسأل رجل عبد الله بن المبارك عن مسألة فأجاب فقال أعد على فقال أنا في ندامة . مما قد جرى ^(٤) . وقال الكتانى : العلم بالله أفضل من العلم لله ومن العبادة لله .

وقال أبو عبد الله الدينورى . أرفع العلوم في التصوف علم الأسماء والصفات ^(٥) ؛ وتميز الحلال من الاختلاف . وإخلاص أعمال الظاهر ؛

(١) في الأصل : فأقلبته .

(٢) يعنى الدقيقة من مسائل المعرفة .

(٣) وذلك لأن العارف لا يتكلم إلا عن حال غلبة ، فإذا كان في حال التمكن .

آثر الصمت .

(٤) لأنه تكلم في مسائل لا يجوز سماعها إلا لأهلها .

(٥) أى العلم بسرّيات عمل الأسماء والصفات في الأكوان ظاهرا وباطنا .

وتصحيح . أحوال الباطن وقد جاء في الأثر . أن الله لا يعذر على الجمل ولا يحل للجاهل أن يسكت عن جهله . ولا يحل للعالم أن يسكت عن عليه (١) وقد أمر الجاهل بسؤال العالم ؛ وأمر العالم بحسن الرد على الجاهل ؛ فقال للجاهل « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وقال للعالم « وأما السائل فلا تنهر ، يعني إذا جاءك متعلما فلا تزجره . وقال الفضل : إنما هما عالمان . عالم دنيا وعالم آخرة ، فأما عالم الدنيا فعلمه منشور ، وأما عالم الآخرة فعلمه مستور . فاطلب عالم الآخرة واهرب من عالم الدنيا . لا يصدنك عن طريق الحق بسكره . ثم قرأ : « يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله » وقال عيسى عليه السلام مثل العلماء السوء . كمثل الصخرة وقعت في نهر جار . لا هي تشرب الماء فتنتفع ولا هي تترك الماء فيخلص إلى الزرع والشجر ؛ فيحیی العباد والبلاد . فهم غير مخلصين إلى الله . ولما أوحى مرسل الزبور إلى صاحب الزبور . قال يا داود لا تسكن إلى عالم قد أسكرته الدنيا فيصدك بسكره عن طريق محبتي . أولئك قطاع الطريق على عبادي (٢)

المريدين .

وسئل أبو الدرداء عن لقمان وحكمته فقال . أما والله ما أوتي الحكمة الخشب . ولا لأهل ولا عشيرة . ولا مال ولا بسطة في جسمه . لكنه كان رجلا أسود الجسم . أبيض القلب . وهو قوى في أمر الله . متورع في دين الله . طويل السكوت . دقيق النظر . كثير الحزن . عظيم الفكر . حديد البصر . منتفع بالعبر . لم ينم بالنهار قط . ولم يبك في حفل قوم قط . ولم يره أحد على بول ولا غائط ولا اغتسال قط . لشدة سبره وعمق نظره .

(١) أي يكتمه عن الجميع في الحلال والحرام والأركان ، أو يكتمه عن الخاصة في السلوك والمعارف إن واثاه الحال .

(٢) لأنه يضل الناس بتطويع عليه لخدمة الأغراض الدنيوية ويتأول ما يدعو إلى الآخرة تأولا قد يكون منحرفا .

ولم يضحك قط . ولم يغضب قط . مخافة الإثم . ولم يمازح قط . ولم يفرح ، وقد نكح النساء فولد له أولاد كثيرة . قدم أكثرهم ^(١) قبضا . فما بكى عند موت واحد منهم . ولم يمر برجلين يقتتلان أو يختصمان إلا أصلح بينهما ، ولم يسمع من أحد قولا قط يستحسنه إلا سأل عن تفسيره وعن أخذه . وكان يكثر مجالسة الحكماء ، فكان يغشى القضاة والسلاطين ، فيرى القضاة وما ابتلوا به فيعتبر بهم ، ويرى السلاطين والملوك وعزتهم بالله ، وطمانيتهم إلى الدنيا ، فيفكر في ذلك ويرحمهم . وكان يداوى قلبه بالمعرفة ، ويداوى نفسه بالعبرة ، ويداوى عينه بالدمعة ، ويداوى جسده بالكد والخدمة ، فلذلك أوتي الحكمة . وقيل العارف ينطق ويبكى والحكيم ينطق ويشتكى ، والعالم ينطق ويشتهى ، والجاهل ينطق ولا يبالي . وقال بعضهم في معنى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . فالذين يعملون بما يعلمون ليوفقهم الله لما لا يعلمون ، حتى يكونوا علماء حكماء . وقال بعضهم العلم بالتعليم والفهم والنقطة ، والمعرفة لا تحدد بالتمييز والتقدير والتعليم . فالعلم حد وغاية ؛ وليس للمعرفة حد ولا غاية ولا نهاية ؛ والعلم ينزل بصاحبه باب السماء ؛ والعقل ينزل بصاحبه عند العرش . والمعرفة تنزل بصاحبها ^(٢) عند الرب . فنور المعرفة متصل بالرب . ونور العلم غير ذلك . والعلم يكون للكافر والمؤمن . والمعرفة لا تكون إلا للمؤمن . والعلم عام والمعرفة خاصة . ويقال آخر علم الإيمان أول علم اليقين وآخر علم اليقين أول عين اليقين ؛ وآخر عين اليقين أول حق اليقين . ولا آخر حق اليقين . كما لا آخر ليوم القيامة .

قال أبو طالب المكي رضى الله عنه . ومثل هذه العلوم . مجموعة في بدو اللبن إلى أن تصيره الرجال السمن . فمثل علم الإيمان كاللبن الحليب يصلح لبعض المعاني . وعلم اليقين كالحامض من اللبن تزيد منافعه . وعين

(١) في الأصل أكثره .

(٢) الأصل بصاحبه .

اليقين كالزبدة تزيد منافعها^(١) . وحق اليقين كالسمن إذا ذوب وصفي وبلغ نهاية الأحوال . واجتمع فيه جميع المنافع من طرق شتى .

قال الجنيد في معنى قوله « فاسألوا أهل الذكر » قال : أهل الذكر العالمون بحقائق العلوم . ومجاري الأمور . والناظرون إلى الأحكام بأعين الغيب قال أبو يعقوب السوسى . أفضل علم العلماء . علم السر في ثلاث خصال أولها على صحة الإيمان في القلب . والثاني معرفة الخطرات على القلب بالصحة من السقم . والثالث علم المعرفة الحق من الحق . وقال الجنيد . إن الله جل ثناؤه أفهم سليمان مسألة من العلم . فمن عليه بذلك وأعطاه الملك فلم يمن عليه . وقال « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » بل أراه حقارته في أربعة^(٢) مواضع . حين سأله الملك واختار [هـ] عرفه قلة ملكه وخسته . وحين ألقى على كرسيه جسدا . وحيث قال : فسخرنا له الريح . أراه أن الملك الذي أعطاه ريح لأنه لا يدوم والملك هو الذي يدوم وحين قال له آصف [بن برخيا] وهو الذي عنده علم من الكتاب « أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » وحيث قال : هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب . أى أعط من شئت لحقارته وخسته . ثم قال في إعطاء العلم : ففهمناها سليمان .

وقال ابن المبارك من طلب العلم لله فهو في النقصان^(٣) ومن طلبه لغير الله فهو في الزيادة قيل وكيف ذلك ؟ قال : إذا طلب الله يكتفى منه باليسير . فيقول : أحتاج مع هذا إلى عمل . وإذا طلب للناس فهو في طلبه في الزيادة وفي عمله في نقصان . وقال الحسين في معنى قوله عز وجل « الرحمن فاسأل به خبيرا » هم الذين أفامهم الله في البلاد . أدلة للعباد . فمنهم من يدل على شرائع الآداب . ومنهم من يدل على الحق . وهو الدليل على الحقيقة . لأن

(١) في الأصل « منافعها » .

(٢) في الأصل ثلاثة .

(٣) في الأصل اليقضان .

الكل محتاجون إليه ، وهو مستغن عنهم ، يرجعون إليه في السؤال ، ولا يسأل هو أحدا . كالحضر ونظرائه ، لأنه أوتي العلم اللدني .

وقال الفضيل ابن عياض : كان الرجل في بني إسرائيل لا يفتي ولا يتحدث حتى يتعبد سبعين سنة ، وقيل لأحمد بن حنبل : إذا كتب الرجل مائة ألف حديث يحل له أن يفتي ؟ قال لا : قيل فماتى ألف حديث ؟ قال لا . قيل فثلاثمائة ألف ^(١) حديث ؟ قال أرجو . وقال بعض السلف . من لم يعرف اختلاف العلماء لم يحل له أن يفتي ولا أن يتصدر ولا أن يسمى عالما ، ونظر رجل إلى إسحق بن راهويه وقد وضع قلنسوة على رأسه ، فقال له إسحق : ما هذا النظر ؟ فوالله ما وضعتها ^(٢) على رأسي حتى حفظت أربعين ألف حديث حفظا .

وقال ابن عطاء في معنى قوله تعالى « ولقد آتينا داود وسليمان علما » علما بربه ، وعلما بنفسه فأثبت عليهم بالله عليهم أنفسهم ^(٣) ، وأثبت لهم عليهم بأنفسهم حقيقة العلم بالله . قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . من عرف نفسه فقد عرف ربه . ويقال إن يحيى وعيسى عليهما السلام كانا يصطحبان في السياحة ، فإذا بلغا باب قرية أو مدينة يقول عيسى : دلوني على أفجر رجل في هذه المدينة وأطغاه ، ويقول يحيى : دلوني على أبر رجل وأتقاه . فيقول يحيى لعيسى : يا ابن خالة . مالك لا تنزل [على] الأبرار والآتقياء ؟ فيقول ^(٤) : إنما أنا طبيب أعالج أهل البلوى . وأداوى المرضى .

وقال سهل بن عبد الله : في معنى قوله عز وجل « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق [بالخيرات] » قال السابق العالم ؛ والمقتصد

(١) المبالغة ظاهرة في العدد والصواب ثلاثة آلاف حسبما ذكرت كتب الأصول .

(٢) في الأصل : وضعته .

(٣) في الأصل « على أنفسهم » .

(٤) في الأصل قال .

المتعلم ؛ والظالم الجاهل . وقال حكيم : لا تأخذ من الدنيا إلا ثلاثة أشياء :
تكن من الفائزين : خذ من السكنوز الحكمة تنفق منها^(٢) الليل والنهار
ولا تنفذ ؛ وخذ من الزاد التقى تبلغ المنزل ؛ وخذ من التجارة الطاعة
يعظم لك الربح غدا . وقال بعضهم في معنى قوله . فمنهم ظالم لنفسه . . الآية
الظالم المجتهد^(٣) والمقتصد العالم بأحكام الله والسابق العالم بالله وبأسمائه وصفاته .
وقال ابن عطاء . العلم أربعة علم المعرفة ؛ وعلم العبادة ؛ وعلم العبودية ؛
وعلم الخدمة ، وقيل الحكماء أطباء ؛ والقصاص صيادلة ؛ والعلماء زين ،
ومجالستهم كرم ؛ والنظر إليهم عبادة ؛ والمشي معهم فخر ؛ ومخالطتهم عز .
والأكل معهم شفاء ؛ تنزل عليهم ثلاثون رحمة ؛ وعلى غيرهم رحمة واحدة ؛
هم أولياء الله . طوبى لمن خالطهم ؛ جعلهم الله للناس شفاء ؛ فمن حفظهم
لم يندم ؛ ومن خذلهم ندم .

وقال الجنيد . العلم أرفع من المعرفة وأتم وأكمل وأشمل . ولذلك تسمى
الله بالعلم ولم يتسم بالمعرفة . فقال ؛ والذين أوتوا العلم درجات^(٤) . ثم لما

(٢) في الأصل منه .

(٣) كيف يكون المجتهد ظالماً لنفسه ؟ وهو إن أخطأ فله أجر وإن أصاب
فله أجران . فهو مأجور في حال الصواب والخطأ . وإن قيل إن ظله لنفسه
لأنه شغل نفسه بعلم الظاهر ، فمن الأمة يرسم لها حدود دينها وينقذها من شكوك
الحلال والحرام ؟ ولعل المقصود بالمجتهد الظالم هو الذي لم يبلغ رتبة الاجتهاد ويزج
نفسه في ميدانه أو يجتهد في غير نطاق المذاهب المعترف بها .

(٤) الآية : «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» . وليس
فيها دلالة على تسمية الله تعالى نفسه بالعالم كما ذكر المسكي . والدليل الصريح قوله
تعالى «عالم الغيب والشهادة» ، فإنه عليم بذات الصدور ، ولعل الدلالة في علمه تعالى
بمراتب العلماء ؛ فهو بالعلم أعلم «يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم» ، الخ .
فالدلالة في الآية . أن الذي يرتب العلماء درجات بعضهم فوق بعضهم لا بد أن
يكون عليماً .

خاطب النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبه بأتم الأوصاف وأكملها وأشملها للخيرات . فقال : « فاعلم أنه لا إله إلا الله » ولم يقل فاعرف لأن الإنسان قد يعرف الشيء ولا يحيط به علما . فإذا عرفه وأحاط به علما فقد علمه (٥) وقيل اجتمع الحكماء فتكلموا بأربع كلمات . ولم يقدرُوا على خامس منها . قالوا رأس مال الرجل عمره . ونعمته صحة بدنه . وغناه قناعته . وحسبه تقواه . ولم يجدوا لها خامسا . وقال الواسطي . العلم حجة . والمعرفة غلبة (٦) غير محكوم بها .

ويقال إن هرون الرشيد دعا الأوزاعي إلى حضرته فأبى . فجاء إليه وسأله عن شيء فأجابه . فقال له : ما بالي ملئت منك غضبا وغيظا . فإذا رأيتك ملئت فزعاً ورعباً ؟ فقال الأوزاعي : سمعت أنسا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تعلم العلم لله لم يخف من أحد ولا شيء . وخاف منه كل شيء . ومن تعلم العلم لغير الله . خاف من كل شيء . ولم يخف منه شيء » وقال صلى الله عليه وسلم . من استغنى بالله . أحوج الله إليه الناس ومن استحضر خشية الله في قلبه . أنطقه الله بالحكمة .

وقال الواسطي في معنى قوله تعالى « فاعلم أنه لا إله إلا الله » : هما دعوتان دعا إبراهيم عليه السلام إلى قوله « أسلم » ودعا محمداً صلى الله عليه وسلم إلى قوله « فاعلم » دعا أحدهما إلى العلم ، والآخر إلى الإسلام ،

(٥) معرفة الله تعالى أرقى أنواع المعرفة ، والطريق إليها يشمل فنون العالم كله . ولما عرف الله نفسه لم يشرك معه في هذه المعرفة إلا الملائكة والعلماء . قال تعالى : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم » أما تسمية الأولياء بالعارفين بالله فهي من باب التسامح [راجع أول مواقع النجوم : لابن عربي] .

(٦) وردت المعرفة بمعنى الفراسة في قوله تعالى « ولتعرفنهم في لحن القول » فعرفه الرسول صلى الله عليه وسلم وفراسته ليست من باب الغلبة غير المحكوم بها . فعلمه ومعرفته وفراسته عين الحق « وما ينطق عن الهوى » والحكم بالغلبة غير المحكوم بها ؛ يراد به كشف الأولياء حيث قالوا إنه ليس بحجة .

وأعلاها العلم . وهو مرتبة الآجلة ، والإسلام هو الانقياد ، والانقياد إظهار العبودية ، والعلم إظهار الربوبية ، لاجرم ابتلى إبراهيم حين قال أسلمت ، بالنار وذبح الولد وغيرهما . وقال بعضهم : لا تتم الحكمة في أحد حتى يكون مبرأ من ثلاث . الحسد والهوى والكذب . لأن من حسد بغى ، ومن هوى غمر فيه ، ومن كذب لم ينتفع به وإن صدق . وقال سهل في معنى قوله تعالى « فاعلم » خلق الله الخلق ، ثم أحياهم باسم الحياة ، ثم أماتهم بجملهم . فمن حي بالعلم فهو حي ؛ وإلا فهم موتى بجملهم ؛ لذلك دعا نبيه إلى محلة الحياة بالعلم بقوله (١) « فاعلم » .

وقال سهل . اجتمع علماء بني إسرائيل في موضع فقالوا إنا تعلمنا العلم ولم نزد (٢) منه هيبة ولا حكمة ولا ورعا فأنزل الله إلى نبي ذلك الزمان . قل لهم إني أهب الهيبة بالأسفار وأتم نائمون ، وأخرج الحكمة في بطن خال وأنتم تشبهون ، وأقسم التقوى والورع في صحبة الاتقياء وأنتم لها مفارقون .

قال . ودخل بهلول على هارون الرشيد فقال : يا بهلول أفدنا من حكمتك فقال : يا أمير المؤمنين . قد أفاد العليم الخبير قبلي إن كنت للفائدة أهلا ، حيث يقول : « فإن خير الزاد التقوى » فأما السفر فهو بين يديك كما كان لم ينقطع منه شيء ، وأما الزاد فلا أدري هل تزودت كما أمرت أم توليت وأدبرت ؟ ثم أنشأ يقول :

ستزعجك المنايا عن قرارك	ويبدلك الردى لحدا بدارك
وتترك ما شقيت به زمانا	وتنقل من غناك إلى افتقارك
وعينك في محل الدود تبلى	وترقع عين غيرك في ديارك
فبادر توبة لتحل دارا (٣)	تلذ بها وتنعم مع جوارك

(١) في الأصل « لقوله » .

(٢) في الأصل « يزدد » .

(٣) في الأصل « تحيل بدار » .

على ورد ونسرين زكى وريحان الجنى مع جلمنارك
ثم قال إن الطبيب إذا سقى الشبعان دواء أتعب نفسه ، وضع متاعه ،
ثم خرج وهو يقرأ « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة
كانوا فيها فاكهين ، وقيل الحكيم لا يزداد حكمة إلا ازداد من ربه خوفا ،
وإليه قربا ، ومع الخلق تواضعا .

والعالم غير الحكيم لا يزداد علما إلا ازداد من الله أمنا ، وعن الله
بعدا ، ومع الخلق تكبرا . وقال بعض أهل المعرفة . الناس في العلم والحكمة
على أربع طبقات : رجل عالم لسانه جاهل قلبه ، فذاك العالم الفاجر ، وهو
الذى يقول [فيه] عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كم من عالم فاجر ،
وعابد جاهل ، فاتقوا الجاهل من المتعبدين ، والفاجر من العلماء ، وقال
النبي صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان »
جاهل القلب ، يقول ما تعرفون ، ويفعل ما تنكرون ، وقال الحسن :
يتعلم العلوم قوم لا نصيب لهم منه فى الآخرة ، تحفظ أيديهم العلم لئلا
يضيع . والثانى . رجل عالم قلبه جاهل لسانه . فذاك العالم التقي الخائف
كما قيل [لبعض] أهل المعرفة أكان فتح من العلماء ؟ قال : كفاه من علمه
زهده فى الدنيا . والله تعالى يقول « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ومن
ترك الفانى للباقى فهو العالم الحقيقى . والثالث . رجل عالم لسانه عالم قلبه
فذاك العالم الربانى ، وهم الذين وصفهم على بن أبى طالب رضى الله عنه
فى كلامه إن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة . إما ظاهر مكشوف ، وإما
خائف مرغوب^(١) ، وكم وأين أولئك الأقلون عددا والأعظمون قدرا ؛
أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة ، صحبوا الدنيا بأبدان
وأرواحها معلقة بالمحل الأعلى . أولئك العلماء الربانيون . وكان الحسن
يقول اعملوا ما شئتم أن تعلموا ، فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا .
وإن السفهاء همته الرواية ، كما كان العلماء همته الرعاية . وفى الخبر : كل

(١) أى معتزل يرغب الناس فى لقائه هو لا يريد ذلك .

يحتاج إلى العلم [ويحتاج إلى أن] يعمل ويعلم . وقال لقمان الحكيم :
يا بني كما لا يصلح الزرع إلا بالماء والتراب ، كذلك لا يصلح الإيمان
إلا بالعلم والعمل . والرابع . جاهل لسانه جاهل قلبه ، وهم الذين حذر
النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون منهم . فقال : كن عالما أو متعلما
أو مستمعا أو محبا ، ولا تكونن خامسا فتهلك . وقيل في معنى الخامس
هو المبتغض للعلماء وقال المازني . أيها الطالب العلم . اجعل حفظك للعلم
حفظ رعاية ، ولا تجعله ^(١) حفظ رواية ، فإن رواية الحكمة كثيرة ورعايتها
قليلة ^(٢) . ورب حاضر غائب ، وعالم جاهل ، وحامل للكتاب ^(٣) والسنة
ليس معه منها شيء ، فانظر فيم طلبته ولمن أردته فإنك موقوف عليه ومستول
عنه ومجازى به .

وقال الحكيم : ستة أشياء من طبائع الجاهلين . من غضب من غير حق
فهو جاهل ، ومن أعطى في غير حق فهو جاهل . ومن كثر كلامه من غير
نفع فهو جاهل .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفة أهل الجهل . همج ^(٤)
رعاع . وهو حفيف الطيار لا عقل له يثبته . ذليل يستغزه الطمع .
ويستخفه الغضب . ثم قال في وصفهم : أتباع كل ناعق . أي كلما سمع صوتا
عاليا ابتدر بهد إليه لا يعرف العالم من المتكلم . ثم قال في تمام وصفهم :
يميلون مع كل ريح . لم يستضيئوا بنور العلم . ولم يلجأوا إلى ركن وثيق .
فهؤلاء الذين خلاهم الرسول من الخير فقال في حكمه صلى الله عليه وسلم :
العالم والمنعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر الناس بعدهم . فهم الذين

(١) في الأصل ولا تجعلها .

(٢) الأصل قليل .

(٣) في الأصل لكتاب .

(٤) الهمج جمع همجة وهو ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم
والخير وأعينها .

وصفهم على بن أبي طالب رضى الله عنه . نعوذ بالله من الجهل . قال أبو طالب . والهمج ، هو الفراش يقتحم ضوء النهار فيتهاقت فيها فيحترق ويتلاشى ، واحده همجة . قال سهل . خصلة واحدة . من نجافى الدنيا من الجهل نجافى العقبى من النار .

قال سهل . فتشت المعاصى كلها ، فلم أر فيها معصية أعظم من الجهل ، قيل فهل شيء أعظم من الجهل ؟ قال نعم . الجهل بالجهل وأنشد في معناه : إذا أنت لا تدري ولا أنت عالم بقول الذى يدري فحتى متى تدري ومن أعظم البلوى بأنك جاهل وأنك لا تدري بأنك لا تدري وقال ابن وهب : ذكر طلب العلم عند مالك بن أنس فقال . إن طلب العلم لحسن ، وإن العمل بالعلم أحسن ، وإن نشر العلم لحسن إذا صحت لك فيه النية ، ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى أن تمسى ، وحين تمسى إلى أن تصبح ، فلا تؤثرن على ذلك شيئاً^(١) ، فإذا فعلت ذلك فانت الحكيم العالم . وقال سهل . بعد ثلاثمائة سنة لا يحل للرجل أن يعلم هذا [العلم] إلا أنه يحدث قوم يتصنعون للخلق ويتزينون للكلام ، ويتعاطون بالسلام ، تكون مواجيدهم لباسهم ، وحليتهم كلامهم ، ومعبودهم بطونهم .

قال أبو طالب المسكى . كل نوع من العلوم يتأتى بذله ونشره لمنافق أو مبتدع أو مشرك ، إذا رغب فيه ، إلا علم الإيمان والمعرفة واليقين ، فإنه لا يتأتى ظهور مواجيده ، وكشف مشاهداته ، والكلام فى حقائقه ، إلا لمؤمن وموقن . لأن ذلك عهد عند الأولياء من عباده ، ووديعة عند الخواص من خلقه ، وعهده لا ينال الظالمين ، ووديعة لا تكون وجوداً للباطلين ، وخسر هنالك المبطلون .

وقال بعض العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه

(١) أى . ما يلزم الإنسان من فرائض وسنن ومندوبات من أول النهار إلى آخره كالصلاة والتسبيح والذكر وتلاوة القرآن ونوافل الخير كلها .

سوء الخاتمة . وقال آخر من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى ، لم يتحقق بشيء من هذا العلم أبدا . وقال آخر : من كان فيه خصلتان لم يفتح له من هذا العلم حرف . كبر أو بدعة .

قال أبو طالب . اتفق أهل المعرفة [على] أن علم الباطن هو علم الصديقين ، وأن من كان له نصيب [منه] فهو من المقربين ، فوق درجة أصحاب اليمين ، قال سهل . من أنكر هذا العلم فأيسر عقوباته ألا يرزق منه شيئا (١) . وقال أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الخضر حين قال لموسى إنك على علم من علم الله لم يعلمنيه ، وعلى من الله لم يعلمك به ، فذلك قوله « وما فعلته عن أمري » . وقال الثوري لا تكونوا جهالا وميزوا بين العالم ووعاء العلم ، إذا هرب العالم من الناس فاطلبوه ، وإذا طلب الناس فاهربوا منه . قال أبو طالب : مثل الجهل والعلم في تفاوت الناس فيهما كمثل الجنون والعقل ، المجانين طبقات والعقلاء طبقات ، وكذلك الجهال طبقات كالعلماء ، وفي كل طبقة منها خصوص وعموم ، فخصوص الجهال يشبهون على العامة حتى يحسبونهم علماء ، وهم مكشوفون عند العلماء بالله . وكذلك العارفون يشبهون على عموم العلماء ، وهم ظاهرون للموقنين .

وكان سهل يقول . العلماء ثلاثة عالم بالله ، وعالم لله ، وعالم بحكم الله ، يعنى العالم بالله [هو] العارف الموقن ، والعالم لله هو العالم بعلم الإخلاص والمعاملات والأحوال ، والعالم بحكم الله هو العالم بتفصيل الحلال والحرام وقال مرة في كلام أبسط من هذا . عالم بالله لا بأمر الله ولا بأيام الله . وهم المؤمنون ، وعالم بأيام الله [وهم] المتقون في الحلال والحرام ، وعالم بالله عالم بأيام الله وهم الصديقون .

قال أبو طالب المكي في معنى قوله « أيام الله » أي بنعمة الله الباطنة وعقوباته الغامضة . وقد قيل على أحد الوجوه في معنى قوله « وذكرهم أيام الله »

قيل بعقوباته في الأمم الماضية . قال الثوري . كان الناس يطلبون العلم فإذا علموا عملوا ، وإذا عملوا أخلصوا ، وإذا أخلصوا هربوا ؛ وذلك قوله تعالى « واجعلنا للمتقين إماما » . قال الحسن : كانوا يحبون أن يوجد عندهم الخير . وقال بعضهم : هما عالمان عالم الأمراء وعالم المتقين ، فعالم الأمراء هو العالم بالقضايا والأحكام . وعالم المتقين هو عالم بالمعرفة واليقين . وقيل لسهل . من العلماء ؟ قال : الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله على نفوسهم . وقال بعض العلماء : كان أهل العلم على ضربين عالم عام ، وعالم خاص ، فأما العالم العام . فهو المفتي في الحلال والحرام وهؤلاء أصحاب الأساطير ، وأما العالم الخاص ، فهو العالم هو الذي إذا جئته تطلبه فلم تجده في البيت قص عليك بيته حاله ترى مصحفا معلقا ترى إجمانة ترى ركوة ، ترى حصيرا مبسوطا ، ترى أثر الآخرة .

وقيل العالم هو الذي يخالف أحوال الجاهل والعامي ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم في مباينة حامل القرآن عن غيره من أهل القسوة والرأى ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وبجزنه إذا الناس يفرحون ، وببكاؤه إذا الناس يضحكون . وبصحبه إذا الناس يخلطون ، فما رضى صلى الله عليه وسلم أن يكون من علم ودري بوصف من لم يعلم ولم يدرك . يا أخى إذ كان كلامك كلام السفهاء ، وفعالك فعال الجاهل ، وسكوتك سكوت أهل الغفلة ، فما يتفعلك ما جمعت من طرائف العلم ، وحكمة الحكماء ، يا أخى ليس العالم المتكلم الواصف إنما العالم الحذر الخائف . ليس العالم من جلس^(١) [على] الكرسي إنما العالم من اجتنب المعاصي . ليس العالم من صاح في المحافل [إنما العالم] من عرف دقائق الشبهات والنوازل ، ليس العالم من يروى إنما العالم من يروعى . ليس العالم من جمع ومنع ، إنما العالم من زهد وقنع ليس العالم من تعمم وتطيلس ، إنما العالم من رقع ثيابه وفي الخلوة جلس . ليس العالم

(١) في الأصل من جليس .

الذى يضحك من غير عجب ، إنما العالم من طال حزنه وجد في الهرب والطلب ، ليس العالم الطويل اللسان ، إنما العالم كثير الإحسان . ليس العالم ذا الوجهين ، إنما العالم ذو الجهدين ، ليس العالم من يصف الجنة والخور ، ويشوق إلى الغلمان والقصور ، إنما العالم من لا يظلم ولا يجور ، ولا ينطق بالكذب والفجور . ليس العالم إذا علم أكل ونام ، إنما العالم الذى إذا علم تهجد بالليل وبالنهار صام . ليس العالم من حفظ الأحاديث والأخبار . إنما العالم من عد كلامه وخاف عقوبة الملك الجبار . ليس العالم الذى يجمع الكتب والكراريس . إنما العالم الذى يخاف أن يُمَكَّرَ به كما مكر بالشقي إبليس . ليس العالم الذى يفتخر بكثرة الكلام ، إنما العالم الذى أسكنه إجلال الملك العلام . العالم هو الذى كلما ازداد علما ازداد تواضعا . وحلما كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه . تعلموا العلم وتعلموا بالعلم ، السكينة والحلم ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء ، فلا يقوم عليكم بحملكم .

فالعالم هو الذى ينفق ماله على علمه ، وليس العالم الذى يكتسب المال بعلمه ، كما قال الجليل توبينخا لمن باع الكثير بالقليل « ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون » ، ليس العالم الذى يزداد أمنا وراحة بزيادة علمه ، إنما العالم من يزداد خوفا وجهدا بزيادة علمه . كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « من ازداد علما ولم يزدد وجعا لم يزد من الله بعلمه إلا بعدا ومقتا » . وقيل عشرة أشياء قبيحة ^(١) ومن عشرة أصناف من الناس أقبح . الحرص على طلب الدنيا قبيح ، ولكن فى العلماء أقبح . والكبر قبيح . ولكن فى الفقراء أقبح ، والجور قبيح ولكن من الأمراء أقبح ، والكذب قبيح ولكن بين الأصدقاء أقبح ، والمخالفة قبيح ولكن بين الأحياء أقبح ، وقلة الحياء قبيح ولكن من ذوى الأحساب أقبح . والشح قبيح ولكن فى الأغنياء أقبح ، والضحك قبيح ولكن من الحكماء أقبح ، والمعصية قبيح ولكن فى المشايخ أقبح ، والغدر قبيح

ولكن من أهل الديانة أقبح . وسئل الجنيّد رحمه الله أى شيء أحسن فى كلام العبد ؟ قال الدعوة إلى الله بلسان التوحيد لجميع العالمين ، ونشر آلاء الله فى مجالس الذاكرين ، وغلبة الشناء عليه عند أهل المحبة من خصوص الخائفين ، وتفريج كرب الروحانيين ، الذين قلوبهم موضع نظر رب العالمين .

وقال الحسن البصرى . العلماء ثلاثة عالم لنفسه ولغيره ، فذاك أفضلهم وقيل : يقال ما تصدق رجل بصدقة أفضل من عطية يعطيها أخاه المسلم . وعالم لنفسه وحده [وذلك] محسن . وعالم لا لنفسه ولا لغيره فذاك أشرفهم وقيل لأبى ذرّ ما زادك ؟ قال العلم [قيل] فما رأس مالك ؟ قال الفقر . قيل فما حرفةك ؟ قال العبادة وقال بعضهم : ينبغى للعالم أن يعمل [ب] سبع خصال حتى يكون علمه لله ، ويكون [من] ورثة الأنبياء ومن أهل القرية من الله . أولها ^(١) : نية صادقة لوجه الله . والثانى : الطلب . والثالث : الاستماع . الرابع : التعليم . الخامس : الحفظ . السادس : العمل به . السابع : نشره للمستحقين إن وجد ذلك ، وإلا فعليه بالسكوت حتى حين . وقال ابن عباس رضى الله عنه . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : علماء هذه الأمة رجالان . رجل أعطاه الله تعالى علما فبذله للناس . ولم يأخذ عليه طمعا ، ولم يشتر به ثمنا ، فذاك يصلى عليه طير السماء وحياتان الماء ، ودواب الأرض ، والكرام الكاتبون ^(٢) . يقدم على الله تعالى يوم القيامة سيّدا شريفا حتى يرافق المرسلين . ورجل آتاه الله علما فى الدنيا فغن به على عباده ، وأخذ عليه طمعا ، واشترى به ثمنا ، يأتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار . ينادى مناد على رموس الخلائق هذا فلان ابن فلان آتاه الله فى الدنيا علما فغن به على عباده ، وأخذ عليه طمعا [و] يعذب حتى يفرغ حساب الناس

(١) فى الأصل أوله .

(٢) فى الأصل والكاتبون .

وجميع أسامي أهل العلم مجملا (١) عالم ، وفقهه ، وحكيم ، وناقل للعلم ، وراو للعلم ، وخامل للعلم ، ووعاء للعلم ، ومتكلم بالعلم ، ورباني في العلم ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا تجالسوا عند كل عالم إلا عالم يدعوكم من خمس إلى خمس : من الشك إلى اليقين ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الرغبة إلى الزهد ، ومن الكبر إلى التواضع ، ومن العداوة إلى النصحية ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مجالسة طوائف من الناس . نهى عن مجالس الأغنياء الراغبين في الدنيا ، وجعلهم في الحقيقة كالموتى ، فقال « لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم » وقال « لا تجالسوا أهل البدع » (٢) والأهواء ، وقال « لا تجالسوا الأفاكين » وقال « لا تجالسوا العلماء الذين يرغبونكم في الدنيا ويرخصون لكم في متابعة الهوى فإن مجالستهم من أعظم البلاء » وقال في حديث « جالسوا من يذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقته ويرغبكم في الآخرة عمله » .

فتدبر في هذا الخطاب . كأنه قال لا تجالسوا من إذا نظرتهم إليه ذكرتهم برؤيته الدنيا ولا من إذا سمعتم كلامه أوثقكم النقص في أعمالكم ، والعجز والكسل في الصالح في فعالكم ، ولا من إذا نظرتهم إلى عمله زهدكم عمله في الآخرة ، نعوذ بالله من الخذلان . ولا تجالسوا النساء فإن مجالستهم تقسى القلوب . وقال الفضيل بن عياض . لا تجالس إلا من وجدت فيه خصلتين يذكرك إذا نسيت ، ويعينك إذا ذكرت . وقال ذو النون . جالس من

(١) العالم قد مر التعريف به وكذلك الحكيم . أما الفقيه فهو عالم الفقه أو المتمكن من فروع العلم . وناقل العلم من ينقل أقوال غيره دون سند : وراوى العلم من ينقل علوم غيره بأسانيدها . وحامل العلم هو الحافظ للعلم وإسناده . ووعاء العلم من يردد أقوال العلماء دون فقه لها ، والمتكلم بالعلم من يجالس للناس في مسائل العلم ، ورباني في العلم هو العالم التقى « واتقوا الله ويعلمكم الله » .

(٢) البدعة كل مالم يقيم على صحته دليل في أمور العبادة وكل الأصول، ويدخل في الدليل الكتاب والسنة والإجماع والقياس أما العرف فلا يصح دليلا لأن العرف قد يجمع في مسائل تعبدية كثيرة على خرافات وبدع إذا كان عرف العامة

يكلمك عمله لا من يكلمك لسانه . وقال مالك بن أنس يقول : « أدركت سبعين شيخاً من التابعين منهم عباد ومنهم من يستشفى بدعائه ما حملت عنهم قط . قيل ولم ذاك ؟ قال لم يكونوا من أهل هذا الشأن وفي رواية أخرى ما كانوا يدرون معاني ما يحدثون به ولا عندهم فقه جواب ما يسألون ^(١) » عنه . وقال مالك بن دينار : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم . ومثله ما ذكر في غرائب التفسير من معنى قوله تعالى « فلينظر الإنسان إلى طعامه » إلى عمله عمن يأخذه . وقال الثوري احذر في زمانك ثلاثاً . عالم السلطان ، وقارئ الأسواق ، وعابد السطوح .

وقال حاتم الأصم . والله ما أنصفت بين دينك ودنياك . إذا افتصدت أو احتجمت طلبت أبصر الناس . وإذا اعتلت بيدك طلبت من الأطباء أحذق الناس ، وإذا اشتريت أو بعت أو أودعت ، طلبت أعدل الناس وآمنهم . وإذا أردت شهوة أو فاكهة طلبت أطيب ذلك واسترخصت . ولم ترض بكل واحد من الناس . وإذا أردت صلاة في جماعة ، أو عالماً للجالسة والفتيا ، صليت خلف الفاجر والبر ، وجلست إلى الصالح والطالح وهذا من [عدم] مبالائك ^(٢) بدنيك . ولو عز عليك دينك لا حثت له بجهلك ، أما سمعت قول الرسول صلى الله عليه وسلم « الإمام وفد القوم فإن سرهم أن تتقبل صلاتكم [ف] ليؤمكم أتقاكم » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) يقصد علم رواية السنة لأن الزهاد لم يكونوا من أهل هذا الشأن فعلاً ولذلك لم يأخذ علماء الرجال بروايتهم في الحديث لأنهم يروون الكثير من باب فضائل الأعمال الكبر وإن لم تصح روايته . ومالك لا يأخذ إلا عن الضابط الحافظ ولم يكونوا من أهل الضبط . وإن كان لبعضهم رأى خاص في بعض الأحاديث الضعيفة حيث تقوى عندهم من باب الكشف ولكن محققهم يقولون إن الكشف ليس بحجة في التشريع ، ويحوز أن يكون المراد . الذين لا حفظ لهم من العلم وإن كان لهم حظ كبير من العبادة الخالصة .

(٢) في الأصل : مثالاتك

« تعوذوا بالله من فتنه العالم الفاجر والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، ، ألا تراه صلى الله عليه وسلم كيف سماه عالما وعابدا، ثم بعد التسمية لم يعرفهما من الجمل والفجور، وأمر بالتعوذ منهما كما أمر الله بالتعوذ من الشيطان الرجيم. ثم ذكر أن بفتنتهما لا يفتتن إلا كل مفتون، ولا يغتر بزخرف حالهما إلا كل مغرور، ولا يهلك على الله إلا هالك. فهل يهلك إلا القوم الفاسقون.

وقال الخضر لموسى «يا طالب العلم اطلب العلم لتعمل به. ولا تطلبه لتحدث به، فيكون عليك وزره، ولغيرك نوره، وجاء في تفسير قوله تعالى «وتعياها أذن واعية»، قيل: أذن علقت عن الله أمره ونهيه فوعته وعلمت ذلك فعملت به.

وقال أبو طالب المسكى رحمه الله. إذا وجد المتعلم في العالم ثلاث علامات فليزمه، فإن يلزمه يصل إلى أعلا درجات الصبر والتواضع وحسن الخلق وإذا^(١) جمع المتعلم ثلاث خصال فعلى العالم أن يفتقده فإن فيه كنزه وغنيمة. العقل والأدب وحسن الفهم وقال الشافعى رضى الله عنه. العلم علم الأديان، وعلم الأبدان، قال أبو عثمان المغربي: ما أحسن ما قال الشافعى. علم الأديان علم القلوب والحقائق والمعارف؛ وعلم الأبدان معرفة علم آفات النفوس والرياضات وتقويم السياسات وأحكام المجاهدات.

وقال أبو طالب المسكى. اطلب في العالم خمس علامات، فإن وجدت ذلك فالزمه إلى الممات. وهذه العلامات هي علامات علماء الآخرة القائمين بالحق للناطقين بالصدق لا بدله من العقل الرزين^(٢)، كما قال اللطيف الخبير «وما يعقلها إلا العالمون»، ولا بدله من الخشية كما قال القادر على الجمع والآفة كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء، ولا بدله من الخشوع. كما قال المعبود بالركوع «خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا»، ولا بدله

(١) فى الأصل فإذا.

(٢) الرزين: الثقيل.

من التواضع . كما قال منزل القوارع « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » ولا بدله من حسن الخلق . كما قال خالق النار والفلق « فيها رحمة من الله لنت لهم » .

قال أبو طالب رحمه الله . ولا تكمل أوصافه ولا يعلو عند الله مقامه ولا يحصل في قلوب الخلق هيئته إلا بتصغير الدنيا عنده ، كما قال الجليل في كمال وصف العالم النبيل ^(١) « وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ! ثواب الله خير لمن آمن [وعمل صالحا] ، فمن وجد [فيه] هذه الخصال فهو من العلماء بالله وهو أعز في زمانك من الكبريت الأحمر تلك والله أمة قد خلت « هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا » .

وقال سفيان بن عيينة . ما بقي أحد يحسن ويعلم ويتعلم منه وقال الجنيد رحمه الله . إن الله أراد من العباد شيئين علما ومعرفة علم العبودية ، ومعرفة الربوبية ، وما سوى ذلك فحفظ أنفسهم . وسئل الخلاج عن العالم والعلم والعلام . فقال : العالم بشيء واحد ، والعلم بأشياء كثيرة . والعلام من لا يفوته شيء . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضى الله عنه أى الناس أعلم ؟ قال الله ورسوله أعلم . قال : أعلمهم بالحق إذا اختلف الناس وإن كان في علمه تقصير . وإن كان يرجف على السنة ، فكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزالون بخير [فإذا] ما إذا جال في صدر أحدكم شيء فلم يجد من يخبر به ويشفيه منه ، ويكشفه له [فليسوا بخير] وإيم الله أو شك أن تطلبوه فلا تجدوه ^(٢) » .

قال أبو طالب المسكي رضى الله عنه في شرح هذا الخبر ، قد حصلنا في زماننا هذا في مثل ما خاف [منه] ابن مسعود ، لأن مشكلة لو وردت في

(١) النابل الخاذق في الأمر .

(٢) العبارة غير مستقيمة والمعنى أن الناس لا يزالون بخير إلى أن يحىء وقت لا يجدون فيه من يكشف عن شبهات التوحيد المختلجة في الصدور ويشفي صدرهم عن الشك . ويدل على هذا المعنى شرح أبي طالب للخبر فليست مازرفية .

معاني التوحيد واشتهت (١) أو اختلفت في صدر مؤمن من صفات الموحّد .
وأراد كشف ذلك على حقيقة الأمر . كان ذلك عزيزاً ، ولكن استكشاف
ذلك بين خمسة نفر . [الأول] مبتدع ضال ، يخبرك برأيه عن هواه .
فينيدك حيرة إلى حيرة . والرجل الثاني (٢) . متكلم ذو لسان ثرثار في الكلام
يفتيك بقصور علمه عن شهادة الموقنين ، وبقياس معقوله على ظاهر الدين (٣)
هذا شبهة . وكيف تنكشف به شبهة . والرجل الثالث . صوفي شاطح
غالط بأنه يجاوز بك الكتاب والسنة يخالف بقوله الأمة والأئمة فيجيبك
بالظن والوسواس والتقوية والالتباس ويمحو الكون والمكان ، ويحيط
العلم والأحكام ، ويذهب الأسماء والرسوم وهؤلاء تائهون في مفازة التيه
غريقون في بحر التوحيد لم يحملوا أئمة للمتقين ، وهذا ساقط القول (٤) ،
والرجل الرابع . مفت موسوم بالفقه عند أصحابه ، عالم عند نفسه ، يقول
لك هذا . من أحكام الآخرة ، ومن علم الغيب ، لا تتكلم فيه لأننا لم نطقه
وهو في أكثر مناظراته يتكلم فيما لم يكلف [به] إذ لا يعلم المسكين أنه
كلف علم الإيمان ، وحقيقة التوحيد ، ومعرفة إخلاص المعاملة ، أثر حوائج
الناس وأحوالهم على حاجته وحالته ، واشتغل بإصلاح ألسنتهم عن صلاح
ما في بأيامهم [من] أيامه . وأذهب عمره في شهواتهم ، فورد القيامة
مفلساً ، وعندما يراد من أنصبة المقربين مبلساً . والرجل الخامس . صاحب
حديث وآثار ، وناقل رواية الأخبار يقول لك إذا سأله قال : اعتقد التسليم .
وأمر لك باستماع الحديث كما جاء بلا تفتيش وهذا أحسنهم طريقة وأشبههم

(١) على هامش الأصل « وأشباهه » ، نسخة ثانية .

(٢) والرجل الأول هو المبتدع الضال الذي يخبر برأيه عن هواه .

(٣) وهو هؤلاء أصحاب مذاهب الكلام الذين أطلقوا لعقولهم العنان مضربين
صفحة عن النصوص فخلطوا الفلسفة بالعقيدة فضلوا وأضلوا .

(٤) ومنهم المجاذيب أو مدعوا الجذب . ومن نطقوا بعبارات مبهمّة للعامة
من الناس .

بسلف العامة خليفة ، ليس عنده شهادة يقين ، ولا معرفة بحقيقة أحوال
العارفين . فإذا أدركت هذا العصر فاقطع عمرك بسلم سلم . لعلك تنجو من
المخاطرة والندم .

وقال أبو سعيد الخراز . العبارة يعرفها العلماء^(١) والإشارة يعرفها الحكماء ،
والرمز يعرفه الأولياء ، واللطائف يقع عليها السادة من الشيوخ . وقال
أبو طالب . فرض على العبد إذا أراد طلب العلم أن يعرف العلم ما هو ،
والعالم من هو ، حتى يطلب العلم عند العالم . وإن كثيرا من زخرف
الكلام يظنه العموم علوما كثيرة [وكثير] من نقلة العلم يحسبهم العامة
علماء ، وقد حكى عن بعض السلف قال دخلت [المسجد] ذات يوم فإذا
بجلستين . إحداهما يقصون ويدعون ، والأخرى^(٢) يتكلمون في العلم ،
وفقه الأعمال ، وأوصاف العمال ، فملت إلى حلقة الدعاء فجلست إليهم ،
فحملت عيناي فتمت ، فتهتف بي هاتف وقال لي : جلست إلى هؤلاء وترك
مجلس العلم . أما والله لو جلست إليهم لوجدت جبريل وميكائيل عندهم .
وقال الجنيد : إن القلب إذا خلا من حب الرياسة ، والنفس من حب
الراحة ، ظهر من القلب الحكمة ، ومن النفس الخدمة .

وقال أبو طالب . حقيقة العلم هي^(٣) العلم بالله .. ألا تسمع إلى ما روى
عن المصطفى صلى الله عليه وسلم . أفضل الذكر لا إله إلا الله ؟ وقال الجليل
في تصديقه : فاعلم أنه لا إله إلا الله . وقال أبو طالب . وهذا العلم أعنى
علم اليقين دواء القلوب ، ومراهم العيوب ، وكفارات الذنوب . وعاملوهم

(١) الإشارة ما يؤخذ من ظاهر اللفظ وباطن المعنى لا تأويل الباطنية الذين
يسقطون اللفظ والمعنى معا .

راجع منشورات اسماعيلية . طبع دمشق . نشر : د . عادل العوا . وعقائد
الباطنية . لليمانى ، نشر . عزت العطار . القاهرة

(٢) في الأصل والآخر

(٣) في الأصل هو .

الأولياء ، وأربابه هم الأطباء . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطيب ولم يعلم منه طب فقتل فهو ضامن . فالتكلم بهذا العلم من غير يقين للقاتلين منه قاتل ^(١) [لهم] ثم لنفسه [و] يصير بقتلهم أيضا قتالا ، وقال حاتم الأصم لا تجلس ^(٢) إلى كل عالم ولا تستمع من كل متكلم واعلم أن لجسدك قوتا . ولقلبك قوتا ، وقد أمرت بطلب القوتين . فكما لا ترضى لجسدك إلا بالطيب من الأقوات ، كذلك فلا ترض لقلبك إلا بأنظف العلوم ، وهو علم العالم التقي الخائف التقي : وكما أن لك في قوت نفسك حلالا تحاسب عليه وحراما تعذب به ، وشبهة تعاتب عليها ^(٣) . كذلك أيضا في قوت قلبك مثله فتدبر واعقل وتفكر وميز .

وقال أبو طالب المكي . إن من علامة عالم الآخرة ألا يكون محبا للدنيا ولا جريئا على الفتيا ، ولا ذا شهوة في كثرة الكلام كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : إن من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من السكوت وفي الكلام تنميق لا زيادة ، وفي السكوت سلامة وعلم . وقال الحسن البصري ، يستدل على قلة صدق الرجل بكثرة كلامه ، وقيل الصمت زين العالم ، وستر الجاهل ، وكثرة الكلام تفضح الجاهل ، وتذهب بهاء العالم . وقال أبو طالب المكي رضى الله عنه كان التورع عن جواب المسائل والسكوت عن كثير من العلوم طلبا للسلامة معروفا [و] ذلك في الصحابة وخيار التابعين وصالحى السلف ، كما جاء في الأثر عن ابن مسعود رضى الله عنه . من ألقى الناس في كل ما يشتهونه فهو مجنون . وكان ابن عمر رضى الله عنه إذا سئل عن عشر مسائل ، أجاب عن واحد [ة] وكان ابن عباس رضى الله عنه إذا سئل عن عشر مسائل ، أجاب عن واحد [ة] وسكت عن تسعة .

(١) في الأصل قاتلا . والمراد أنه يلقي بأنفسهم إلى التهلكة بإفساد عقائدهم . ومن ثم يقتل نفسه لأنه وزرهم عليه .

(٢) في الأصل تجالس .

(٣) في الأصل عليه .

قال أبو محمد سهل . العالم هو الذي يقعد فيسكت ، ويرفع قلبه إلى مولاه فيفتقر إليه في حسن توفيقه ، ويسأله أن يلهمه الصواب . وأى شيء سئل عنه تكلم [فيه] بما فتح له مولاه . وكان أنس بن مالك رضى الله عنه إذا سئل عن شيء يقول . سلوا مولانا الحسن فإنه حفظ ونسينا . وقد جاء في الأثر ، كانت ^(١) المسألة من العلم يسأل عنها الرجل من الصحابة فيردها ^(٢) إلى آخر ويردها الآخر إلى الآخر حتى ترجع إلى الذي سئل عنها ^(٣) أولا . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا سئل عن مسألة جمع الصحابة ، فبدأ بأهل بدر ، ثم المهاجرين والأنصار ، فإذا لم يجد الجواب منهم وعندهم التفت إلى ابن عباس رضى الله عنه [وقال] : غص يا غواص ، يعنى استنبط من القرآن . قال واختلف قوم إلى ابن مسعود ثلاثين يوما في مسألة فلا يجيبهم عن ذلك . ثم قال : أجيب فيها برأى فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فنى ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريثان [من ذلك] وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت . وقال جماعة لأبي بكر الصديق رضى الله عنه . إذا كان العلم عند من لا يعمل [به] ، والسلاح عند من لا يقاتل [به] والمال عند من لا ينفقه ، والرأى عند من لا يقبل عنه ، ضاعت الأمور .

وقال الأحنف بن قيس . كنت أطلب العلم عند مالك بن أنس وأطلب الحلم عند قيس بن عاصم ولقد حضرت يوما عنده فإذا نحن بجماعة ومنهم مقتول ومكتوف فوقفوا بين يديه فقالوا : هذا ابنك قتله ابن أخيك فوالله ما حل حيوته ^(٤) حتى قال لابن له . قم فحل واثاق ابن عمك ووار أخاك

(١) فى الأصل كان

(٢) فى الأصل يردده

(٣) فى الأصل عنه

(٤) يقال اجتبي الرجل إذا جمع ظهره وساقيه بعلمته وقد يحتب بيده والاسم الحبة والجمع حبي .

وسق مائة من الإبل إلى أمه فإنها غريبة ، ثم التفت إلى ابن أخيه فقال :
قتلت قرابتك ، ونقصت عددك ، وأذهبت عزك ، وقطعت رحمك ، فلا
أبعد الله غيرك .

قال أبو طالب واعلم أن الكلام ينقسم [إلى] سبعة أقسام العلم منه
قسم واحد وسائر السنة لغو مطروح يلتقطه من لا يعرفه ومن لا يفرق بين
العالم والجاهل ، ولا يميز بين العلم والكلام . والعرب تقول لكل ساقطة
لاقطة . ولكل قائلة ناقل . وقال الجنيد . العلم هو أن تعرف قدرك كم هو
وما هو . وقال النبي صلى الله عليه وسلم . لا ينبغي للعالم أن يسكت عن علمه ،
ولا ينبغي للجاهل أن يسكت عن جهله . والقاص الذي يتبدى بقص
الأخبار ويذكر القصص والآثار من غير تحوير للسامعين ولا تزويد
للاغبيين .

قال أبو طالب المكي . وقد كان فيما مضى للمتقدمين [مجالس] يجتمعون
عليها قد اندرست في زماننا ، وكان للصالحين في علم اليقين والمعرفة مقامات
وأحوال يتذاكرها أهلها ، ويطلبون أربابها ، قد عفت عندنا القلة المطالبين ،
وعدم الراغبين فيها ، وذهاب السالكين طرقها . منها طلب علم الحلال ، وعلم
الفرق بين شبهة الحلال وشبهة الحرام ^(١) ، وعلم الورع في المحاسبات
والمعاملات وعلم الإخلاص وعلم آفات النفوس ^(٢) وعلم فساد الأعمال
وعلم نفاق العمل وعلم نفاق القول وعلم الفرق بين نفاق القلب ونفاق النفس

(١) شبهة الحلال . الأمر الذي تغلب عليه الحرمة ، ويشته به في حله . كالنيذ
والسباع بالنفس ، وشبهة الحرام ما غلب عليه الحل ، ويشته به في حرمة أو كراهته
التحريرية ، كالتدخين إذا كان المدخن لا يحتاج إلى ثمن الدخان ولا تتضرر به
صحته والفرق بينهما أن مرتكب ما فيه شبهة الحلال أشد جرما من مرتكب
ما فيه شبهة الحرام وكلاهما ليس فيه من الورع شيء .

(٢) صنف في هذا الباب كتب مستقلة مثل : [العرائس القدسية . المفصحة
عن الدسائس النفسية لسيدى مصطفى البكرى] مخطوط بدار الكتب المصرية .

ونفاق الروح ونفاق العقل (١) . وعلم إخفاء النفس شهوتها وإظهارها ذلك
وعلم الفرق بين سكون القلب بالله وسكون النفس بالأسباب (٢) . وعلم خواطر
النفس وخواطر الروح ، وخواطر اليقين وخواطر العقل ، ومة الشيطان
ومة الملك (٣) . وعلم أحوال طرائق العمال وعلم تفاوت مشاهدات العارفين ،
وعلم تلوينات الشواهد على المريدين ، وعلم القبض والبسط ، وعلم التفرقة
والجمع ، وعلم البداية والنهاية ، وعلم العبودية ، وعلم التخلق بأخلاق
الربوبية ، وعلم العبودية والحرية ، وعلم التحقق بصفات العبودية ، وعلم

[الرعاية للحارث المحاسبي] و [الوصايا] له أيضا . مخطوطة بدار الكتب .
تحت الطبع لنا .

(١) نفاق القلب . ميله إلى أهل النفاق . دون أن يظهر ذلك على اللسان .
أو شعوره بالذلة نحو العبيد . أو سكونه إلى إقامات العلم عند الذكر والوقوف
معه وتأمل تفاصيلها . ونفاق النفس : أن تستولى النفس على المزيد وتسول له
السوء أو التفكير في أمور الرزق والاولاد تتفق بذلك عقله بالحجة الواهية
والاستدلال المنهار . ونفاق الروح . أن تفرح بمشاهدتها عند سلوكها وتدل بها
على غيرها وترضى عنه وعلامته أن يعقب تلك المشاهد زهو في نفس المريد ونفاق
العقل خضوعه لنفاق النفس ؛ وموازرتها بالحجة الداحضة . أو الاحتجاج بحل
الامور المكروهة بأدلة فيها مغالطات . فنفاق القلب والروح يرتبط كل منهما بالآخر
ونفاق النفس والعقل . يرتبط كل منهما بالآخر ونفاق النفس والعقل معا يوصلان
إلى نفاق القلب والروح معا .

(٢) سكون القلب بالله . لا يكون معه قلق ولا اضطراب ؛ وتصحبه معارف
ومشاهدات وسمو في الروح والمشاعر والمدارك . وسكون النفس بالأسباب يصحبه
قلق في الباطن ويحجب عن المعارف والمشاهدات . ولا تسمو معه المدارك والمشاعر .
(٣) راجع التديرات الإلهية في الملوك الإنسانية لابن عربي ، باب الخواطر . المثنى
بيغداد . وباب الخواطر في « روضة التعريف بالحبيب الشريف للسان الدين ابن
الحطيب ، مصور بالجامعة العربية ١٤٢ تصوف . تحت الطبع لنا .

بيان مقامات العلماء ، وعلم معاني الصفات ، وعلوم المكاشفة بتجلى الذات
وعلم إظهار الأفعال الدالة على معاني الأوصاف الباطنة ، وظهور المعاني
الدالة على النظر والأعراض . وعلم التقريب والإبعاد ، وعلم النقص
والمزيد ، وعلم المثوبة والعقوبة ، وعلم الاختبار ، وعلم البلاء والبلوى ،
وعلم الامتحان وعلم مجاهدات النفوس ، وعلم المطالبة والمحاسبة ، وعلم
الإشارة والعبارة ، وقد ذكر أبو طالب في كتاب قوت القلوب من كل
نوع من هذه الأنواع والعلوم فصولا ورسم من ذلك جملا وأصولا ، تركت
ذلك كراهية الإطالة^(١) فمن أراد معرفة ، ذلك فليطالع كتابه .

قيل لجعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه : يا ابن رسول الله ما بال
الناس منهم من إذا كلمته يستدل بأول كلامك على آخره ثم يحجيبك ، ومنهم
من إذا كلمته يصمت حتى يستغرق في كلامك ثم يحجيبك ، ومنهم من إذا كلمته
يقول أعد علي . قال جعفر . اعلم أن الله قسم العقل على ثلاثة أجزاء :
فمن الناس من ابتدئ بالعقل قبل خلقته ، فهذا الذي يستدل بأول الكلام
على آخره ثم يحجيب . ومنهم من عجن عقله بالنطفة التي خلقهم الله منها ،
فهو الذي يصمت على ما يستغرق في الكلام ثم يحجيب . ومنهم من ركب
فيه العقل بعد كمال خلقته ، فهو الذي إذا كلمته يقول : أعد علي .

باب

في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم
قوله جل ثناؤه : وأما السائل فلا تنهر . قال بعضهم : ليس هو المسكين
الذي يسألك للكسرة والقطعة ، إنما هو طالب العلم الذي يسألك عن العلم
فلا تزجره ، ولكن قربه وعليه . قال جعفر الخلدی هو السائل عن حلقة
الهداية ، فإذا سألك عن ذلك فلا تقنطه من رحمتي ، فإني قادر على أن ألبسه
لباس الهداية . والسائل إذا سألك عن فدله على باللطف دلالة ، فإني قريب

(١) هذه المسائل مبعثرة في أمهات كتب التصوف . كالفتوحات المكية ؛
والإحياء . وآداب العبودية وغيرها .

مجيب . ومثل هذا حكى سهل بن عبد الله في معنى قوله تعالى « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ، قال : هو طالب العالم يسألك الإرشاد إلى الله ، فأوف له حقه ، والمحروم من لا لسان له ^(١) ولا يهتدى إلى سؤال العلم فيبتدأون بالدلالة على الله ، والرغبة في الله إيجاباً .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : طالب العلم فريضة على كل مسلم ، قال أبو طالب المسكي . اختلف أهل العلم من علماء الظاهر والباطن في معنى هذا الخبر .

فقال أبو محمد سهل بن عبد الله أراد بذلك علم الحال . قيل له فما علم الحال ؟ قال من الباطن الإخلاص ومن الظاهر لاقتداء ^(٢) ، فمن لم يكن لباطنه كمال ظاهره فهو متعب البدن ، فقلت فما تفسير ذلك ؟ قال أن تعلم أن الله قائم عليك في شرك وعلايتك وحركتك وسكونك ، لا تغيب عن الله طريقة عين ، وهو فارغ لك ، كأنه ليس له خلق غيرك ، ولا يذهب عنه من نفسك نفس واحد ، ولا من طرفك طريقة واحدة ، ولا من همومك هم واحد ولا يسقط عنه من حركتك وسكونك ذرة ولا أقل منها ^(٣) ، وهو كما قال : أفن هو قائم على كل نفس [بما كسبت] وقال : يعلم السر وأخفى ، وقال : يعلم ما في أنفسكم فاخذروه ، وقال : ويعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ، وهو العرق الذي في جوف القلب ، والله أقرب إلى القلب

-
- (١) أي من يمنعه الخجل عن استعمال لسانه في سؤال العلم ، فكأنه لا لسان له .
 (٢) الحال ينتج عن العمل في إخلاص ، وهو مشهد روحاني من بواطن الأعمال ، وقد تتلون الأحوال بتلون الأعمال في بداية أحوال العرفان فيسمى صاحب هذه الحالة « صاحب تلوين » وقد يتمكن العارف فتتبلور تلك المشاهد في مشهد واحد جامع هو قمة المشاهدات كلها ، ويسمى صاحب هذه الحالة « صاحب تمكين » ولما كانت أحدية المشاهد غير قابلة للتفرقة فإن مشهد كل حال على حدة يمكن في قلب العارف فيتلون قلبه بتلون تلك المشاهد ، ويمكن روحه وظاهره في مقام التمكين ولذلك سمي صاحب هذه الحالة « صاحب تمكين في تلوين »
 (٣) في الأصل منه .

من ذلك العرق إلى القلب ، وقال : يعلم ما يلج في الأرض . . الآية . فإذا عرفت قربها منك فينبغي لك أن تستحي منه . وقال بعض العارفين معناه طلب علم الوقت ، وقيام العبد بحكم ساعته ، وما يقتضى منه في ساعة من نهاره ، وذلك إذا تسكلم أو سكت أو مشى أو ركب أو نزل أو أكل أو لبس فيريد أن يعلم أن هذه الحالة هي ^(١) لله أو لغير الله . فإن كان [ت] لله مضى فيها ^(٢) وإن كان [ت] لغير الله تركها ^(٣) فهذه هي المحاسبة ^(٤) ، التي قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه [فيها] . حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا .

وقال بعض علماء الشام . إنما عني به طلب علم الإخلاص ومعرفة آفات النفوس ووسواسها . ومعرفة مكائد العدو وخدعته وغرره وما يصلح الأعمال ويفسدها . هذه فريضة كلها ^(٥) من حيث كان الإخلاص . والأعمال فريضة ومن حيث أمر [الإنسان] بمعاذاة إبليس ، وهو قول عبد الرحمن ابن يحيى ومن تابعه .

وقال بعض البصريين معناه طلب علم القلب ، ومعرفة الخواطر وتفصيلها ، وبماذا يدفع خاطر العدو ، وهذه فريضة لأنها ^(٦) رسل الله إلى العبد فيحتاج أن يفرق بين لمة الملك ، وبين لمة العدو ، وبين خاطر الروح ووسوسة النفس وبين علم اليقين وقوادح العقل ، وهذا مذهب مالك بن دينار وفرق [السبغى] وعبد الواحد بن زيد .

(١) في الأصل هو .

(٢) في الأصل فيه .

(٣) في الأصل تركه .

(٤) في الأصل فهذا هو المحاسبة . وهناك نوع آخر من المحاسبة هو أن يستعرض الإنسان أعماله في نهاية يومه ويحاسب نفسه على خطئها ويلومها عليه .

(٥) في الأصل كله .

(٦) أى الخواطر

وقال بعض السلف . إنما معناه طلب علم مالم يسع جهله من علم التوحيد وأصول الأمر والنهي ، والفرق بين الحلال والحرام ، إذ لا غاية لساير العلوم . وقال ابراهيم بن آدم وابن أسباط وروهيبن بن الورد . معناه طلب علم الحلال فريضة إذ قد أمر الله به . وقال بعض فقهاء الكوفة معناه طلب علم البيع والشراء والنسكاح والطلاق إذا أراد الدخول فيه ، واقترض ، عليه مع دخوله في ذلك طلب علمه ، لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لا يتجر في سرقنا هذه إلا من تفقه ، وإلا آكل الربا شاء أم أبى ، وهذا مذهب الثوري وأبي حنيفة وأصحابهما .

وقال بعض المتقدمين . منهم ابن المبارك من علماء خراسان معنى ذلك أن يكون الرجل في منزله فيريد أن يعمل شيئاً من أمر الدنيا ، أو تخطر على قلبه مسألة لله سبحانه وتعالى فيها حكم وتعبد ، وعلى العبد في ذلك اعتقاد وعمل ، فلا يسعه أن يسكت على ذلك ، ولا يجوز أن يعمل فيه برأيه ، ولا أن يحكم بهواه ، فعليه أن يلبس نعله ويخرج فيسأل عن أعلم أهل بلده ، ثم يجلس بين يديه فيسأله .

وقال أبو ثور ودارد بن علي والخارث بن أسد المحاسبي (١) ومن تابعهم من المتكلمين إنما أراد طلب علم الشبهات والمشكلات إذا سمعها العبد وابتلى بها ، وإن لم يكن يسمعها ترك الطالب إذا كان غافلاً عنها على أصل التسليم ، فإذا وقع في سمعه شيء من ذلك ووقر في قلبه ، فلم يكن عنده تفصيل ذلك وقطعه لم يحل له أن يسكت عليه لئلا يعتقد بدعة فيخرج بذلك على السنة ومذهب الجماعة وهو لا يعلم .

قال أبو طالب . والذي عندي في معنى هذا الخبر والله أعلم أن قوله صلى الله عليه وسلم . طالب العلم فريضة يعني علم هذه الفرائض الخمس

(١) بل إن رأى المحاسبي ليس كذلك . بل رأيه أن المراد بالحديث علم الفرائض التي بنى عليها الإسلام وهو رأى المسكي التالي لهذا الرأي ، [راجع النصائح الدينية للمحاسبي . مخطوط بدار الكتب .

الذي بنى الإسلام عليها من حيث لم يفترض على المسلمين غيرها . ثم إن العمل لا يصح إلا بعلمها ^(١) . فأول العلم بها ^(٢) ، فصار علم العمل فرضاً من حيث افترض العمل ^(٣) ، فلما لم يكن على المسلم فرض من الأعمال إلا هذه الخمس صار طالب علم هذه الخمس فرضاً لأنه فرض الفرض . ومعنى ذلك واضح في الخبر بإدخال التعريف عليه وإشارة الألف واللام إليه ^(٤) .

وقال أبو طالب . وعلم التوحيد داخل فيه لأنه في أولها من قول شهادة ألا إله إلا الله بإثبات صفاته المتصلة [ة] بذاته ونفي صفات سواه ^(٥) المنفصلة عن إياه كله داخل في شهادة ألا إله إلا الله . وقال . وعلم الإخلاص داخل في صحة الإسلام أيضاً إذ لا يكون مسلماً إلا بإخلاص العمل لله فبدأ به وبشرطه للإسلام .

وقال أبو طالب ، وهؤلاء المختلفون في الأقوال مجموعون على أنه صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك طلب علم الأفضية والفتاوى ولا علم الاختلاف والمذاهب ولا كتب الأحاديث مما يتعين فرضه وإن كان سبحانه لا يخل ^(٦) من ذلك من يقيمه ويحفظه . قال سهل . العلوم سبعة . ثلاثة مكاشفة بلا واسطة ، وأربعة بواسطة ، فالكشف علم رباني ، وعلم نوراني وعلم ذاتي ^(٧) وأما الذي بواسطة [ف] علم وحى ، وعلم تجلى ، وعلم عندي .

(١) في الأصل بعلمه .

(٢) في الأصل . به

(٣) في الأصل العلم

(٤) أي إن « أ ل » هنا هي « أ ل » (العهدية)

(٥) في الأصل « سوء »

(٦) في الأصل لا يخل

(٧) العلم الرباني ، هو : المفاض من حضرة الربوبية ، وهي علوم لطيفة ، من

أسرار الشريعة في أدق خلائجها . يقمها طائفة ممن لهم طاقة روحية قوية . أو مستعدة —

بلا واسطة ، وعلم لدنى ، فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا
وعلمناه من لدنا علما .

وقال الزوزنى : العلم على الحقيقة هو الذى يعلم حدود الإسلام وبواطن
أعلام الإيمان ، وسريرة سر الإحسان . فظواهر حدود الإسلام موجود [ة]
فى بيان الكتاب والسنة ، لا يعرفها إلا العلماء وبواطن أعلام الإيمان غيب
مغيب فى الغيب ، وسريرة سر الإحسان مخفى عن أن يطلع عليه أحد إلا
الذى يعلم السر والإعلان . ويقال إن علم الباطن هو من أسرار النبوة كما
حكى عن أحمد بن القاسم العلوى أن سائلا سأله بسمرقند . لم لم يقع إلى
هذه الديار من علم السرائر ؟ فقال . هذه بلاد لم تطأها أقدام النبوة فكيف
تصل إليها أسرار النبوة ؟^(١) وقال سهل . لا تدعوا العسل حتى تعملوا
ولا تدعوا العمل حتى تخلصوا ، ولا تدعوا الإخلاص حتى تحكموا مشاهدة
الله . إياكم ومشاهدتكم إياه وصحبته معكم وصحبتهم معه .

وقال أبو يزيد البسطامى . العالم دون ما يقول والعارف فوق ما يقول
والعارف يلاحظ ربه بذهاب شاهد نفسه والعالم يلاحظ نفسه بعمله لأن
العلم يرفع أهله فى أنفسهم ؛ والمعرفة تضع أهلها فى أنفسهم لما يلزمهم من
التواضع والذلة والخشوع [ف]^(٢) النبى عليه السلام ، لما خيرته الله تعالى
بين أن يكون نبيا ملسا ، أو نبيا عبدا ، اختار^(٣) أن يكون نبيا عبدا .
وقال ذو النون المصرى : سافرت ثلاث سفرات فأول سفرة جئت بعلوم

والعلم النورانى ، هو إشراقات الربوبية فى الألوهية ، وهى مواهب تلقى فى الأرواح
ولا تكتب فى الأوراق لقصور اللغة غالبا عن إدراك تلك المعانى بالناظر . والعلم
الذاتى هو اندراج الكل فى الأحدية ، حيث لا صوت ولا عين ولا أن ، هذه هى
الأصول الصوفية فى فلسفه التدرج فى المعرفة .

(١) فى الأصل الضمير المذكور فى الفقرة كلها .

(٢) فى الأصل « يقول النبى »

(٣) فى الأصل فاختر

يفقهها العام والخاص والسفرة الثانية جئت بعلوم يفقهها^(١) الخاص ولا يفقهها العام . والسفرة الثالثة جئت بعلوم لم يفقهها الخاص ولا العام . وقال زين العابدين علي بن الحسين بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين :

إني لأكتم من علمي جواهره كيلا يرى العلم ذو جهل فيفتننا
يا رب جوهر علم لو أبوح به لقليل لي أنت ممن يعبدوا لو ثنا
ولا يستحل رجال دينون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وقال بعض الحكماء . والله لا تصلون إلى جوهر الجواهر حتى تعبروا قنطرة القناطر . ولا تنالون الكرامة حتى تشربوا^(٢) السحوم القاتلة ، قال أبو طالب المكي . وروينا في خبر أن الشيطان ربما سبقكم بالعلم قلنا يا رسول الله كيف يسبقنا ؟ قال يقول لا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قائلاً وبالعمل مسوفاً حتى يموت [الإنسان] وما عمل . ففي هذا الخبر دليلان : أحدهما : أنه أريد به [كراهة] طلب فضول العلم الذي لا نفع فيه في الآخرة ، ولا قربة في طلبه من الله^(٣) . والثاني : أن العلم المفضل المندوب إليه إنما هو الذي يقتضي العمل لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يأمر بعمل بغير علم . ولا يكره طلب علم بغير العمل به . ألا تسمع إلى قوله من خير آخر . فضل من علم أحب من فضل من عمل وخير دينكم الورع .

(١) في الأصل يفقهه

(٢) في الأصل تعبرون وتشربون .

(٣) وكراهة ذلك إن كان الطالب يجهل العلوم المقربة من الله . أما إذا أحكم العلوم النافعة للآخرة والمقربة من الله ، ثم طلب بعد ذلك . وبعد العمل به فضول علوم الدنيا فلا بأس في ذلك لأنه سيشهد فيها فيض الله تعالى على عبده .

باب

بيان التوحيد والتفريد^(١) على لسان

أهل الإشارة من العارفين والمرید

وقد ذكر الله جل ثناؤه في كتابه سبع آيات في بيان التوحيد، وصفات الموحّد، [و] جمع في ذلك علوماً علوية، وأودع فيها فهم ما ربانية^(٢). لا يهتدى إليها^(٣) إلا من أمر بالعناية.

الأولى قوله جلّت قدرته : وإلهكم إله واحد ، قال الإمام أبو سعيد^(٤) عبد الملك النيسابوري : معبودكم الذي يستحق عبادتكم وطاعتكم، معبود واحد حي لا يموت . قیوم لا ینام ، صمد لا یأكل ، قائم لا یسهر دائم لا یلهو ، قوی لا یغلب ، عزیز لا یدرکه أحد ، لا من عدد ، باق إلى غیر أمد . لیس کثله شیء . ولا کلامه کلام فی الأحكام والبیان ، لا إله إلا هو الرحمن الرحیم . موجود غیر معدوم ، معروف غیر مجهول .

وقيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه . بماذا عرفت ربك ؟ قال بم عرفني به نفسه . لا تشبهه صورة ، ولا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، ، قريب في بعده ، بعيد في قربه ، هو فوق كل شيء ، ولا يقال تحته شيء وتحت كل شيء ولا يقال فوقه شيء وأمام كل شيء ولا يقال ورائه شيء . ووراء كل شيء ، ولا يقال شيء أمامه ، عليه بما يكون كعليه بما كان ، فسبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره ، وجاء رجل أعرابي إلى جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه فقال له هل رأيت ربك ؟ قال جعفر : ما كنت

(١) في القاموس . فرد تفريدا تفقه واعتزل الناس ، وخلصا لمرعاة الأمر والنهي ، ومنه طوبى للمفردين وسبق المفردون وهم المهتزون بذكر الله تعالى . وهم أيضا الذين هلكت لدايتهم وبقواهم . والتوحيد الإيمان بالله تعالى وحده

(٢) في الأصل ربانيا

(٣) في الأصل إليه

(٤) في الأصل أبو سعيد ،

لأعبد رباً لم أره ، قال الأعرابي ، كيف رأيته ؟ قال لم تره الأبصار بمشاهدة
العيان ، ولكن رأيته القلوب بحقائق الإيمان ، لا يدرك بالحواس ولا يقاس
بالناس ، ولكنه معروف بالآيات : مشهور بالعلامات ، لا يحور في
قضائه ^(١) ولا يحيف في حكمه ، هو الواحد الذي لا إله إلا هو . فقال الأعرابي
أعلم أنك من أهل بيت النبوة والشرف ،

قال جعفر الخلدی فی معنی قوله « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » سقاهم
التوحيد في السر فتأهوا عن جميع ما سواه ، فلم يفقهوا إلا عند المعاينة ،
ورفع الحجاب ؛ فيما بينه وبينهم ، وحكى عن أبي الحسين النوري قال :
دخلت البادية على التوكل ، وكنت كلما خطر بقلبي مسألة إلى مخلوق وشهدت
العلة في ، رجعت إلى أول البادية ، ودخلت من الرأس ، عقوبه لنفسى ،
كيف أساءت ظننا بمعبودها ؟ وهى تقصده ^(٢) وتريد قربه ، فبينما أنا أسير
إذ نظرت إلى شاب قد [أ] ذابه الحب وأحرقه الشوق يتنفس تنفس
المكروب ، ويشير إشارة الحب إلى المحبوب . فسلمت عليه ، فنظر إلى مليا
ثم قال : واعجبا هو أنطقك ، وهو إن شاء يرد عليك ، قلت ما تصنع
ها هنا ؟ قال غلطت يا هذا . لست أنا بالصانع . قلت ما تطلب ؟ قال أنا
مطلوب لا طالب ، قلت إلى أين عزمك وقصدك ؟ قال يا هذا : أنا منذ
عشرين سنة بلا عزم ولا قصد ، سباني الحبيب فقطعنى عن البعيد والقريب
وغار على فلم يترك لى عزما ولا قوة ولا فعلا ولا إرادة ولا اختيارا
ولا فؤادا ولا قلبا ، ثم مع هذا بالتوحيد يطالبني ، ونفسي بالتخليط تطالبني

(١) في الأصل « قضية »

(٢) إنما جاء سوء ظننا بمعبودها ، لأنها نقضت عهد التوكل على الله بمحاولة سؤال
المخلوق . ويرى « الدرقوية » من فروع الشاذلية بالمغرب نسبة إلى شيخهم سيدى
أحمد العربى الدرقوى أن العبد في تدريبه العملى على التوكل إذا أراد أن يأخذ من
العبد فليترك يده للعبد وقلبه معلقا بالرب نابضا بذكره ولا يقدر هذا في توكله
لأن حقيقة التوكل : الخروج عن ملاحظة السبب . ويرى بعض الصوفية أن حقيقة
التوكل الخروج عن ملاحظة التوكل لأن ملاحظة التوكل سبب ينقض عقد التوكل .

فلا هو يتركني مع النفس وتخليطها ولا يكشف لي عن التوحيد ويظهر لي فقرها^(١) ، يقول وحدي أمر اونهايا وأنا أقول وحدي داعيا حتى أوحدهك بالتوحيد . معنى وحدي داعيا أي اقطع عني كل ما سواك حتى أصير لك وحدهك فأوحدهك^(٢) ثم أنشأ يقول :

خيالك في سرى وذكرك في فمي ومشواك في قاي فأين تغيب
ثم قال . ليته غاب عني^(٣) ، وإن لم يغيب عني فليته غيبني ، فقلت هذا رجل أحرقت نار التوحيد فمضيت وتركته .

وقال ذو النون . من تفكر في كيفية صعود الرب ونزوله واستوائه على عرشه أخرجه ذلك إلى الزندقة والتعطيل ، لأنه جل ثناؤه ليس كمثل شيء في كل شيء ، لو شاء لم يتكلم ولم ينقصه ترك الكلام ، ولو شاء تكلم بلا كلام ، ولو شاء تكلم بلا إلهام ، ولو شاء أقوى أبصار الناظرين على رؤيته ، وأسكن الكثير في القليل ، وأسمع الميت الرحيم خفي الكلام ، الذي لا يسمعه الحي سوى ، فاعرف ألا معرفة بكيفية قدرته وصعوده ونزوله واستوائه إلا التسليم والرضا والإقرار بالإيمان به لا غير .

الثانية : قوله جل ذكره حكاية عن إقرار الذر « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » . قال أبو بكر النقاش في معناه أجاب [ت] طائفة بقول . بلى . فهم أهل السعادة والرضوان ، وأجاب [ت] طائفة أخرى فقالوا . بل لا . جمودا فهم أهل الشقاوة والخذلان ، وقال أبو سعيد النيسابوري ، في كتابه أنطقهم بتفريد التوحيد ، فقال بعضهم : بلى ، وقال بعضهم : بل لا . فكان^(٤)

(١) في الأصل « فقرها »

(٢) أي أجعلك موحدا .

(٣) ليس المراد . الجرأة على مقام الألوهية جل وتقدس . بل المراد التعبير عن عدم احتمال الطاقة البشرية لذوق التجليات الإلهية ، فليته غابت عنه الأذواق ، حتى يقوم في مقام الإيمان بالغيب دون ذوق لذلك الإيمان الغيبي وشهود له .

(٤) في الأصل « مكان »

المؤمنون كاللآلئ الرطبة^(١) والكافرون كالحميم الأسود ، فذلك قوله تعالى
« فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين » وقال يحيى بن معاذ « لقنهم بأنه
ربهم حتى قالوا بلى . وقيل القدرة أجابت عن القدرة . ويقال أجابوا على
حد الفناء^(٢) كما قال بعضهم في ذلك :

دونك يفنى وأنت تبقى يا من به إن فنيت أبقى
لكنى فى هواه فانى فلم أزل باقيا موقى

والآية سبعون حرفا ، لكل حرف نوع من العلم ، وفيه معاملة العبد
مع ربه . من تفكر فيه عقل المراد منه قال سهل : خاطبهم الحق وهم يعقلون
عنه الخطاب . ويفهمون منه المراد ، تثبت على أمثالهم الحجة ، وكان ذلك
العقل من وصف قدرته وحجته على من خالفه وعبد غيره ، وقال أبو يزيد شوقي
ومناى أن أقول مرة لا إله إلا الله بخيبة أبي يزيد عن أبي يزيد وحضور أبي
يزيد مع لا إله إلا الله بقيا [م] أبي يزيد مع [الله] كما جرى له فى الذر مع
الله حين أقر ببلى ، فكان إقراره للرب بالربوبية ، و [ا] لنفس بالعبودية .
ثم غاب عن الإقرار وبقي التوحيد مجردا للواحد الفرد . وقيل لما أظهر الله
الخلق فى العدم بعدما كانوا موجودين فى علمه قلبهم تسع تقلبيات . آخرهم
بالقدره من الجانبين ثم بهم فى الهواء ثم عرضهم ثم استنطقهم ، فأقروا
فسجدوا فكتب بينه وبينهم فأشهد عليهم ، ثم رش عليهم [من نوره] ،
ثم جمعهم ، وردهم إلى الصلب ، وكانت كلمة الاستقرار^(٣) ظاهرها للحق .

(١) فى الأصل الرطب .

(٢) الفناء اندراج جميع الموجودات فى أصل العلم الذى صدرت عنه ، وبما
أن الاسم هو المسمى بالنسبة للذات الأقدس فإن جميع ألوان الوجود هى لأشياء
ولا موجود بحق إلا الله . ونوجه طلاب الطريق نحو هذا المشهد والاستفاضنة
منه بالطرق المقررة فى التصرف ينتج مقام الفناء .

(٣) كلمة الاستقرار أى طلب الإقرار . ومعنى أن ظاهرها للحق وباطنها
للخلق . أن الربوبية التى يطلب الإقرار لها لا تتحقق إلا برب روعبد فلا ربوبية

وباطنها للخلق ، وكلمة الإقرار باطنها للحق وظاهرها للخلق . لقنهم الجواب بقوله ألسنت؟

وقيل في معنى قوله تعالى . بلى قال بعضهم هي ثلاثة أحرف ولكل حرف إشارة إلى معنى . فالباء إشارة إلى الأمانة لأحد في شيء إلا به ، واللام إشارة إلى أن أوصاف الربوبية لا يستحق أحد^(١) من المخلوقين أن يدعيها ، ولا يليق ذلك إلا له وحده لا شريك له فيه ، وذلك مثل العزة ، والغنى ، والمدح ، والثناء ، والقدرة ، والبقاء ، والياء . إشارة إلى يوم الفصل والقضاء ، وتهديد لجميع الخلائق والورى ، ومعنى ذلك . بي أطاعني المطيعون وعبدني العابدون ، وذكرني الذاكرون ، في الملك والمالكوب والجبروت والقدرة والربوبية والبقاء والإلهية ، والخلق والأمر ، والقضاء والحكم ، لا شريك لي في ذلك ، بي يوم الجمع يجتمع الخلائق ، والمخلوق والمعبود ، والظالم والمظلوم ، والسعيد والشقي ، فأخذ للظالمين من الظالمين ، وأجازى العابدين ، وأفضل على السعداء المرحومين ، وأعدل مع الأشقاء المحرومين وأنا الله رب العالمين . فهذا تفسير إشارة واحدة من معاني قوله . بلى .

قال . وسئل أبو العباس الزوزنى . مائة الفرض ؟ قال إذا ما ضمن العبد من المعبود يوم العرض^(٢) وهي تحقيق معاني قول لا إله إلا الله . وكان [ذلك مخزوناً في] قول العبد : بلى . فمن وفى للحق بقوله . بلى . باللسان

== بدون عبودية ولا عبودية بدون ربوبية فظاهر طلب الإقرار لله تعالى وباطنه طلب العبد من الرب تلقين التوحيد ليوحده بتوحيده تعالى لنفسه وكلمة الإقرار وهي (بلى) باطنها للحق أى إنها صادرة عنه تعالى لينطق بها عبده حتى تتحقق العبودية والربوبية ولما كان ظاهر نطقها كان للخلق وهو الذى أنطقهم سبحانه وتعالى .

(١) فى الأصل . « لا تستحق أحدا »

(٢) أى ضمن العبد بها الفقه والمعرفة الكاملة بكلمة التوحيد . بتعريف الله تعالى إياه يوم الذكر ودوام تلك المعرفة فى الدنيا بلزوم مقدماتها من الذكر والفكر والعبادة البدنية حتى يضمن الله للعبد التوحيد يوم عرض الأعمال .

والأركان ، فقد أدى الفريضة جهده ، إن علم معاني حروف بلى . وحروفها ثلاثة . ب . ل . ي .

(ب) يعنى برىء من قال بالطوع . بلى . من الكفر والطغيان ، وبارز العدو بالسر والإعلان ، وبعد بالقلب والنفس واللسان ، عن كل مناهى وفسوق وعصيان .

(ل) يعنى لازم الخدمة والطاعة والسنة والإحسان ولأن عنقه عند العبودية والاستقامة للرحمان ولا م نفسه وعليه وحركته فى كل وقت وأوان . (ي) يرى بنور الجنان ما من عليه الرحمن من الأفضال والامتنان ويميل بالكل لىكل السكل فى كل الأحوال إلى رضى السكل بالسكية بالقلب واللسان ، ويأوى فى جميع الأوقات والحركات إلى باب المستعان للاستعانة وطلب الأمان . وهذه إشارة واحدة من بيان معانى حروف . بلى . وفيها [من] لطائف الحكم ما لا يعلمه إلا الله .

وقال سهل بن عبد الله . إن الذر يوم الميثاق أجابوا رب العالمين بذهن الروح ، وفهم [العقل ، وفطنة] القلب فبذلك وقع عليهم الحجة من الرب . وقال يحيى بن معاذ الرازى : لما أخرج الله الذر من صلب آدم ، أوقفهم فى الهواء وخاطبهم مخاطبة من يعقل ، ويرى مخاطبة [ة] الأرواح بأفهام حاضرة وأسماع سامعة ، وأبصار ناظرة إلى لطيف لطائف القدرة ، فسمعوا خطاب الحق ونظروا إلى عظمة الحق ورأوا الجنة والنار وفهموا العهد والميثاق ، فأقروا بالتوحيد للواحد ، وبالطاعة ^(١) للعبود الصادق ، فربما وقع على العبد الحزن وهو لا يدرك وجهه ، وذلك يكون [ل] تذكير الروح بما أخذ عليه من العهد والميثاق فى الذر ، فحزنه يكون للتقصير ، وربما بكى وهو لا يعرف وجه بكائه وذلك يكون بذكره رؤية النار فى الذر فبكائه لذلك وربما نظر إلى شىء مستحسن من الحيوانات والموات والخضرة فيسيفزه الفرح ، وذلك لما ذكر من رؤية الجنة يوم الذر ، وربما نظر إلى عبد قد

أودع الله فيه الإيمان ، وزينه بزينة الإتيان ، فركبه التعظيم والهيبة ، وذلك ذكر روحه لما تقدم له من النظر إلى عظمة الرب يوم النذر ، وربما سمع النعمة الطيبة ويستحليها وتستلذ بها ، وذلك ذكر روحه لما كان يوم النذر من خطاب الحق له في النذر .

وقال سهل لما كان يوم النذر استخرج الله الأنبياء عليهم السلام من ظهر آدم ثم أخذ عليهم أن يبلغوا عن أمر الله أمره ونهييه ، وأن يصدق بعضهم بعضا ، وينصرون بعضهم بعضا ، وذلك هو الميثاق الغليظ الذي قال [فيه] « وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » فأقروا بذلك ثم أخذ على جميعهم الميثاق أن يصدقوا بمحمد عليه السلام وينصروه ^(١) ، فأقروا بذلك . [وذلك] قوله . « وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتاكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » ثم استخرج من ظهر كل نبي ذريته وأشهد الأنبياء على ذرياتهم وذلك قوله « وأشهدهم على أنفسهم » يعني ذرياتهم . وقال الحلاج : التوحيد هو أن تقول : لا إله إلا الله بفناء أوصافك وبقاء أوصاف الحق ^(٢) .

وقال سهل : النذر ثلاث . أول وثان وثالث : فالأول محمدا الحبيب صلى الله عليه وسلم . لأن الله تعالى لما أراد أن يخلق محمدا أظهر من نوره نورا وبشه فدار في المملكة كلها فلما بلغ العظمة سجد فخلق الله من سجدة عمودا من نور كثيف كالزجاجة غلظها كالسموات السبع يرى باطنها من ظاهرها ^(٣) فيه عبد محمد رب العالمين ألف ألف عام بلا جسم ولا رسم بل بطابع الإيمان

(١) في الأصل ينصرونه

(٢) ليس في هذا القول ما يوهم الحلول . فالمراد أن يلاحظ ذاكر الله أن ذكره لله إنما هو بتلقين الله تعالى للذاكر كما كان في يوم النذر وملاحظة ذلك دائما ونسيان أن الذكر إنما كان نتيجة البحث والدليل والبرهان بفعل العبد نفسه .

(٣) في الأصل ظاهرها من باطنها

ومكاشفة الغيب قبل بدو الخلق الذي هو آدم بألف ألف عام [و] خلق آدم من نور محمد ، وجسد محمد من آدم وطين آدم من العمود الذي عبد فيه محمد ربه . والذر الثاني آدم والثالث ذريته . فآدم خلقه من نور محمد وخلق المرادين من نور آدم وخلق المرادين من نور المرادين . وقال الجنيد . إن الله جل ثناؤه لما أظهر الذر ، أوقفهم بوصف السكون ، ثم خاطبهم بمطالبة الإقرار له بالربوبية ، فتحرکوا بالإقرار وأجابوا خطاب الجبار ، وكانت [المطالبة عامة ^(١) ، والسمع عاما ، للحجة . والجواب عاما ومعاني الجواب خاصة ^(٢)] فمنهم من أسرع في الجواب ، ومنهم من تأخر عن الجواب ، ومنهم من قال بلى مرة ، ومنهم من قال مرتين ، وأقل وأكثر ، ومنهم من لم ينس ذلك في الأصلاب والأرحام ، وفي الطفولية والكبر ، إلى أن يرجع إلى العزيز الأكبر ، لا يزال يقول : بلى . بلى . ألا ترى أن الطفل في أيام ولادته إذا استنطقوه يقول (ب . ب) يريد قوله القديم . بلى . وفي الحديث . نطفة المؤمن تسبح في صلب الأب ورحم الأم . قال وعاتب رجل الحسن البصري على كثرة بكائه ، ودوام حزنه . فقال أبكاني وأحزنتي سبعة أحكام قضاها الرب في الغيب ثم أخفاها عن الخلق فأنا أبكي لذلك . كلمتان ، وقبضتان وخطتان ، ودعوتان ، ووقفتان ، ونظرتان ، وبشارتان ^(٣) . قال : كلمتان لما [قال] للذر ألسنت بربكم ؟ قالت طائفة بلى وقالت طائفة . لا . لا . ولست أدري في أي الطائفتين كنت . والقبضتان : حيث قبض الله من صلب آدم [من] صفحة ظهره اليمنى قبضة ثم فرقها في الجنة ، وقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقبض أخرى من صفحة [ظهره] اليسرى وقال هؤلاء في النار ولا أبالي . فلا أدري من أي القبضتين كنت . والخطتان : حين أمر الله القلم أن يخط في اللوح المحفوظ سعادة السعداء وشقاوة الأشقياء فكتب القلم

(١) في الأصل عاما .

(٢) في الأصل خاصة .

(٣) في الأصل بالياء والنون في فقره كلها .

الأسامي والصفات ، فلا أدري من أي الخطتين كنت . والدعوتان ؛ حين ينادى في [يوم] القيامة أين فلان ابن فلان العاصي للرحمن وأين فلان ابن فلان المطيع للرحمن فلا أدري في أي الدعوتين أدعى . والوقفتان حين يوقف طائفة داخل الحجب تحت كنف الرب جل ثناؤه ، وطائفة على رؤوس الأشهاد فلا أدري في أي الوقفتين أقف . والنظرتان حين يوضع للعبد في كفتي الميزان عمله فلا يزال مرة ينظر إلى كفة الحسنات ، ومرة إلى كفة السيئات ، فلا أدري أي كفتي ترجع على الأخرى . والبشارتان : عند فراق الدنيا وكشف الغطا وهجوم ملك الموت . لا أدري [هل] أكون ممن يقال لهم لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة [أو] ممن يقال لهم يوم القيامة . لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا ، حراما محرما أن يكون لكم من البشارة ما للمؤمنين .

وسئل الجنيد عن توحيد الخاص فقال : التوحيد هو أن يكون العبد مسبحا عن الموحّد تجرى عليه تعاريف حكمته ، في مجارى أحكام قدرته ، في ليلج بحار توحيده بالفناء عن نفسه وعن دعة الحول والقوة ، بذهاب حسه وحركته ، بقيام الحق له فيما أراد منه . يعنى أنه رجوع إلى العبد [في] (١) أوله ، أي يكون كما كان قبل أن يكون لقوله : أأست بربكم ؟ قالوا بلى إذ كان [ذلك] قبل أن يكون . وهل أجابت إلا الأرواح الطاهرة المقدسة ؟ بإقامة القدرة النافذة والمشيئة السابقة ؟ فيكون العبد كما كان وأيا كان ، ولماذا كان ، وكيف كان . وهذا غاية تحقيق حقيقة توحيد الموحّد للواحد [وهو] أن يذهب كما لو لم يكن ، ويتلاشى وتنمحي أوصافه ، وتبقى أوصاف الحق كما لم يزل ، على معنى قوله صرت سمعه وبصره ويده ورجله وقلبه يسمع به ويبصر به ويأخذ به ويعقل به .

الآية الثالثة : قوله جل وعلا « إن الله يرى من الشرّكين ورسوله ، سئل الجنيد عن الموحّد فقال من لم يشرك مع الله أحدا في تدبيره وحكمته ،

وعليه وأمره ، وقضائه وخلقه ، ورزقه وعطائه ومنعه ، كما قال تعالى تهددا لمن أشرك معه فيما له غيره فقال « إن الله يرى من المشركين ورسوله » يقول من أشرك مع الله فيما لله غير الله فالله ورسوله برتبان منه . وقال صلى الله عليه وسلم « الشرك أخفى في أمتي من ديب النمل على الصفاة في الليلة الظلماء ^(١) » . وقال صلى الله عليه وسلم « إن أدنى الرياء الشرك ، وإن أحب عباد الله إليه هم الاتقياء الأخفيا الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يعرفوا ، تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها آمنون . وقال سبحانه وتعالى « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ، فهذا ^(٢) إيمان في شرك . وقال بعضهم في معنى الآية : وهو قول الرجل . لولا كلب فلان لأخذنا اللصوص ولولا حذاقة الملاح وفراسته لغرقنا ولولا فلان لم تقضى الحاجة ولولا نشر أحمال الزبل في هذه الأرض لم ينبت هذا الزرع فهذه الأنواع وما شاكلها هي من الشرك الخفى الذى يخالط قلوب أهل الإيمان .

الآية الرابعة : قوله جل ذكره « الر . كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » قال أبو طالب المكي . أحكمت آياته بالتوحيد ، ثم فصلت بالوعيد للعاصين ، وبالوعد للطيعين ، وليس في التوحيد تفصيل ولا في الإشارة عبارة ، ولا في القدرة ترتيب ، ولا في الإرادة شريك ، إن الله يفعل ما يريد . ولكن لا بد من ^(٣) التفصيل لبيان العلم : فتوحيده لأهل القلوب والإيمان ، وتفصيله لذوى العقول واللسان . ذلك لأن في القرآن محكما ومتشابهما . فحكمه لموقفى الموحدين ، ومتشابهه للملحدى الزائغين .

فمن التوحيد المحكم قوله تعالى « قل كل من عند الله » ومن المفصل قوله

(١) أحسن ما كتب فى هذا الموضوع «خبرة الحان ورنه الألحان . شرح

رسالة سيدى أرسلان » لسيدى عبد الغنى النابلسى . طبع القاهرة

(٢) فى الأصل فهذه .

(٣) فى الأصل لا بد للتفصيل .

« وما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » . ومن التوحيد [المجرد] قوله تعالى « إن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء » ثم قال بالتفصيل « وأضلهم السامري » . وأيضا من التوحيد المشتبه [قوله] « قل يتوفاكم ملك الموت » وقال أيضا في تجريد التوحيد « يثبت الله الذين آمنوا [بالقول الثابت] » ثم قال في تفصيله « فثبتوا الذين آمنوا . . . الآية » .

فأنصبه العارفين توحيده . وأنصبه المنكرين متشابهة . إذ فيه عموم وخصوص . فعمومه لعامة الخلق ، وخصوصه لخاصة العباد ، وظاهره لأهل الظاهر من الأحكام والفحوى ، وباطنه لأهل الباطن من أولى السر والنجوى . وقال في مجرد التوحيد « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » وقال في تفصيله « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » فالتوحيد ما وصف فيه مبدأه وأضافه إليه والمنشابه من التفصيل ما وصف به الخلق وأضافه إليهم ثم نصب ^(١) ذلك للواجهين فمن كانت وجهته الحق يشهد منه التوحيد ، ومن كانت وجهته الخلق يشهد منه التفصيل .

وقال جعفر الخلدی : سمعت جنيدا يقول : خرجت من قرية من قرى بني اسرائيل أريد دخول مكة ، فرأيت شخصا قاعدا تحت شجرة وهو يقول يا أبا القاسم كل حقيقة لا تتبعها شريعة فهي كفر ، وكل توحيد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو زندقة ، وقال بعضهم : التوحيد هو إضافة كل شيء إلى الأصل ، وإن كان الله فصل ذلك في الفرع ، ألا تنظر إلى قول أهل الإعراض والغفلة في الفرع بادعاء ما ليس لهم في دعواه [حق] « أليس لي ملك مصر ؟ الآية . . . وقال ، إنما أوتيته على علم عندي . . . الآية » . وقال : شغلنا أموالنا [وأهلونا] ثم لما رجع الفرع إلى الأصل قال الله تعالى . لمن الملك اليوم ؟ فخرست الألسن ولم يحترى أحد على دعوى الملك فقال الله تعالى « لله الواحد القهار » وقال بعضهم : هب أن الله تعالى أمر الرسول عليه السلام بالدعوة

(١) الأصل أنصب

إليه فدعا . لقوله « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة » فمن الذى أسمع أذان الدعوة ؟ وفتح أقفال القلوب ووفق للاستجابة ؟ أليس ذاك الله ؟ واحد فى صناعه . فإنك لا تسمع الموتى [ولا تسمع الصم الدعاء] . وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو .

وقال أبو طالب المكي رضى الله عنه . إذا نطق الجليل بالتوحيد لم يشرك فى حكمه أحدا ، وإذا نطق بالتفصيل أشرك معه الخلق ذلك تقدير العزيز العليم . وقال جعفر الصادق رضى الله عنه : لا دليل على الله بالحقيقة غير الله ، ولا داعى إلى الله فى الحقيقة سوى الله ، إن الله سبحانه دلنا بنفسه من نفسه على نفسه . وقال بعضهم : إذا نظرت التفصيل . أثبت الوسائط والرسل وإذا نظرت إلى التوحيد لم تر فى الدارين مع الله أحدا غيره . وقال أبو يزيد . الموحّد من لا يرى غير الله ، ولا ينظر إلا إلى الله ، ولا يسمع إلا من الله ، ولا يفهم إلا عن الله ، ولا يجلس إلا مع الله ^(١) ، ولا ينطق إلا بالله ، ولا يحب إلا فى الله ، ولا يخضع إلا لله ، ولا يشكر إلا عند الله كما قال المتفرد بحاله مع الفرد :

طاب عيش المرء إذ صار بحكم الواحد

واحدا بواحد لواحد مع واحد

قلبه ولسانه وعينه للواحد

فهو لا يبصر فى الدارين غير الواحد

وقال بعضهم فى تفسير قوله تعالى « الر . كتاب أحكمت آياته » يقول الله عز وجل . ا . ل . ر . يعنى إقسامى عند المحبين ، ولطفى بالمؤمنين ، ورحمتى للمذنبين . إن هذا الكتاب هو كتاب أحكمت آياته بالتوحيد والمحبة للخوارج من المقربين . ثم فصلت آياته بالوعيد والوعد للعوام من المؤمنين . الخامسة قوله . « ومن كل شئ خلقنا زوجين » قبل الزوجان من جميع

(١) الجلوس مع الله يراد به فى لغة القوم الاشتغال بذكر الله وشهوده فى كل

عمل فى الخلوة والجلوة .

الحيوان الذكر والآثى . وقيل الزوجان اختلاف ألوان النبات وطعوم
الثار ، كالحلو والحامض ، والجيد والردى ، ليعتبر المتفكر فى الأزواج
فيعلم أن الربوبية والوحدانية لا تصلح إلا لمن خلق هذه الأزواج . ولا يجوز
العبودية والطاعة إلا للواحد الفرد الأحد الصمد . وليعلم الموحّد أن خالق
الزوجين لا يتغير كتغير هذه الأزواج . ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلك
تستوحشون من ذلك ، فتفرون إلى الواحد الذى لا وحشة فى قربه .
ولا مخالفة فى وعده ، ولا نقض لعهد ، ولا خسران فى طاعته ، ولا ندم
فى صحبته ، فإن إدراك رضا معبود واحد أسهل وأسهل من إدراك رضا
العدد الكثير من المعبودين . وقال ذو النون المصرى . الأئس بالله تور
ساطع ، والأئس بالخلقين غم واقع .

قال ودخل رجل من الفقراء مسجد الشبلى فقال يا أبا بكر . إن حالى
أضيق من النسعين ، وورأتى مطالبة العيال ، وأنا بهذا الحال ، فانظر فى
أمرى . فقال الشبلى قد نظرنا . مر فاعمل عند الله حتى يسلفك ^(١) لما تعمل
[قال] . فأى عمل ؟ قال الفلاحة . قال هذا عمل لا أهتدى إليه . قال .
مر . فاحرث موضع محرابك ، وابذر فيها بذر معرفتك ، فى أرض توبتك
ثم أنعم دق مدر حرثك بمدقة الإخلاص ، وأخف بذرك تحت دق
المهراس ^(٢) . ثم خط فى أرضك خطوط الزهد والقناعة ، والخوف والرجاء
والحزن والحياد ، ثم شد مخارج الماء بالصبر والرضا ، ثم اسقه ماء اليقين .
ثم نظف بأيدى المحاسبة ، ثم احصد بمنجل الشوق والوله ، ثم اطرحه فى
بيدر الورع والمطالبة ، ثم دسه بأرجل العزلة والخلوة ، ثم كنسه مقابلاً
لرياح العناية ، ثم اجمع أطرافه بمجامع التوكل ، ثم ذريه بمذرى المشاهدة
ثم اعزل بين خلطه وخالصه ، ثم اطحنه بطاحونة المراقبة والحياء ، ثم
اعجنه فى نقير الصدق والصفاء . ثم اخبزه بنار المحبة والهيبة ، فإذا أكلت

(١) السلف نوع من البيوع يعجل فيه المن وتضبط السلفة بالوصف .

(٢) المهراس حجر منقور يدق فيه ويتوضأ منه .

من هذا الكسب حبة ذهب عنك ألم الجوع والعطش وخوف الفقر
وأبغضت^(١) المداينة والرياء والنفاق ، فيصير جسدك لطيفة وروحك
«روحانية خفيفة» ، تطير في هواء الملكوت ، وتسرح في ميادين الجبروت ،
ثم قال للفقير قم يا مسكين فاعمل في هذا بجهدك ، فإن فيه نجاتك وعزك .
وقال بعضهم في معنى قوله تعالى «ومن كل شيء خلقنا زوجين» كيلا
تشتغلوا بالأزواج وليكون^(٢) شغلكم بمزوج الأزواج ، فإن الاشتغال
بالأزواج هو الضلال البعيد ، والانقطاع عن مزوج الأزواج هو الخسران
المبين . وقال أبو يزيد البسطامي . إن لله تعالى خواصا من عباده ، هبت
عليهم رياح العناية . فتجردت هممهم وأسرارهم ، فهم بالوحدانية مطالبون .
وبتجرد التوحيد مرادون ، توحشهم الأزواج وتكدرهم ولائح الأغيار ،
ويؤنسهم البار ، لا يهتملون غنج^(٣) مخلوق ، ويؤلمهم مسقط [ال] ذباب
لما في أسرارهم من غليان نار التوحيد ، لا يخافون إلا من واحد ، ولا يعملون
إلا للواحد ، ولا يشيرون إلا إلى واحد ، فهم وحش الله في أرضه وغرباؤه
من بين جميع خلقه ، ولا قرار لهم ولا فرار وأنشد لبعضهم :

ووحشى الطبيعة مستهام نفور القلب تأباه الديار
خيالى التألف^(٤) ذو انفراد غريب الله مأواه القفار

وقال أبو يزيد البسطامي : لم أزل أرجو في الملك والملكوت ، أربعين
سنة أطلب الواحد . لا يقربني القرار ولا يخمد في لهب النار . فما رأيت
إلا أزواجا وأشباها ، وأضدادا وقواطع ، فتناديت على حد طرف الفنا .
واعوثاه . هذا القانى المقصود فأين الواحد المعبود ؟ فهتف بي هاتف منى
فى . يا أبا يزيد هل تجد فى ملكنا وملكوتنا مكانا يصلح لنا نسكن فيه ؟

(١) فى الأصل «وبعض» .

(٢) فى الأصل «ولكن» .

(٣) أى تدلل مخلوق .

(٤) فى الأصل «ذى» .

ها نحن معك فأنت مع من ؟ وها نحن عندك فأنت عند من ؟ وها نحن لك فأنت لمن ؟ فقلت : سبحان الله الملك . قد نزل في الدار فأين أنت يا غدار ؟ فما تسأل عن حالك من كان تحرقه النار . وهو بعيد من النار وكيف وقد صار معدن النار . فأين المخلص وأين الفرار ؟ وأين الراحة وأين القرار ؟ فما مثلي إلا كما قال العامل .

أخذت نارا بيدي أشعلتها في كبدي
إلى من أشكو سيدي قتلت نفسي بيدي
يا حاضري يا ناظري ارحم فقد أحرقني
يا أخى إن كنت تطالب الواحد . فاهجر مادون الواحد ، كي تحصل لك محبة الواحد .

وقال جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه في قوله عز وجل « ومن كل شيء خلقنا زوجين » قال لينظر الموحّد إلى الأشياء بعين الاعتبار فيراها أزواجا فيفر منها ، ويرجع إلى الواحد الأحد ليصح له التوحيد بذلك . وقال أبو عثمان المغربي . الشيطان يدعوك إلى الآمنية وهو لك عدو مضل مبين ، والنفس تدعوك إلى الشهوات واللذات « إن النفس لأمارة بالسوء » والخلق . يدعو [ن]ك إلى المعاصي والمخالفات « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة . أتصبرون ؟ » وأهلك وولدك يدعوك إلى جميع المال وإنفاق العمل في طلب مهماتهم « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » « ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين » وكان من دعاء النبي عليه السلام ، اللهم لا تسكنى إلى نفسى طرفة عين فأهلك . ولا تسكنى إلى مخلوق فأضيع . اكأنى كلاءة (١) الوالدة الشفيقة [ب]ولدها ، فهذه حقيقة الفرار إلى الله عز وجل ، وهذا فرار الرسول صلى الله عليه وسلم مما سوى الله . ثم فر بعد هذا من الله إلى الله فذلك قوله عليه السلام « أعوذ بك منك » .

(١) في الأصل « كنى كلاءة »

وقال بعض أهل المعرفة . جلست إلى أبي الحسن الأطروش [و] كان من أجلة المشايخ فقلت له ، أوصني بوصية أحفظ [ها] عنك . قال : على أن تقبل مني ؟ قال : نعم إن شاء الله تعالى . فقال : فر من الله . فقلت ياسبحان الله . ما هكذا ^(١) سمعت الله يقول . إنما قال « فقرؤا إلى الله » وكل الناس أمروا بالفرار إلى الله وأنت تقول فر من الله فما المعنى فيه ؟ قال . لا تدع ^(٢) مع الله دعوى يطالبك بحقيقة ما أشرت إليه [فيها] فيهضحك عن لسان نفسك . فقلت له فما تأمرني أن أعمل ؟ . قال . أبسط بساط الضعف والعجز والفاقة والفقر وتبصبص حوله وانتظر أمره . وقال عبيد الله الجيلي . أفقر ما يكون العبد إلى الله إذا كان مع الله والآن أكون هاهنا وأنا ثم ^(٣) . أحب إلى من أن أكون ثم وأنا هاهنا ^(٤) .

وقال بعضهم . في معنى قوله « فقرؤا إلى الله » ^(٥) أي لا تشتغلوا بسياسة أنفسكم فإن مؤنتها عظيمة ولا تتفرغو الطالب رضا الخلق فإن رضاهم غاية لا تدرك . ولكن فروا إلى الله ليسكون وليسكم ، ويتولى سياستكم . قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه في معنى الآية فقرؤا إنما لغيرنا إلى مالنا ، فروا من المعصية إلى الطاعة ، وفروا من مقام الجهل إلى مقام العلم ، فروا من

(١) في الأصل يا هكذا .

(٢) في الأصل تدعى .

(٣) أي مع الله .

(٤) الفرق بين الحالتين هو الفرق بين الكينونة والانا فالكينونة بالفكر والروح والانا بالجسم ومطالبة المادية . فيصير المعنى لأن أكون بالفكر والروح في الحياة الدنيا مع الله وكل مطالبي المادية والجسمية هناك عند الله تعالى تحقيقاً للفقر إلى الله . أفضل من أن أكون بعقلي وروحي مع الله : وأنا مثبت هاهنا بمطالبي المادية أفكر فيها بنفسى وأرجوها من ربي فالحالة الأولى فرار من الله والحالة الثانية فرار إلى الله .

(٥) هذه هي الآية السادسة .

مجالس الغفلة إلى مجالس الذكر . ففروا من مجالسة المخلطين إلى مجالسة
المخلصين . وفروا من محبة الدنيا إلى محبة المولى ، وفروا من رؤية التدبير إلى
رؤية التقدير ، وفروا من عذاب الله إلى رحمة الله ؟ ومن سخط الله إلى رضا
الله ، فهذا ما وصل إلينا من معاني الآيات السبع^(١) الواردة في تجريد
التوحيد والله المعين وهو الموفق .

وقال الشبلي رضى الله عنه . افتخر آدم بالخلقة وافتخر إبليس بالجوهرة
وافتنر بلعام بالعلم ، وافتخر قابيل بالنسب ، وافتخر قارون بالمال ، وافتخر
فرعون بالملك والأنهار وافتخر موسى بالذكر والتسبيح ، وافتخر الملائكة
بالجهاد^(٢) والعلم ، فلم ينفعهم ذلك . ولم تعصم إبليس جوهرة من اللعنة
والطرد ، وآدم لم يعصمه تصوير الله إياه بيده ، وتنفخ الروح فيه من المخالفة
[والمعصية] وبلعام^(٣) لم يعصمه عليه بالاسم الأعظم من الطرد والبعد ،
وقابيل لم تعصمه نسبته إلى أبيه آدم من الهلاك والنقمة ، وفرعون لم تعصمه
ملكه وكتبه وجنده من الغرق والدمار ، وقارون لم يخلصه كنزه من الخسف حين
حل به الغضب ، وكذلك الملائكة وموسى . وافتخر نبينا صلى الله عليه وسلم
بالله وحده ، وقال أنا سيد ولد آدم ولا فخر . يقول لا فخر لى بالسيادة
على الخلق بل فخرى بمن سيدنى^(٤) فقال الله جل ثناؤه ناصحا لهذه الأمة
« احذروا أن تشتغلوا برؤية الأعمال والعلوم والأنساب والملك وصفاء
الأحوال قهلا كوا . ولكن ففروا إلى الله وحده ، حتى يكون وليكم
وحافظكم ، وموضع شكواكم .

(١) لم يذكر إلا ست آيات فقط وكان قد وعد بسبع في أول الباب . ولم ينبه
على الآية السادسة وقد اعتبرنا قولها تعالى . ففروا إلى الله .

(٢) فى الأصل « بتصوير » .

(٣) بلعام بن باعوراء أحد علماء بنى إسرائيل .

(٤) فى الأصل سودنى .

وقال أبو جعفر النيسابوري (١) . واعجابه . كل من خاف من شيء أمر بالفرار منه ، وأنا أخاف منه وقد أمرني بطلبه . وقال أبو طالب المكي قرأت في مصحف ابن مسعود رضى الله عنه « ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين » .

وقال أبو طالب ظاهر التوحيد هو توحيد الله في كل شيء . وتوحيده بكل شيء ، ومشاهدة إيجاده قبل كل شيء ، ولا نهاية لعلم التوحيد ، ولا غاية إعطاء مزيد الموحدين ، ولكن لهم نهايات يقفون تحتها ، وغايات يصعدون عنها . وقال أبو طالب . لا يصل العبد إلى مشاهدة علم التوحيد إلا بعلم المعرفة ، وهو نور اليقين ، ولا يعطى نور اليقين ، حتى يتمخض الجوارح كما يتمخض الزق (٢) باللبن حتى تظهر الزبدة وهذه مثل علوم القلب فينقل العبد إلى أعمال القلوب إذا ظهرت الزبدة وهي علم اليقين وليست هذه الزبدة غاية الطالبين ، لأن وراءها صفوها وخالصها .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . إن الله جل ثناؤه خالق الخلق ثم رش عليهم من نوره فما أصابه من ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأ [ه] ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله وقيل إن الله عز وجل لما خلق النور خلق من النور الظلمة ثم خلق الظلمة . وخلق من الظلمة النور ، ثم أخرج من النور نوراً فصار نور النور ، ثم أخرج من الظلمة ظلمة فصار [ت] ظلمة الظلمة ، ولكل طائفة من خلق الله نصيب من النور والظلمة . وذكر في الأثر خمس كلمات هن أصول لجميع أحوال الصادقين والصالحين . كفى

(١) هذه العبارة كررت مرة ثانية بعد قوله « إني لكم منه نذير مبين » ولذلك حذفنا التكرار .

(٢) الزق وعاء من جلد يتمخض فيه اللبن . واللبن الممخوض والمخيض هو الذى أخذ زبدته . والمخض بالحاء المهملة هو اللبن الخالص الذى لم يخالطه الماء حلوا كان أو حامضاً .

بالتوحيد عبادة ، وكفى بالموت واعظا ، وكفى بالعبادة شغلا ، وكفى باليقين غنى ، وكفى بالحكمة كنزا ، وكفى بالخشية علما .

أم هانىء رضى الله عنها قالت . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أحدثك بحديث ؟ قلت : بلى . يا رسول الله . قال إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس فى صعيد واحد ثم ينادى مناد من تحت العرش يا أهل التوحيد فيقومون فيقول إن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعلى الله الجزاء ، فيتعافون ويدخلون الجنة وتبقى طائفة من الناس متلازمين فينادى مرة أخرى . ما لكم واقفين ^(١) ؟ فيقولون حرام علينا أن نرجع إلى غيرك وأن نشتغل عنك إلى سواك ، فيقول الله تعالى . صدقتم أنا الموحيد وأنتم الموحدون أنتم لى وأنا لكم . وسئل النبي صلى الله عليه وسلم . بماذا عرفت ربك ؟ قال حاش لله أن أعرفه بشيء ولكن عرفت الأشياء كلها بالله . فأنا أعرفكم بالله وأشدكم خوفا من الله . وقال جعفر الصادق ، الموحّد من طالع الحق بنور التوحيد لا يكون للمخلوقين فيه خطر . . . يعنى فى قلبه خطر .

وقال بعضهم الموحّد ^(٢) الذى رش عليه من نور القبة يوم النور عند القسمة . وقيل لذى النون بماذا عرفت الرب ؟ قال ربى أجل من أن يعرف بشيء لكنى عرفت ربى بربى وعرفت مادون ربى بربى ^(٣) قيل فما

(١) فى الأصل « واقفون » .

(٢) فى الأصل « التوحيد » .

(٣) هذا هو السلوك الصعودى فى الفقرة الأولى من الجواب « عرفت ربى برى . لم أحاول أن أعرفه بنفسى . ولكنى استلمت له حتى عرفنى نفسه سبحانه ، والفقرة الثانية « عرفت مادون ربى برى » هى السلوك النزولى . فلما عرف ربه بره . استصحب تلك المعرفة حين هبط من علياء المعرفة إلى الدوالم المتفرقة فى الخلق فأثبتت وجودها بوجود الله . وبمقدار ما يصل إليه السالك من علو فى الصعود أو عمق فى النزول تكون درجة معرفته .

العقل ؟ قال العقل عاجز لا يدل إلا على عاجز مثله ، وهو آلة أعطيت لإقامة العبودية ، لا للاستدلال [على] الربوبية^(١) . ألا ترى إلى ما حكى في الأثر أن الله لما خلق العقل قال له . من أنا ؟ قال لا أدري . فكمله الجبار بنور الوحدانية فقال أنت الله لا إله إلا أنت . فلم يكن للعقل أن يعرف الله بغير الله فكيف أعرفه بالعقل .

وقال بNDAR ابن الحسين . من طلب أربعة أشياء قبل أربعة أشياء يهلك في الهالكين من يطلب مطالعة التوحيد قبل خمر البشرية يهلك ، ومن طلب الرياسة قبل السياسة يهلك ومن يطلب حقيقة التوحيد قبل الإشراف على الأسرار يهلك ومن ينبسط قبل الإذن يهلك^(٢) .

وقال ذوالنون المصري من أراد أن يستمع تجريد التوحيد فعليه بالنساء الزمنى . ومن أراد أن يتعلم الطرف فعليه بسقاة الماء ببغداد قيل وكيف

(١) ولا تدبير الرزق . راجع لابن عطاء الله الكندري . كتاب « التنوير في إسقاط التدبير » طبع القاهرة .

(٢) أى يحاول التوحيد مع رعونة البشرية من الكبر والرياسة والحرص وغير ذلك من آفات العلم . وطلب الرئاسة قبل السياسة أى طلب التصدر الإرشاد قبل العلم بسياسة النفوس وبدسائسها الخفية . وطلب حقيقة التوحيد أى طلب مشاهدة فناء الموجودات مع الله قبل الاستشراف على مشاهدة أسرار الله الخفية في عالم الخلق . والانبساط هو الاستسلام لحالة البسط التى يحسها المريدون في سلوكهم والبسط ضد القبض ولا يصح الاستسلام لهذه الحالة في السلوك بل يجب علاجها بلزوم ضدها وهو القبض حتى يسلم المريد من الانحراف عن الطريق . والإذن بالبسط معناه استعداد السالك للزوم الأدب في هذا الحال الذى زل فيه الكثير من طلاب الطريق لأنه يؤدى إلى الإدلال والإدلال يؤدى إلى سوء الأدب مع الخالق .
النساء الزمنى . ذوات الأمراض المزمنة واحده زمنة .

الطرف جمع طرفة وهو الجديد الذى يتحلف به الإخوان بعضهم بعضا والمراد طرف العلم .

ذلك ؟ قال لما حملت إلى بغداد طرح بي على باب الطاق مقيدا فر بي رجل
متزر بمنديل كوفي بيده كيزان خزف رقاق ، زجاج مخرمط فسألت من
هذا ؟ قالوا ساقى السلطان ، فأومأت إليه أن أسقني فتقدم مني ، فسقاني
فشمت من الكيزان رائحة المسك فقلت لمن معي . ادفع إليه دينارا
فأعطاه فأني وقال لست آخذ شيئا . قيل لم ؟ قال أنت أسير وليس من المروءة
أن آخذ منك ولكن الواجب أن أعطيك ، فسمعت ورائي صوتا فالتفت
فإذا امرأة زمنة يتصدق عليها ، فقالت لي ، إذا دخلت على هذا الرجل فلا
تعباء ولا تهبة^(١) ولا تر أنه قد [ا] ملك أو يقدر عليك فإنكما مخلوقان من
نطفة واحدة ، ولا تحتاج عن نفسك محقا أو متهما ، قلت ولم ؟ [قالت] إن
هيبته ساطع عليك وإن احتججت عن نفسك كنت كما قيل فيك ، ولم يزد [ك]
ذلك إلا وبالا ، وإن كنت بريئا مما قلت فادع الله ينصرك و[إن] تنتصر^(٢)
أنت لنفسك يملك إلى نفسك . فدخلت عليه . فسلمت عليه بالخلافة .
فقال ما تقول فيما قيل فيك ؟ فسكت فقال لم لا تتكلم ؟ قلت يا أمير المؤمنين
إن قلت : لا . كذبت المسلمين ، وإن قلت : نعم ، كذبت على نفسي ، فقال
هذا رجل برىء مما قيل فيه . ثم قال في آخر القصة عظمي قلت نعم يا أمير
المؤمنين رجل يعلم أن الله خلقه وخلق الجنة من أجله إن أطاعه ، وخلق
النار من أجله إن عصاه ، لا يكون على مثل ما رميت من البدعة ، ولا على
مثل ما كنت من الغفلة . فبكى وخلي عنى فخرجت إلى العجوز وقلت لها :
إني امتثلت ما قلت فمن أين لك هذا الكلام قالت من حيث الهدهد حين قال
لسليمان « أحطت بما لم تحط به ، وحببتك من سبأ بنيا يقين » .

وقال أبو يزيد . اختلاف العلماء رحمة في جميع العلوم إلا في تجريد
التوحيد ، فإن الاختلاف فيه زندقة وتلحيد ، اجتمع أقوال العلماء الربانيين
والحكماء الراسيخين أن ليس كهمو شيء فمن قال غير ذلك فهو كافر . [و] لعل

(١) الأصل تهابه .

(٢) في الأصل « تقصير أنت لنفسك فيكلك » .

ابن أبي طالب. من قال قولا غير ذا فقد ظلم وجار في الحكم وبئس ما حكم ،
وقال أبو يزيد . عرفت الله بالله ، وعرفت ما لله بالله ، وعرفت مادون الله
بنور الله ، وقال أيضا . إن طلبت التوحيد طالبني بنسيان نفسي ، وإن طلبت
محبة طالبني بعداوة نفسي ، وإن طلبت رضاه طالبني بمخالفة نفسي . يقول
الله . انس نفسك حتى تصل إلى توحيدى ، وعاد نفسك حتى تصح لك محبتى ،
وخالف هواك فإن [فى] مخالفته ^(١) رضائى . فنار التوحيد تحرق الخطرات ،
ونار الخوف تحرق الشهوات ، ونار المحبة تحرق المخالفات .

وسئل المزين الترمذى عن التوحيد فقال توحيد الله — فى المعرفه فلا
تعرف مع [ه] غيره ، وتوحيده فى العبادة فلا تعبد معه غيره ،
وتوحيده بالرجوع إليه فى كل مالك و [ما] عليك فلا تسأل أحد غيره ،
ولا تشكو إلى سواه ولا تحب إلا إياه ، وتعلم [أن] أوصافه [م] باينة
لأوصاف الخلق ، باينهم بصفاته قديما كما باينوه بصفاتهم حديثا ، فهذا هو
التوحيد وما سواه فتلحيد ، لا توحيد .

قال وأمر جعفر بضرب غلام له فليامد يده للضرب قال الغلام تضرب
من ليس شفيع غيرك فأين كرمك وإحسانك فخلى عنه . فقال الغلام .
ما كنت خليت عنى ، لكن خلّى عنى من أجرى الكلمة على لسانى . فقال
جعفر موحد ورب الكعبة لا يرى مع الله غير الله . وقال الحسين بن منصور
الحلاج : التوحيد هو أن تفتقد نفسك بوجود ربك ثم تغيب عن وجودك
بقضاء رؤية وجودك فيبقى الرب كما كان قبل كونك ، وترجع أنت إلى ما كنت
[عليه] قبل كونك . ثم قال حجبوا بالاسم فعاشوا ولو برز [ت] لهم علوم

(١) فى الأصل : مخالفتها .

عند هذه العبارة على هامش الأصل توجد العبارة الآتية ، قال سمعت
شيخى . شرقى غربى إن غبت بدا وإن بدا غيبنى .

القدرة لطاشوا . ولو كشف لهم ^(١) عن الحقيقة لما اتوا ^(٢) . فيا من قد سكر
من رائحة الكأس ، كيف بك لو رأيته ، ويا من سكر من رؤية الكأس ،
كيف بك لو ذقتها ، ويا من سكر من ذوق الكأس ، كيف بك لو شربتها
ويا من سكر من شرب الكأس كيف بك لو ثملت منها . من لم يتحقق
بالتوحيد سجد بالذل للعبيد . كما جاء في الخبر أن رجلاً يدخل الجنة فتستقبله
قهرمانة في سبعين قهرمان تحت كل قهرمان سبعون ألف قهرمان بهم من
الحسن والجمال ما يعجز الواصف عن وصفه فيهم العبد بالسجود فيقال مالك؟
فيقول ظننت أنه إلهي فيقول ليس هو يهلكه ولكنك قهرمان من قهرمانه .
وبضد هذا ما جاء في وصف الموحّد العارف من جملة الخبر أن الله عز وجل
يتجلى لهم في غير صفته ^(٣) فيقولون حاشا لربنا أن يكون بهذه الصفة .

وقريب من هذا الخبر ما روى أن الله جل ثناؤه إذا أقر أهل الجنة في الجنة
وأهل النار في النار بعث إلى أوليائه من أهل الجنة أن زوروني فيأتيهم
الملك فيناديهم : يا أولياء الرحمن . إن السلام يقرى عليكم السلام .
ويأمركم أن تزوروه . فيركبون بأجمعهم وينطلقون إلى الله ثم ينزلون في
ظل العرش فيقول الله تعالى مرحباً بأوليائي وأحبائي وزوّاري . ويكشف
لهم عن وجهه الكريم فينظرون بنوره إلى نوره . ثم يؤمرون بالرجوع
إلى منازلهم ، فترجع طائفة وتبقى طائفة فإذا [مناد] ينادي من قبل الجبار .
مالككم واقفون ؟ فيقولون حرام علينا أن نرجع إلى غيره أو نشغل عنه
بسواه . فيقول الله تعالى : صدقتم أنا الموحّد وأنتم الموحّدون ، أهل الجنة

(١) في الأصل عليهم .

(٢) والحقيقة التي تمت مشاهدتها : هي عودة الوجود المستعار في الإنسان إلى
الوجود الذاتي الحق وحينئذ فلا وجود غير وجوده تعالى . والكل فناء محض .
وعلى هذا يكون تأويل كل لفظ من هذا القبيل يرد على لسان كبير من الصوفية من
الذائقين .

(١) في الأصل صفة .

بالجنة يتنعمون وبكم تنعم الجنة فكيف من الله ترجعون فهمينا لكم^(١) .
فهمؤلاء الذين وحدوا الله فلم يستقر في قلوبهم تعظيم أحد غير الله .

قال الحلاج . من أسكرته أنوار التوحيد ، حجبته عن عبادة التجريد ،
[و] قبل إن أسكرته أنوار التجريد نطق عن حقائق التوحيد . لأن
السكران هو الذي ينبيء عن كل مكتوم . وقال الشبلي من اطلع على ذرة من
التوحيد ضعف عن حمل بقة لثقل ما حمل . وقال الفضيل بن عياض .
يقول الله جل وعز في بعض كتبه ما وحدني من خاف من غيري ، وما علم
من لم يخش . وما عبدني من لم يرض بقضائي وحكمي ، وما أحبني من
استأنس بسواي . عبدى أقبل على أعلمك من غير طلب وأرزقك من غير
تعب ، تورع تعرفني ، تجوع تراني ، وتصل إلى اعمل بطاعتي ألبسك مهاتي .
أقبل على أملأ قلبك غنى بي وأسد فقرك . وقال الشبلي . من اطلع على ذرة
من علم التوحيد . حمل السموات والأرضين على شعرة من جفن عينيه ،
وهذا القول بضد من قوله الأول .

ويقال إن رجلا من تلامذة ذى النون المصري دخل مسجد أبي يزيد
البسطامي فقال له أبو يزيد من تطلب ؟ قال أبا يزيد ، فقال أبو يزيد . أن
أبا يزيد يطلب أبا يزيد منذ أربعين سنة لعله يجده . إن أبا يزيد مذشم روائح
التوحيد لم يرجع إلى العبيد . فأخبر بذلك ذا النون فقال . رحم الله أبا يزيد
فقد نفسه فصار يطلبها مع الطالبين^(٢) . وقال الشبلي . الدنيا للأغنياء والجوع

(١) هذا الخبر اسرائيل الوضع لما فيه من محاولة التجسيد . وإن كان ذا دلالة
قيمة على منزلة الموحدين . ومحاولة التجسيد فيه . ما يظهر في أثنائه من ركوب
المؤمنين إلى ربهم كأنهم يسافرون لزيارة عظيم من العظماء ومثل هذه الأخبار كانت
أساسا لبعض الحركات الخبيلية المتأخرة في مسألة الاستواء والنزول وغيرهما وقد
اتخذ بعض أعداء الإسلام مثل هذه الأخبار ذريعة لإدخال عقائد غريبة بيننا .
لازال خطرها يستشري يوما بعد يوم .

(٢) في الأصل يطلبه

للفقراء ، والسقي للأجراء ، والبلاء لأهل المحبة والصفاء ، والنار للأباق (١) .
من أول العصيان والأشقياء ، والجنة للمتقين أهل الإحسان والوفاء .
والتوحيد لمن قد فى تحت هبة اطلاع الموحّد من أرباب المشاهدة
والحرمة والحياء .

وقال الشبلى ، لا يخلو الخلق من تعبين . تعب طرب وتعب نصب . يحلم
فتعب الطرب الموحدين ، وتعب النصب للخلصين (٢) فالموحد لا يزال فى
شغل من ربه كلما (٣) نقله من مقام أطلعه على مقام هو أعلى منه ليكون
أبدا فى تعب طرب لا تعب نصب ، كان المصطفى صلى الله عليه وسلم كلما
نقله الحق إلى درجة فهو أعلى مما كان فيه . استغفر فيه فقال إنه ليقان على
قلبي فأنى لأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة .

وقال الجنيد للموحد وقتان لا ثالث لهما سكر وصحو فالسكر ملاحظة
الحق على دوام الوقت والصحو الغناء عن الحق بالحق وقال ابن مطرق
الموحد يستوحش من الوجد والسماع ويكون فانيا أبدا ، وقيل لآبى
يزيد البسطامى إنك لا تخالطنا ولا نجلس معنا فقال مالى معكم عيش
ولا لكم فى عيش كيف أعيش معكم ؟ وأنتم تقولون انطق وأنا
أقول اسكت . وأنتم تقولون أبصر وأنا قول عم . وأنتم تقولون .
اقعد وأنا أقول قم ، وأنتم تقولون اذهب وأنا أقول ارجع ، وأنتم تقولون
خذ وأنا أقول ادفع ، وأنتم تقولون مالك لا تضحك وأنا أقول مالك
لا تبكى ، وأنتم تقولون تداو تعش وأنا أقول « دار وكن تاجميرى » (٤)

(١) العبد الآبق الهارب من خدمة سيده والجمع أباق مثل كاتب وكتاب .

(٢) فى الأصل كما

(٣) تعب الطرب هو ما يصحب التعب فى العبودية من لذة المشاهدة لتجليات
الآسماء والصفات الإلهية فى المملكة الربانية ، فينسى المشاهد كل متاعبه . وتعب
النصب هو تعب العبودية مع تعب المجاهدة للأهواء والخواطر النفسية . والمعنى
الذى ذكره المؤلف وجه آخر من المعنى .

(٤) عبارة فارسية معناها « عاج نفسك لتموت » والمراد أنه يجب على طالب

وأنتم تقولون اطلب وأنا أقول اهرب فلكم حالكم ولى حالى
ولكم دينكم ولى دين تريد منكم التخليط وتريد منى التوحيد فمضى طاب
عين الموحّد مع المخلط ، دعنا نعيش مع الله ساعة .

وقال البسطامى لو أن الله زين الجنة بسبعين ألف ألف ضعف من
ألوان القصور والخيام والأنهار والأشجار ثم خلونى فيها وحيدا ثم كان فى
جسدى نشوها ما ادعيت توحيده ، ولو أن الجحيم جعلها فى العظم أضعاف
ما جعلها سبعين ألف ألف ضعف ثم حبسنى فيها مخلدا ثم كان على جسدى يمرق
تألم بها ما ادعيت قط معرفته .

وقال الثورى : مقامات التوحيد أربعة أحوال . حال فناء العبد عن العبد .
وحال الفناء عن الفناء ، وحال فناء الفناء ^(٦) . [وحال البقاء بالله] ، كما قال الله تعالى

== الحق أن يأخذ نفسه بالرياضة والعلاج لتموت نزواتها ونزعاتها الشيطانية حتى تصفو
له المعرفة . وقد انتزع بعض العلماء هذا المعنى من قوله تعالى . هو الذى يصلى
عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور قالوا : إن الصلاة على الإنسان
لا تجوز إلا بعد موته ولا تحجير على الفضل الإلهى أن تكون صلاته سبحانه على
المؤمنين بعد الموت بمعنى مفارقة الروح للجسد وللجمع بين شرط الموت لصلاة
الله والملائكة على العباد وبين عدم التحجير على فضل الله قالوا إن الصلاة من الله
والملائكة على العباد لا تجوز إلا بعد موت النفس ومفارقة نزواتها وشهواتها ، لأن
النفس فى هذه الحالة تكون مستعدة لتلقى الرحمة الإلهية والفيض العرفانى ، لتناسب
ذبذباتها مع ذبذبات عالم الروح . لذا ورد فى الأثر « موتوا قبل أن تموتوا » وما أحكام
الشريعة إلا وسائل تصل بالعبد إلى تلك الحال .

(٦) الفناء ألا يرى المرید موجودا غيرا لله . والفناء عن الفناء . أن ينسى المرید أنه
فى عن الموجودات بوجوده فتمحى كل اعتبارات الوجود المادى وفناء الفناء . هو المقام
فى ذوق مشاهدة الحالة السابقة مع زوال صفة الفناء عن الطالب أى يصير هذا المشهد لديه
ملكه لا يحتاج إلى سلم الفناء ثم الفناء عن الفناء بل يعيش فيها دون تدرج . وهى
حال البقاء بالله .

فماذا بعد الحق إلا الضلال وقال الثوري . مازال الحق يسقيني حتى سكرت ، فلما سكرت قال لي : اعرفني . قلت . كيف أعرفك وأنا سكران ؟ وقال بعضهم : من لم يعرف حاضره كيف يعرف وارده . ومن لم يعرف وارده كيف يعرف مورده ، وقيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين قال كيف يصبح من هو في معرفة الله حيران ، وفي محبة الله وطمأن . وقد علم أن معه أعوان ، وخطاياهم مكتوبة في الديوان ، وإن لم يرض المولى كبكبك على وجهه في النيران ^(١) . وقال الخلدی : سمعت جنيدا يقول . خرجت من قرية من قرى بني اسرائيل فرأيت شخصا قاعدا تحت شجرة وهو يقول . يا أبا القاسم . كل حقيقة لا تتبعها شريعة فهو كفر وكل توحيد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو زندقة .

ومر الشبلي في سوق بغداد فقال يا أهل بغداد . [هل] فيكم من يقول الله ؟ فقام شاب من أصحاب الحديث بيده محبرة فقال : يا أبا بكر أليس كلنا يقول الله ؟ فقال الشبلي : ويحكمكم . أنتم تقولون الله نفسا بنفس ورسما برسم ، وأنا أقول : الله حقا بحق وأنتم تقولون الله ثم ترجعون إلى معلوماتكم وما لوفاتكم ، وأنا أقول : الله . بذهاب بالدنيا والآخرة . ويحكمكم وهل تحبون أن أظهر لكم علما من حقائق علوم الله ؟ قالوا : نعم . قال أحضروا طبقا أكتب عليه الله ، وقدحاً أقرأ عليه الله . ورجلا أشير إليه بالله فأحضروا ما أراد فكتب على الطبق الله . فانشق الطبق نصفين ، وقرأ على القدح الله فتقطع القدح وطار . وأشار إلى الرجل فاشتعل رأسه نارا والرجل يصيح فقال . الشبلي : يا نار كوني بردا وسلاما فليس هذا من رجالك فخدمت النار ^(٢) .

(١) ليست هذه لغة الإمام ولا منهجه ، ولعله من نقول المكي عن الشيعة ببغداد بعد رحيله إليها .

(٢) هذا الحادث يعد عند علماء التصوف من باب الكرامة التي تؤيد الولي في دعوته إلى الله على السنين المهدى . وكل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن =

وقال الشبلي إلهي أنت أنت لا يعلم أحد كيف أنت إلا أنت الناس كلهم يريدون أنت ولكن لا يعلمون من تريد أنت ، إلهي كنت أتمنى معرفتك فلما عرفتك وقع اسمي في ديوانك ولا يمكنني الهرب فلا أستطيع المكث مع الله وليتني لم أعرفك فأنا كما قال القائل ^(١) :

تمنيت نارا أستضيء بضوئها فلما أضاءت أحرقتني شعاعها

وقال الشبلي . ويلك يامدعي كيف يصح لك التوحيد ؟ وكلما ملكك شيئا ملكك ، وكلما أبصرت شيئا أسكرك . قال الحلاج . من التمس الحق بنور الإيمان فهو كمن طلب الشمس بنور الكواكب . وقال سهل لـكل طاعة آفة وآفة التوحيد الشرك ، وآفة الأنس بالله الأنس بالخلق ، وآفة الخوف الغفلة ، وآفة الزهد الرجوع إلى المباح ، وآفة الشوق إلى الجنة إيثار الدنيا عليها .

== يكون كرامة ، لولي لا تحاد الهدف في الدعوة إلى الله من الرسول ومن الولي وإن النبي الرسول هو الإمام الذي يخضع الولي لسنناته خصوصاً تاماً لا نقص فيه . وقد ينكر كثير من الناس وقوع الكرامات من الأولياء ولكننا لانصفه زعمهم ، بل ندعوهم إلى دراسة هذا الحادث من حيث المدى الهائل الذي يصله عارف الله العامل بمعرفته من شفاقية الروح وخفتها حتى ينعدم لديها الزمان والمكان ، وكلنا معاشر الدراسين منامن وثق بصحة وقوع الخوارق للأولياء ، ومنامن لم يوفق إلى هذا اليقين ، الذي تهفو القلوب داعية المولى جل وعلا أن يدلنا عليه من عنده . وقد أيدت النظريات الحديثة خوارق الإنسان فلا مجال للإنكار .

(١) لعل هذه النقول هي التي جعلت الناس يهجرون المؤلف ويتهمون بالبدعة والقول المستشنع أما قوله « فلا أستطيع المكث مع الله » فمعناه لا أستطيع الصبر على البلاء في حال معرفتي بالله أشدة وطأته . وأما قوله ليتني لم أعرفك فهو قول يبدو من العارف حينما تضيق به الحيلة عن احتمال البلاء أو حينما ينظر إلى حاله بعد المعرفة فيرى ضلال حاله قبل المعرفة ، ولو بقي على حاله الأول لرضى بقسمته . والقول على كل حال من الأقوال النائية التي لا تليق في جناب الحق . وإن كان له تأويل صحيح ، فهو من باب الإدلال الذي زل فيه الكثير من السالكين .

وسئل أبو العباس الزوزني عن التوحيد والتفريد والتجريد فقال :
التوحيد هو الوحدة للوحد، بنور التوحيد الذي رش عليه من نور القبة
يوم النذر عند القسمة . والتفريد ما أفردته المتفرد بنور الفردانية الذي رزق من
خزائن المنة . والتجريد فعل المتجرد . تجرده عند العبودية بنور الصمدانية
الذي هدها إلى سواء الطريق . بالتوفيق ، وقال بعض الحكماء .

التجريد على أربع معان : تجريد القلب ، والروح ، والعقل واللسان فأما
تجريد الروح [فـ] هو أن يتجرد المرید عن إرادة غيره ، كما يتجرد المحرم
من لباس بيته إذا باخ أطراف حرم ربه ، وأما تجريد العقل فهو أن يتجرد
من طيب المؤانسة مع كل ما هو فان [كما أن] أقل ما يتجرد [منه] المحرم
في إحرامه ^(١) من المسك والعنبر ، وأما تجريد القلب فهو أن يقوم مجردا
على باب الرجاء بالتضرع والنداء كما يقوم الحاج يوم الحج الأكبر ، وأما
تجريد اللسان فهو أن يجرده عن ذكره ويشغله بحامده كما يشغل الحاج
لسانه عند الطواف بذكر مناسكه . فيكون الروح مجردا من إرادة غيره
والقلب مجردا على باب الرجاء ، تائبا عن الالتفات إلى غيره ، والعقل مجردا
عن المؤانسة بغيره ، واللسان مجردا عن ذكر غيره .

وقال بعض الحكماء التجريد حال موسى بن عمران ليلة الشجرة . إذ
رأى نارا وكان النار نورا ، فقال لأهله : امكثوا مكانكم فإني أريد أن
أتجرد لطلب النار . قال من : طلب النار تجرد عن الآلة وإلا أحرقت النار ^(٢)

(١) في الأصل (من إحرامه من المسك والعنبر) .

(٢) هذا القول معناه : من أراد التجرد لطلب النور الإلهي . فليتجرد عن
كل آلة للنفس أو العقل أو القلب ، فيها مأرب . أولها في النفس والعقل والقلب
هوى . لأن كل مطالب النفس وأخويها . أو ما يطلب النفس وأخويها . إنما هي
قواطع وحجب . هي قواطع . لأنها توقف المداك الروحانية عند بعض المظاهر
العليا من العوالم غير المنظورة ، فتلهو بها وتقف عن مطلوبها . أو هي قواطع من
حيث أنها قد تفسر تلك المظاهر تفسيرا . لا يليق بالتوحيد والتفريد ، فيضل بها =

تجرد عن ماله ومتاعه وأهله وولد، فلما دنا من النار ومعه العصا والنعل .
 نودي فأخضع نفسك ، وألق عصاك ، وتجرد عن الكل لمولاك . والتفريد
 حال موسى عليه السلام يوم الميقات « ولما جاء موسى لميقاتنا » قيل لما غاب
 موسى عليه السلام عن جميع صفاته وحركاته ، وقام مقام الانفراد . حينئذ
 ناداه إني أنا الله . والتوحيد حال موسى عليه السلام يوم سؤال الرؤية ،
 حين قال له : رب أرني أنظر إليك . وكان في وقته ذاك ذا إرادة ونظر
 واختيار ، فلما تجلى من الجليل نوره ، تلاشى موسى من إرادته ، واختياره
 وخر صعقا ، فلما أفاق من صعقته ، قال بلا إرادة واختيار موحدا للملك
 الجبار : سبحانك تنزيها لك عما أردت وظننت أني أستطيع أن أراك ،
 وتبت إليك من قولي « رب أرني أنظر إليك » ، وأنا أول المؤمنين بأنك
 لا ترى في الدنيا والميعاد يوم العرض واللقاء ^(١) .

وقال أبو حمزة الخراساني محل أبي بكر الصديق في الدين محل التوحيد
 ومحل عمر بن الخطاب محل المعرفة ومحل علي بن أبي طالب محل الإسلام ^(٢) .

== العبد ويضل غيره، وفي هذه الحالة يحترق طالب المشاهدة بنار الضلال وهي حجب
 لأنها تغلف مناطق الوعي الروحي من الإنسان فتحجب عنها النور المفاض من
 الغيب الأقدس . فيعيش العبد وكل ما يدركه هو مدركات الوعي العقلي ، فيحترق
 بنار الحرمان من نعيم المشاهدة لمدارك الوعي الروحي .

(١) في جواز الرؤية واستحالتها مقالات للمتكلمين . واختلافات واسعة بينهم
 فيرجع إليها من أراد . لعدم جدوى إثباتها هنا فهي مما لا ينفع في باب الإيمان
 المطلوب شرعا . وهو الإيمان بالغيب واستعمال العقل في تدبير العبادة فحسب .
 ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب وقيمون الصلاة
 ويؤتون الزكاة وبالأخرة هم يوقنون .

(٢) إذا أريد معنى الإسلام الشرعي وهو النطق بالشهادتين كان هذا النقل
 غريبا لأن منزلة الإمام رضى الله عنه أكبر من هذا بكثير . ولعل المراد المعنى
 اللغوي للإسلام وهو الاستسلام الكلي لمراد الله حتى لا تنازعه إرادة النفس

وسئل عن بن سهل بن عبد الله عن حقيقة التوحيد فقال . قريب من الظنون ، بعيد في الحقائق ، أنشد لبعضهم :

فقلت لأصحابي هو الشمس ضوءها قريب ولكن من تناولها بعد
وقال أبو العباس الزوزني . التوحيد علامة يعرف بها المتعبد نفسه ،
والتجريد علامة المتجرد يعرف بها نفسه ، والتفريد علامة يعرف بها المتفرد
نفسه ، فعلمة صحة التوحيد في سر المريد أن يستوحش المريد من سره ،
ويستأنس في سره بلا سره كما قيل لأبي يزيد : ما اسم الله الأعظم ؟ قال : أن
تقول لا إله إلا الله وأنت لست ثم . وعلامة صحة التفريد في قلب المتفرد ، أن
يستوحش سره من قلبه ، ويستأنس في قلبه بلا قلبه ، كما قال واحد .
ولي ألف وجه قد عرفت سبيله ولكن بلا قلب إلى أين أذهب
وعلامة صحة التجريد في نفسه . أن يستوحش من نفسه ويستأنس
في نفسه بلا نفسه .

وقال بعضهم التجريد أن ينسلخ المريد من جميع ما يريد غير ما يريد المراد
من المريد كما تنسلخ الحية من جلدها ، واللبن من ضرعه ، والولد من أمه ،
والسهم من قوسه ، والماء من عينه ^(١) . وسئل أبو العباس صف لنا الموحدة
فقال : نعم . الموحدة هو الذي غرق قلبه في أنوار التوحيد ، وطار قواده في
لباب التفريد ، واحترقت نفسه بنيران التجريد ، ليكون منقطعا من القريب
والبعيد ، متصلا بحق المهيمين المجيد ، متحيرا بين الخلق والحق على شفا
جرف هار ^(٢) . والتخليط والتشريد : مثل الكليم قطعه عن خلقه كما قال :

= ولا العقل ولا القلب .

ولعله أراد بذلك ردع الشيعة الغلاة . وقد يؤيد هذا ما رواه عن جعفر الصادق
في الآية الرابعة من باب وصف العارفين . من أن آلاف العوالم المجهولة ألهمت أن
تستغفر لحبي أبي بكر وعمر .

(١) في الأصل الضمير في الفقرة كلها مؤنث

(٢) لأنه يعيش في الوجود . ولا يرى له وجودا . هذه هي الحيرة التي عبر =

واصطفيتك لنفسى . أى لم أدع لغيرى فيك نصيباً فلما قطعه عن الغير قال موسى : رب أرني أنظر إليك . فبعد ذلك أيضاً قطعه عن نفسه فقال : لن تراني . فصار منقطعاً عن نفسه بربه . ومنقطعاً بربه عن ربه . ومعنى لن تراني [أى] فى دار البلاء والمحنة . والميعاد يوم الزيارة والرؤية ، فى دار النعمة ، على بساط المنة ، بلا فراق ولا حشمة ، ولا احتراق ولا وحشة .

وقال أبو طالب رضى الله عنه . علم التوحيد ومعرفة صفات الرب مبين لسائر العلوم ، لأن الاختلاف فى علم الظاهر رحمة ، والاختلاف فى علم التوحيد ضلال وبدعة ، والضلال فى علم الظاهر مغفور بما كان [من] حسنته ، والخطأ فى علم التوحيد فى شهادة اليقين كفر ، من قبل أن العباد لم يكفوا حقيقة العلم عند الله ، فى طلب علم الظاهر . وعليهم موافقة الحقيقة عند الله فى التوحيد^(١) .

باب وصف العارفين الذين وصفهم المعروف

بالصفاء واليقين

قال بعض الحكماء . المعرفة أعلى مقامات الموقنين وأكمل أحوال الصادقين ، وأشرف رتب المقربين . وأهل المعرفة هم الذين عززهم الرسول صلى الله عليه وسلم وقللهم فى جملة كثرة الجمهور ، فقال : هم أعز فى أمتى من

عن المشاهدون . بأن العبد موجود ولا موجود . وكائن بائن ومتصل منقطع . وهو مشهد تزل فيه كثير من الأقدام غير الراسخة . أما الراسخ فيقف على شفا الحرف ثابت القدم . مستهدياً باليقين .

(١) أى إن العباد مكلفون فى التوحيد بالإيمان بما جاء عن الله تعالى فيه إيماناً غيبياً دون البحث فيه بالعقل « الذين يؤمنون بالغيب » أما فى علم الظاهر فالعباد مأمورون بالاجتهاد وليس الاجتهاد بحثاً عن حقيقة الحكم عند الله . وعلى هذا فالخطأ فيه له أجر . فصار الإيمان الصحيح . هو تسليم المعجوز عن دركه . والتسليم له . والانقياد له فى محابه ومكارمه . دون بحث عن الذات . حتى يعلمه الله بتقواه .

الكبريت الأحمر . وسمى المعرفة أصل العلم ورأس العلم ، في الخبر المروى عنه . قال أنس بن مالك . جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : علمني غرائب العلم . قال : وما صنعت في أصل العلم ورأس العلم حتى تعرف غرائبها ؟ قال : وما أصل العلم ورأس العلم ؟ قال : هل عرفت الرب ؟ فالمعرفة بالله هي ^(١) أوجب الأشياء على الخلق وأفرض الأشياء عليهم للحق .

فانظر في حال السائل جام . يطلب ما لا يحتاج إليه وهو لا يدري ، وترك طلب ما يحتاج إليه وبه يهتدى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ناصح الخلق ، ودليل الأمة ، دفعه عما هو به غير مطالب ، ودله على ما هو به مطالب . وهذا دليل واضح في أدب السؤال للعلم ومعرفة المستؤل . وذلك أن كثيرا من السائلين في سؤالهم يغلطون ، وهم في ذلك يظنون أنهم بالحق ينطقون . فعلى الحكيم العارف ألا يجيب السائل في سؤاله حتى يوقفه على صدق حاله ، ومن صح له المعرفة فعنده يوجد رأس العلوم وجمالياتها ، وأصل العلوم وبنيتها ^(٢) ، وعلم بلا معرفة كجسد بلا رأس ، وكبناء على غير أصل ، ولا أساس ، فيكون مأسوسا على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم . فأنا إن شاء الله أجمع لك سبع آيات من كتاب الله عز وجل بين الله فيها ^(٣) معرفة العارفين به ، وماهية وصول العارفين إلى معرفته ، وكيفية دخولهم في ذلك ، بلسان أهل الفهم والإشارة ، وأرباب التنظيف والطهارة ، الذين رفع لهم الجليل أعلام الهداية . وتوجههم بتاج العناية ، وسربلهم بسرابيل الكفاية ، وأزرهم بمآزر الرعاية ، وأنبع في قلوبهم أنهار الحكمة والدراية ، أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم .

وقال جعفر الخلدی فی قوله تعالى : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . قال : إلا ليعرفوني . ثم يعبدوني . على بساط المعرفة ، ليتبرأوا

(١) في الأصل « هو »

(٢) في الأصل « وجمالية وبنيتها »

(٣) في الأصل فيه

من الرياء والسمعة . وقال ابن عطاء : إلا ليعرفوني . وما عرقه حقيقة من وصفه بما لا يليق ^(١) .

سئل الشبلي رضى الله عنه قوله صم بكم عمى . قال : هذه صفة العارف لأن الله تعالى ، قال للكافر والزنديق : صم عن استماع الحق ، بكم عن التكلم بالحق ، عمى عن النظر إلى الآخرة والحق ، فهم لا يعقلون أمر الهوى والدنيا ، فالعارف الصديق هو بضد هذا الوصف [أ] صم . فلا يسمع غير الحق من الحق ، [أ] بكم فلا ينطق إلا بالحق من الحق للحق ، [أ] عمى فلا ينظر إلا للحق بالحق . ثم قرأ . أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . وقيل له مرة أخرى : هل للعارف علامة ؟ قال : نعم . الاستغناء والافتقار ، والاحتقار للنفس . وقيل : صم . فلا يسمعون نداء المخالفين . بكم فلا ينطقون مع المعرضين ، عمى فلا ينظرون بعين ^(٢) الجاهلين .

وقد قيل في معنى هذا من تفسير قوله تعالى في قصة هرون وموسى عليهما السلام : وأخى هرون هو أفصح مني لسانا . قال أبو بكر بن طاهر : هو أفصح مني لسانا لأنه لم يسمع خطابك ، ولم يخاطبك في موقف حضورك فهو أفصح مني لسانا مع المخلوقين . كيف أكون معهم فصيحاً وقد سمعت لذة كلامك ؟ ولكن كيف أخاطبهم مع مخاطبتك ؟ أم كيف أجعل لهم وزراً على ما أدنيتني وخصصتني به من قربك ؟ وكيف أخاطبهم بلسان به خاطبتك ؟ وكيف أطيق سماع خطابهم بأذن سمعت بها خطابك ؟ وقيل كيف أخاطبهم وكلما ذكرت نداءك لي : إني أنا ربك . تحيرت في فهم الكلام كأنى سكران ، وصار عقلي كعقل الصبيان .

رجعنا إلى تفسير الآية . وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم . إذا أراد الله بعبد خيراً أعماه وأصمه وأخرسه وأجهله على غيره . صدق صلى الله عليه وسلم . من لا يجمل غيره كيف يعرفه ؟ ومن لا يعمى عن

(١) في الأصل « ولا معرفة حقيقة من وصفه بما لا يليق » .

(٢) في الأصل بزين وأفرد الضمير في الفقرة كلها

غيره كيف يبصره؟ ومن لا يصم عن سواه كيف يسمع منه؟ ومن لا يخرس كيف ينطق معه؟ وقال بعضهم صم عن المشاغيل، بكم عن الأباطيل، عمى عن التماثيل، فهم لا يعقلون غير خطاب الملك الجليل. وقال بعضهم صم عن الورى، بكم عن الهوى، عمى عن الدنيا، فهم لا يعقلون غير البر والتقوى، وقال آخرون في تفسير الآية بضد من هذا في وصف أهل العمى والجهل. قيل فيه: صم عن النداء، بكم عن الدعاء. عمى عن الوفاء، فهم لا يرجعون إلى مقام التوبة والحياء. وقيل صم عن الملامة، بكم عن الندامة، عمى عن السلامة^(١)، فهم لا يرجعون إلى التقى والإمامة. وقيل: صم عن النصيحة، بكم عن الشريعة، عمى عن الرجيحة^(٢)، فهم لا يرجعون عن^(٣) الخزي والفضيحة.

الآية الثانية: قال جعفر الخلدي في قوله عز وجل: الله الصمد. هي خمسة أحرف ألف ولام وصاد [وميم] ودال. قال: الألف دليل على أحديته. واللام دليل على إلهيته. وهما مدغمان لا يظهران على اللسان ويظهران في الكتابة. فدا[ت] الحكمة في ذلك على [أن] أحديته وإلهيته خفية مستورة الحقيقة، وأنه لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس. فنخفاؤه في اللفظ؛ دليل على أن العقول لا تدركه ولا تحيط به علما، وإظهاره في الكتابة دليل على أنه يظهر على قلوب العارفين، ويبدو لأعين المحبين^(٤) في دار السلام، بوصف الكمال والتمام. والصاد. أنه صادق فيما وعد. فعله صادق، وكلامه صدق، ودعا عباده إلى الصدق. والميم دليل على ملكه. فهو الملك على الحقيقة لا مالك للأشياء غيره. وكل ملك سينزل

(١) أى عن طريق السلامة

(٢) أى عن العمل الراجح عند الله

(٣) فى الأصل إلى

(٤) ليس المقصود أن يبدو سبحانه لأعين المحبين ظهورا ماديا بل المراد ظهوره

للبصيرة من حيث شهود آثار الأسماء والصفات ذوقا وتحقيقا لا بالعقل والدليل

[إلا] ملكه ، والدال . علامة دوامه في أبديته وأزليته .

وقال بعضهم . علامة العارف ترك الطلب ، وعلامة من ليس بعارف الجهد في الطلب . لأن العارف حاضر ، والحاضر قد استغنى عن الطلب ، والطالب يطلب ما قد غاب عنه . من غاب عنه شيء فليس بعارف به . وقال الجنيد : الصمد الذي لم يجعل لأعدائه سبيلا إلى معرفته . وقال الخلدی : الصمد الذي لم يعط خلقة من معرفته إلا الاسم والصفة . وسئل بعضهم . ما معنى الصمد ؟ [فقال] أعلمك الجليل جل جلاله أن ما يتسع له اللسان أو يشير إليه البيان أو يتفكر فيه الجنان من تعظيم أو توحيد أو تفريد أو تجريد فهو معلول . والحقيقة وراء ذلك لا تحيط بها العلوم ولا يشرف عليها أحد . لأن الصمدية بمنتهى عن ذلك كله . فيا عجباه من ظنك وتوهمك بأنك تعرف ربك . كيف تبلغ أو صافه بلسانك وهو الذي خلق لسانك ؟ والمخلوق لا يتسع ولا يبلغ ولا يدرك به إلا وصف مخلوق مثله . كيف يشير إليه بالبيان وهو الذي خلق البيان وبين البيان وبين البيان ؟ وكيف يفكر فيه الجنان وهو الذي خلق الجنان وأجن الجنان في ظلمات الأجسام ؟ وأجن في الجنان ما يتفكر به الجنان ؟ فسبحانه من جبار لم يذكره بالحقيقة أحد ، ولا وصفه أحد ، ولا عرفه أحد ، ولا شكره أحد ، ولا أحبه أحد ، ولا أخافه أحد . لم يذكره غيره ولا وصفه سواه ولا عرفه غير إياه .

وقال أبو علي الروذباري . وجدنا أنواع الشرك في ثمانية أنواع : على التبعية والتقليب ، والكثرة والعدد ، والعلة والمعلول ، والأشكال ، والأضداد . فأنزل الله تعالى سورة . نفى [فيها] عن نفسه نوع الكثرة والعدد بقوله : « قل هو الله أحد » ونفى التبعية والتقليب بقوله : « الله الصمد » ونفى العلة والمعلول بقوله : « لم يلد ولم يولد » ونفى الأشكال والأضداد بقوله : « ولم يكن له كفوا أحد » . وقيل إن رجلا من أهل المعرفة قام ليلة إلى ورده ، فلما قرأ وتلفظ بهو ، بقى يقول . هو . هو . هو . حتى طلوع بفجر ، فلم يقدر أن يجاوزها . غرق سره في ميدان ألوهيته فلم يبق في نفسه

لنفسه بقية ، وقيل : الصمد الذي لا يستغنى عنه شيء من الأشياء . ألا ترى إلى قوله « يسأله كل من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن » . فلم يبق خالق من خلقه إلا طائف على بابه ، طالب لنواله ، فمن استغنى عنه بنفسه أو بماله ، أو رأى أحدا من خلقه ، فذاك الشقي الخاسر ، والمحروم البائر .

وقال بعضهم . إلهي . كل الناس يريدونك ، فياليت شعري من الذي تريده ؟ وكل الناس يطلبونك . فياليت شعري من الذي تطلبه أنت ؟ وكل الناس يطلبون محبتك . فياليت شعري من الذي أنت تحبه ؟ . إلهي . كل الناس يذكرونك . فياليت شعري من الذي تذكره أنت ؟ . كل الناس يتقربون إليك . فياليت شعري من الذي تقربه أنت ؟ (١) .

الآية الثالثة : يقال : إن رجلا جاء إلى أبي بكر الشبلي ، فقال له : دلي على معرفة الجليل كيف ينبغي الدخول فيها (٢) ؟ . وبماذا ينال ذلك ؟ وكان الرجل ذا معرفة بعلم الظاهر . فقال الشبلي يا [رجل] هكذا جئت تستدل على معرفة الجليل فهل عرفت [على] نفسك الدليل ؟ لماذا خلقت ! ومتى خلقت ؟ وفيما ذا خلقت ؟ وبماذا خلقت ؟ وكيف ولماذا خلقت ؟ فإذا أجبته عن هذا أجبته عما سألت ، وإلا فأنت إلى معرفة ما أخبرتك [به] أحوج

(١) هذه المناجاة ، وأمثالها . لون من الأدب الصوفي الرفيع ، فهي تسكاد تكون شعرا منشورا ، ولا يخفى ما في خليجاتها من الهيمنة على المثل العليا للحياة الروحية ، والأدب الصوفي كله ، ينزع نحو التسامي عن المظاهر ، والنظر إليها على أنها شيء لازم في الوجود ، والنظر إلى الناس نظرة أخوة وإشفاق من هذه المظاهر ، وعدم احتقار أي إنسان ، لأننا كنا في جهله بالأمس ، وكل الناس يسرون على الطريق ولكن منهم المتخلف ومنهم المتقدم ، نخذ بيد أخيك ، ولا تحقره .

هذا تلخيص مذاهب الأدب الصوفي في إيجاز . والأوراد الصوفية . جديرة بالبحث مع غيرها من ألوان المناجاة .

(٢) في الأصل « فيه »

منك إلى معنى معرفة ما سألت [عنه] . فقال الرجل : بلى . خلقت من نطفة ، و خلقت للابتلاء والمحنة ، قال الشبلي : ويحك . من علم أنه خلق من نطفة كيف يطمع في معرفة من قطع الأوهام عن إدراك أينونيته وكيفوفيته ومن أظهر اسماء من أسمائه وهو الله . ثم اشغل جميع الألسن [!] شرح هذه الكلمة من حين خلق آدم إلى أن تقوم الساعة لم يدركوا نهاية ذلك . فكيف بالمسمى ؟ وإن بنى إسرائيل مكثوا أربعين سنة يطلبون بقرة لم يهتدوا إلى معرفتها ، ولا وجدوها ولا وقفوا على حقيقتها . وكيف تطمع أنت أيها الطالب لمعرفة الله في إدراك معرفته . وبهيمه لا يهتدى إلى معرفتها إلا بعد أربعين سنة . إن في ذلك لذكرى لأولى الأبواب وعبرة عظيمة للتدبر الخطاب .

الآية الرابعة : ذكره تعالى « الرحمن على العرش استوى » قال جعفر الصادق . إن الله تعالى لم يخلق مخلوقا أعظم من العرش . أحكم خلقه من ياقوته حمراء فجعله سبعين ألف طبق . وجعل [له] ثلاثمائة وستين قائمة ، كطباق الدنيا ستون ألف مرة ، تحت كل قائمة ستون ألف صخرة ، في كل صخرة ستون ألف مدينة ، في كل مدينة ألف عالم ، مثل عالمكم هذا ، لا يعلمون أن الله خلق إبليس ولا آدم كلهم ، في الجنة . ألهمهم الله أن يستغفروا المحي أبي بكر وعمر^(١) فلما خلق العرش علا على العرش واستوى^(٢) معرفته بكل شيء فليس شيء قريب إليه من شيء ثم خلق ملكا له ثمانية عشر ألف جناح ، ما بين كل جناح وجناح مسيرة خمسمائة عام ، فجعل الملك يقول في نفسه : أفرق ربنا شيء ؟ والله فوق عرش ربنا . فعلم الله ذلك فزاد في أجنحته مثله وكان له ستة وثلاثون ألف جناح ، ثم أوحى إليه . طر . فطار مقدار

(١) ظاهر الخبر ردع للروافض ويرى أتباع جعفر الصادق أن خلافة أبي بكر وعمر صحيحة باعتراف الإمام علي وإن كان هو صاحب الحق فيها ولكن ما دام هو قد بايع فهم لا يرفضونها . ولا يخفى ما في الخبر من دلائل على الشك في صحته (٢) في الأصل « استوى » .

عشرين ألف سنة يقطع [في] كل طيران مائة ألف عام، فلم ينل قائمة من قوائم العرش، فأوحى الله إليه: أيها الملك. إني عظيم فوق كل عظيم، وليس فوقى شيء عد إلى مكانك. فسأب الله أجنحته لما تفكر في نفسه.

وقال أبو طالب المكي. رضى الله عنه. قيل إن الله ينظر إلى العرش عند كل سحر نظرة فيتسع عند ذلك مائة ألف ضعف على ما كان، ويزداد بكل توسعة مائة ألف ضعف. من المعرفة، بالله وتسبيحه: سبحانك أينما كنت وأين تكون. وتسبيح الجملة سبحان من لا يعلم ما هو إلا هو.

وقال انشيلي. من لم يعرف فهو غريق في بحر الحسرة والمغابنة. وسئل مالك بن أنس عن قوله « الرحمن على العرش استوى » كيف استوى [ف] قال الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. ثم أمر بالسائل فأخرج من المجلس^(١). وفي الخبر أن أربعة من الملائكة اجتمعوا عند النبي عليه السلام. فقال لأحدهم من أين جئت؟ فقال من فوق سبع سموات وتركت ربي هناك، وقال الآخر: من تحت الثرى وتركت ربي هناك. وقال الآخر وأنا من الخافق الشرقى وتركت ربي هناك، وقال آخر: وأنا من الخافق الغربى وتركت ربي هناك.

ويقال إن موسى بن عمران لما كلمه الله ليلة الشجرة؛ دهش من سماع نداء الحق فقال: إلهي أين أنت؟ أقرب فأناجيلك؟ أم بعيد فأناديك؟ فقال

(١) هذا مذهب السلف فيما يمنع البحث فيه من مسائل العلم. فلا يجوز عندهم البحث في الذات وما حولها من مباحث كالقضاء والقدر. والصالح والأصلح. وأفعال العباد. وغير ذلك. لأن الصحابة رضى الله عنهم ماتوا وهم لا يعلمون عن ذلك شيئاً، من باب الجدل.

ولا يظن أحد أن ذلك حجر على العقول، وإعاقة لنهضتها، لأن موضوع الذات وما حولها لا يهم هؤلاء الناقدين ولا يتقدم بحياتهم المادية ولا يكشف عن اختراع جديد، وإذا قصد بإباحة هذه الأبحاث مجرد الرياضة العقلية فهناك مجالات أكثر رياضة للعقل من هذه البحوث.

الله لموسى . أنا من فوقك ، وأنا من تحتك ، وأنا عن يمينك ، وأنا عن يسارك ، وأنا أمامك ، وأنا وراءك ، وأنا معك . أنا أقرب إليك من أنفك إلى لسانك ومن لسانك إلى حذقتك ، ومن حذقتك إلى سواد عينك ، ومن سواد عينك إلى ناظرك ؟ وأنا أقرب إليك منك إلى نفسك فادعني من أى وجه شئت فما أنا ناظر إليك^(١) . وعن ابن عيينة . فى معنى قوله تعالى « ألا له الخلق والأمر » قال الخلق ما دون العرش والأمر ما فوق ذلك .

الآية الخامسة : قوله جل ثناؤه « ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء » قيل الهاء إشارة إلى الله تعالى . وقال ابن عطاء . ولا يحيطون بشيء من ربوبيته علما ، لأنه لم يظهر شيء إلا تحت تلبيس^(٢) . لكن لا يستوى علما فى شيء واحد . ما علمه غيره ولا عرفه سواه ، ولا ذكره غير إياه فهو العالم على الحقيقة ، والعارف على الحقيقة ، والذاكر على الحقيقة^(٣) ، وفى الخبر أن ملكا من الملائكة يتفكر فى الله تعالى فيصيح به . مالك ولهذا ؟ فهم على وجهه من ذلك فسمى المفكر . فهو فى الهيمان إلى يوم القيامة . وقال ابن عطاء : المعرفة معرفتان : معرفة حق ومعرفة حقيقة . فمعرفة [ال] حق معرفة وحدانيته على ما أُرز للخلق من الأسماء والصفات ومعرفة الحقيقة على ألا سبيل إليها ، لامتناع الصمدية . وحقيقة الربوبية لقوله « ولا يحيطون به علما » [أى] لا سبيل إلى المعرفة على

(١) لا يبعد أن يكون هذا مما أوحى إلى موسى حقيقة ، مما تناقله الرواة ، فهو تصوير للعقيدة السليمة من كل جهاتها .

(٢) المراد بالتلبيس إظهار الأسماء والصفات بالأسباب : فكل مظهر فى الوجود له سبب قريب يلبس عقول العامة ويصرفها عن السبب البعيد . المبدع الأول . سبحانه وتعالى .

(٣) الذاكر الأول لله هو الله . قال تعالى هو الذى لا إله إلا هو والعارف الأول لله هو الله شهد الله . أنه لا إله إلا هو وقد ذكر الذاكرون بذكر الله لنفسه وعرفوه بمعرفته لنفسه .

الحقيقة^(١) . وقال الشبلي رحمه الله : إن عرفناك حيرتنا ، وإن طلبناك
أتعبتنا ، وإن قصدناك أدهشتنا ، وإن أحببناك قتلتنا ، وإن شاهدناك
أفنيتنا ، وإن أردناك أبلينا وإن دنونا منك أحرقتنا وإن ضحكنا أخزيتنا
وإن بكينا أسكتنا وإن هربنا منك طلبتنا ، وإن أطعناك حذرتنا ، وإن
عصيناك عذبتنا ، فلا لي معك راحة ولا لي في غيرك أنس ، فالمستغاث بك
منك إليك .

الآية السادسة : قوله جل ذكره « وما قدروا الله حق قدره » قال ابن
عطاء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة ذرفت منها
العيون ، ووجلنا منها القلوب ، واقتشعرت منها الجلود ، ثم قرأ هذه الآية
« وما قدروا الله حق قدره » فتزعزع أعواد المنبر وظننت أنه يسقط على
وكنيت تحته . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر القيامة احمرت
وجنتاه ، وانتفخت أوداجه . وعلا صوته كأنه منذر جيش صبحهم العدو
ويقول . أنا والساعة كهاتين ويجمع بين السبابة والوسطى . إن كادت
تسبقني .

وكان أبو يزيد يوم الجمعة جالسا بجذاء المنبر ، وقرأ الإمام
« وما قدروا الله حق قدره » فهاج بأبي يزيد حاله ، وجعل يبكي ويخرج من
عينه الدم كدم العرق^(٢) ، حتى ضرب المنبر وهو يقول . من أنا حتى أقدر

(١) الذي لا سبيل إلى معرفته على الحقيقة هو الذات ، والذي يمكن أن تجول
فيه الأرواح هو الأسماء والصفات جولان ذوق ، لا جولان نظر وعقل . والذي
يمكن أن تجول فيه العقول . هو العناصر غير المنظورة كالإشعاعات والفضاء
وحركات الذرة وغير ذلك من الأبحاث العلمية . والذي يمكن لسكل العقول والنفوس
أن تجول فيه هو العلوم النظرية والعملية على الإطلاق - فإذا كانت الأسماء
والصفات أوقفت كبار المشاهدين في الحيرة . فلا شك في أن مشهد الذات قاتل
محرق ليس معه شيء ولا عين هناك ولا أين .

(٢) أي كالدم الذي ينزف من العرق : ولعل حمرة دمع أبي يزيد رضي الله

تدرك . سهل بن عبد الله ، ما عرفوا الله حق معرفته [لا] في الأصل ولا في الفرع . وقال ذو النون إن للعارفين السنة أرضية وسماوية وأزلية وأبدية وإلهية . فإن رأيت منهم أحد فاصحبه . واحذره ، فإن أمره قريب وحاله عجيب وعوزه بعيد لأن المعروف له حبيب^(١) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم الناس كلهم في ذات الله حمقى .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه . سبحان من لم يجعل لأحد من خلقه سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن درك معرفته . وكانت رابعة تقول : إلهى عرقى نفسك فإني إذا عرفتك خفتك ، ومحال أن يعصيك من يخافك . وقال ابن مسعود رضى الله عنه . جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . إذا كان يوم القيامة جعل الله تبارك وتعالى السموات السبع على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والجبال على إصبع . والشجر والمدر على إصبع ، والخلائق كلها على إصبع ، ثم يهزها ثم يقول . أنا الملك الجبار . أين الملوك والجبابرة . قال . فلقطت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا لما قال تصديقا للقرآن ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا

— عنه لو نبت دمه بلون الدم إن كان مستبعدا في بعض العقول نزع الدم من العين أثناء البكاء .

(١) وجه الحذر من العارف . من حيث أنه متقلب في ألوان المعارف غارق في التجليات الإلهية وفي شئونها المختلفة . والعارف دائما في حالة إفاضة عامة يعرفها القليل ويجهلها الكثير . وله إفاضة خاصة على المستعدين من طلاب الطريق . يوجه بها المريد في حذر . فليحذر المريد من حال شيخه وليكن على دراية بكل ما يعمل في كل حال . ومتى يصمت ومتى يتكلم . ومتى يتوجه .

فإن كان فطنا نجا . وإن كان فيه غفلة هوى . وإذا كان مثل ذلك ثابتا في علم الظاهر بين الأستاذ والطالب فلم يثبت في عالم الروحانيات على طقوس روحانية أيضاً ؟ .

قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ، قال . وكان من كلام ابراهيم الخليل عليه السلام . سبحانه من قدر بقدرته كل قدر ، ولا يقدر أحد قدره . سبحانه من أوله حلم لا يوصف ، وآخره علم لا يبيد . وقال أبو العباس الزوزنى : كيف يعظم الجليل جل جلاله من لا يعرف جلال قدرة الجليل . وكيف يعرف جلال قدرة الجليل ، من لا يرى مشاهدة الجليل من قدره ، ووضر قلبه ، بظلمة العصيان ، ونام ذهنه من كثرة الغفلة والنسيان ، فأصبح كالمتحير السكران ، لا يعرف الزيادة من النقصان ، ولا الرجح من الخسران .

وقال الزوزنى : لو زال عنا حرمة ما حفظنا حرمة ، ولو تركنا حرمة ما ادعينا معرفته . وقال بعضهم رأيت أعرابيا يطوف بالبيت وعليه خرقة من عباء وهو يقول : يا من يرى ولا يرى ، أما ترى أما ترى تقرزى ؟ أما ترى تحيرى ؟ أما ترى أما ترى أنى عار ؟ أما ترى أما ترى حريقى ؟ أما ترى أما ترى تذلى ؟ أما ترى أما ترى تقرزى ؟ أما ترى أما ترى ؟ قال فناولته دينارا فالتفت إلى وقال . اعزب عنى يا هذا فإنه غيور ، إذا رأنى آخذ من غيره جفانى فقلت : هذه والله هى الفتوة (١) .

وقال يحيى بن معاذ الرازى : وما قدروا الله حق قدره . حين خالفوه فى أمره ، ما قدروا الله حق قدره حين استخفوا بحفظ حرمة ، ما قدر الله حق قدره من بادر الجبار بالمعاصى ، ما قدر الله حق قدره من استعان على معاصيه بنعمته ، ما قدر الله حق قدره من أغنى شيا به فى مخالفته ، ما قدر الله حق قدره من ضحك بعد المعصية . ملء فيه ، ما قدر الله حق قدره من اختار دنياه على آخرته ، ما قدر الله حق قدره من عمل الطاعة لطلب جهته ما قدر الله حق قدره من ترك المعاصى خوفا من ناره ، ما قدر الله حق قدره من شكاه (٢) إلى أعدائه . ما قدر الله حق قدره من أرضى نفسه بإعطائ [١] شهوة [٢] . ما قدر الله حق قدره من داهن

(١) فى الأصل هذا والله هو الفتوة

(٢) فى الأصل « يل شكواه »

المخلوقين بهواية . ما قدر الله حق قدره من نازع الله في صفته ما قدر الله حق قدره من اغتم لرزق عنده .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لو عرفتم الله حق معرفته لزال الجبال بدعائكم » وقال الواسطي . لا يعرف قدر الحق إلا الحق وكيف يعرف قدره أحد وقد عجز عن معرفة قدره الوسائط والرسول والأولياء والصديقون ومعرفة قدره ألا تلتفت إلى غيره ، ولا تقصر عن ذكره ، ولا تغتر عن طاعته . إذ ذاك عرفت ظاهر قدره . أما حقيقة قدره [فلا] يقدر قدرها إلا هو . وقال بعض الحكماء . يا صاحب الظلمات هيات أن تهتدي إلى حفظ الحرمات . يا صاحب الغفلات هيات أن يكشف لك المشاهدات ، يا صاحب أكل الشبهات هيات أن تزداد بطاعتك غير البعد وسوء الخطرات وأنشد في مشاهدة رؤية الرقيب للشبلي رضى الله عنه :

كان خيالا منك ترعى خواطري وآخر يرعى ناظري وعياني
فما خطرت في غامض السر خطرة لغيرك إلا عرجا بعناني
وقال الزوزني . إن حفظ الحرمة مخ العباداة ، ولباب الرعاية ، وسبب نزول العناية ، والوصول إلى باب الهداية . والطاعة بلا حفظ الحرمة كالجسم بلا حياة ، وكالجوز بلا لباب ، وكالشجر بلا ثمار وكالطيب بلا رائحة فالجوز بلا لباب لا يصلح إلا للعب الصبيان ، والنفس بلا روح لا تصلح إلا للدفن بين الأموات ، والشجر بلا ثمار لا يصلح إلا للحرق بالنيران ، والطيب بلا رائحة لا يصلح إلا لتطيين البنيان .

وقال الشبلي : يا مسكين . كيف يصلح العمل ، وأنت لا تعرف صاحب العمل . كيف تخلص للعمل ، وأنت لا تشاهد صاحب العمل . أو ما علمت أن كل طاعة بلا حفظ حرمة لا تصلح للطاع ، ولا يستوجب بها الثواب ، وذلك لأن [عدم] حفظ الحرمة : الاستخفاف . والمستخف ينتظر المطاع كل يوم وإلا بارأ ، لأنه صاحب الإصرار ولا يعلم أنه صاحب الإصرار بعد طاعته طاعة وهي معصيته مردودة .

يا أخى : وأنت لو رأيت صاحب الحرمة ، لرأيت ما كنا ساكنة ،
 موعوظا واعظا ؟ فانيا عن غيره باقيا به ، خاشعا له ، راغبا فيه ، راها منه ،
 منكس الرأس منكسر الخواص ، هائم القلب طائر اللب ، قائما بين يدي
 الرب . إذا قام للعبودية قام كأن العذاب فوق رأسه ، وإن جلس كأن
 النار بين عينيه ، وإذا أقبل كأنه راجع من دفن والديه ، وإذا أدبر كأنه
 يهرب من الأسد كيلا يصل إليه ، وإن أكل كأنه صاحب أسقام ، وإذا
 تسكلم كأنه قاتل إخوة وأعمام ، وإذا عوتب في حاله قال لهم وعليكم
 السلام ، وإذا رآه أهل العلم بادروا إليه معظمين له بالقيام وإذا رآه أهل
 الجهل والحماقة رموه بالمدر والعظام ، وإذا رآه المنافق كاد يذوب في مكانه .
 لما فيه من غلبة الحسد وقوة أكل الحرام . وهكذا حكى في الأخبار عن
 الحسن البصرى رحمه الله أنه كذلك كان خلقه .

الآية السابقة : قوله عز وجل « ليس كمثله شيء » وهو السميع البصير
 روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يجمع الله الأولين والآخرين يوم
 القيامة في صعيد واحد ، ويأتى الله في ظلال من الغمام ، ثم يناديهم : معاشر
 الناس . أليس مر العدل من ربكم الذى خلقكم وأحسن إليكم ورزقكم
 ثم عبدتم غيره ؟ أن يولى كل قوم ما كانوا يعبدون ، فيقولون : نعم ربنا .
 فيرفع لهم بمثال صنم ، وتمثال كل وثن ، ثم ينادى مناد : ألا ليلحق كل قوم
 بآلهتهم وما كانوا يعبدون فلا يبقى أحد كان يعبد من دون الله شيئا إلا تبعوه
 حتى يقذف بهم في النار ، وأبقى أنا وأمتى فيقول ما [أ] هؤلاء لا يتحركون ؟
 وفي رواية فيبقى المسلمون والمنافقون فيقال لهم : ألا تذهبون وقد ذهب
 الناس ؟ فيقولون : حتى يأتى ربنا فيقول هل بينكم وبين ربكم من آية
 تعرفونها فيقولون . ليس كمثله شيء [ف] يتجلى لهم بوصف يعرفون [به]
 أنه ربهم ، فيخرون له سجدا ، ويقع كل منافق على ظهره ويجعل الله أصلاهم
 كالصياصي صياصي البقر .

وقيل إن العبد تحتوشه ملائكة العذاب في القيامة فينادى العبد يا رب

فيقول الله تعالى ملائكتي ما هذا الصوت المنكر؟ وعزتي لا أعرف اليوم إلا من عرفني في دار الدنيا . وقال الواسطي ليس كذاته ذات ، ولا كاسمه اسم ، من جهة المعنى ، ولا كصفته صفة من جميع الوجوه ، إلا من جهة موافقة اللفظ ، وكما لم يحز أن يظهر من مخلوق صفة قديمة ، كذلك يستحيل أن يظهر من الذات الذي ليس كمثل شيء صفة حديثة ، وإن التكرار من حدوث صفة ، جل ربنا أن يحدث له صفة أو اسم إذ لم يزل بجميع صفاته واحد ولا يزال كذلك أبدا .

وقال الواسطي إن الله تعالى احتجب عن خلقه بخلقه ، ثم صنعه بصنعه وساقهم بأمره إلى أمره ، فلا يمكن الأوهام أن تناله ، ولا العقول أن تحاله ولا الاتضاع أن يشتمله ، ولا الإسماع أن يستمليه ، ولا الحيلة أن تجمععه ، هو الذي لا قبل له ولا بعد له ، ولا قرب ولا بعد ، ولا قامة ولا قدر^(١) ، ولا مقصد [إليه]^(٢) ولا معدل [عنه] ، ولا غاية وراءه ، ليس له أمد ولا نهاية ولا غاية ، ولا انقضاء ولا ميقات ، ولا يستره حجاب ، ولا يقفه مكان . ولا يحويه هواء ، ولا يحتاطه فضاء ، ولا يتضمنه خلاء ، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير . وقال شقيق البلخي . من لم يعرف الله بالقدرة فإنه لا يعرفه . قيل وكيف يعرفه بالقدرة؟ قال يعرف أن الله تعالى قادر إذا كان معه شيء أن يأخذه منه فيعطيه غيره ، وإذا لم يكن شيء [فإنه يقدر] أن يعطيه^(٣) .

وسئل أبو يزيد عن درجة العارف . قال . ليس هناك درجة ، بل أعلى درجة العارف وجود معروفه ، وأدنى فائدته استخدام الملك . ويقال . نخرج عيسى ويحيى عليهما السلام يمشيان فقدم يحيى امرأة فقال له عيسى عليه السلام : يا ابن الخالة لقد أتيت اليوم ذنبا ما أظن أن الله يغفره لك .

(١) أي مقدار

(٢) أي ليس له جهة يقصده العباد فيها وفي الأصل «ولا مقصده عنه ولا معدل»

(٣) أي يعطى من العدم .

قال وما هو يا ابن الخالة ؟ قال عيسى . امرأة صدمتها . قال والله ما شعرت بها قال له عيسى . سبحان الله بدنك معي فأين روحك ؟ . قال معلق بالعرش ، ولو أن قلبي يطمئن إلى جبرائيل ما عرفت الله طرفة عين . قال بعضهم . العارف ينظر بالله ، والمؤمن ينظر بنور الله ، والعارف يطمئن بالله والمؤمن يطمئن بذكر الله ، وقلب المؤمن يعتصم بحبل الله ، والعارف يعتصم بالله ، والمؤمن قلب وليس للعارف قلب ، وأنشد في ذلك .

يقولون لي قلب فما أنا فتشوا فإن كان لي قلب فما أنا صادق

وقيل من سكن إلى غير الله فهو من قلة معرفته بالله ، ومن سكن إلى الله فهو من قلة معرفته بدقائق مكر الله ، وقال أبو يزيد : أدنى ما يجب على العارف أن يهب لمولاه مامله مولاة ، حتى يصير كله لمولاه . فيحصل له مولاة . فإذا حصل له مولاة . فكانه عاد إليه كل الكل بالسكينة . فيصير به غنيا وإليه فقيرا .

وسئل أبو يزيد ما علامة العارف ؟ قال ألا يفتر عن ذكره ولا من ذكره . ولا يمل من حقه ولا ينتقص من حبه . ولا يستأنس بغيره . وكيف يفتر عن ذكره ، ولولا ذكره لما طاب للعارف عيشه . [و] كيف يمل من حقه وهو لا يتنعم إلا به ؟ . وكيف ينتقص من حبه وقد عرف سره ولبه . وكيف يستأنس بغيره ؟ وهو لا يجد مثله . وقال معروف السرخي . ليس للعارف نعمة وهو في كل نعمة وليس له راحة وهو في كل راحة وليس له اختيار وقد اختاره المختار وجعله خيار الخيار . فما يصنع بالاختيار .

وقال أبو يزيد . المعرفة في ذات الله جهل والعلم في حقيقة المعرفة حياة . والإشارة من المشير شرك في الإشارة^(١) والعارف جسمه قد هزل . وروحه قد رحل . وسره قد نزل . ما يريد بمولاه بدلا . ولا يبتغي له مولا . وكلما أراد أن يقول : أنا . أو أنت . ناداه الجليل : أنا أنا . ولا أنت . وقال

(١) لأن عارف الله لا يرى لغيره وجودا فلا يصح أن يشير إلى سواه فإذا أشار إلى الله تعالى فذلك خطأ في المعرفة يفسره قول أبي يزيد بعده .

أبو يزيد [أ] بعد الخلق من الله أكثرهم إشارة إلى الله ، لأن العارف قد انقطع إلى الله وحصل مع (١) الله فكيف يشير إلى الله ، لأن الإشارة لمن بعد عن الله . وسئل الجنيد عن العارفين فقال . ذهب والله وصف الواصفين .

وقال منصور بن عمار الناس رجلان : عارف بنفسه فشغله في المجاهدة والراضة ، وعارف بربه . فشغله بحفظ حرمة ، وطلب رضا . وسئل الجنيد من العارف ؟ قال من نطق عن سره وأنت ساكت . وأخبر بحالك وأنت غائب . وهذا لا ينكره أهل المعرفة ، لأن موسى بن عمران لما التقى مع الخضر فرأى منه تلك العجائب . قال يا نبي الله بماذا أطلعك الله على ما في قلوب الخلق وأعطاك الحياة فلا تموت إلا إذا أردت ذلك ، قال بترك الذنوب . فهذا يطرد عن قلب المنكر الإنكار . ويبعده من مقام الإصرار .

وقال أبو بكر الوراق من صحت معرفته بالله ظهرت عليه الهيبة والخشية وهذا مثل ما حكى عن الحسن البصري أنه مر بصبيان يلعبون في السكة فلما رأوه تنحوا له عن الطريق فدنا إليهم فقال : ما شأنكم تخيتم ؟ فقال واحد منهم . إنك أصابحت سره مع ربك فوقع هيبتك في قلوبنا . وقال أبو العباس مسروق الطوسي أكثر ما يخاف العارف منه فوت الحق ، كما حكى أن الله جل ثناؤه أوحى إلى صاحب الزبور يا داود احذر ألا أفوتك فيفوتك كل شيء . وقال مظفر القرميستي : العارف من جعل قلبه لمولاه وروحه لبلواه وجسده للمخلوقين في موافقة رضا مولاه . وقال عبد الله الرازي . العارف لا يعبد الله على موافقة الخلق بل يعامل الخلق على موافقة الخالق .

وقال أبو عبد الله من أراد أن يعرف قدر معرفته بالله فلي نظر قدر هيئته من الله في وقت خدمته لله ويقال أوحى الله إلى بعض أنبيائه اعرفوا

(١) حصل مع الله بروحه وسره وعقله ونفسه وفكره لا حصول حلول واتحاد كادعاء الزنادقة .

ربوبيتي ولا تعرفوا كيفيتي كما أنكم تعرفونني أني خالقيكم ورارقيكم من قبل أن تعرفوا من أين رزقكم ، وفي أي وقت . فكذلك لا تقدرون أن تعرفوني بالكيفية . وسئل محمد بن واسع . هل عرفت الرب ؟ فسكت ثم قال : من عرفه طلبه ، ومن طلبه وجده ، ومن وجده أنس به ومن أنس به استوحش من غيره . ويقال إن من المسائل مسائل جوابها السكوت . وهذا إذا سئل العبد . أنت العارف ؟ أو تعرف الله ؟ أو تخاف من الله ؟ أو أنت مؤمن ؟ لأنك إن قلت . لا . كفرت وإن قلت : نعم . [ف] ليس وصفك وصف العارفين والخائفين والمؤمنين . وقال جعفر الصادق رضي الله عنه قوله عز وجل إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها . قال : المعرفة مثل الملك ، والقرية هي البيت ، كالمعرفة إذا دخلت في القلب زالت من القلب الأمانى والمرادات أجمع . فلا يكون فيه محل لغير الله ^(١) . وقال أبو يزيد ، المعرفة كالشمس والعلم كالنجوم والعقل كالقمر . وسئل الجنيد من العارف ؟ قال من لم يأسره لحظه ولا نطقه . وقال بشر الحافي رحمه الله . بلغني أن الله جل ثناؤه يقول . وعزتي وجلالي ما عرفني من لم يحبني وكيف لا يحبني وقد عرفني ؟ وأين يذهب وهو لا يجد مثلي ، ولا عبدني من لم يذكرني . ولا علم قربي من لم يأنس بي .

وقال مالك بن دينار رضي الله عنه إن في الدنيا جنة من وجدها لم يشفق معها شيئا ، قيل وما هي ؟ قال . معرفة الله . وأنشد في ذلك :

إن عرفان ذي الجلال لعز وضياء وبهجة وسرور

وعلى العارفين أيضا بهاء وعليهم من الجلالة نور

فمنينما لمن عرفك إلهي هو والله دهره مسرور

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ما أحب أن الله أماتني في

صغري ورفعني في عليم . قيل ولم ؟ قال تركني حتى عرفته . ليس العجب

(١) هذا اضطراب في التفسير لأن زوال الأمانى والمرادات ليس فسادا

من وجد الجنة في العقبى ، ولكن العجب من وجد الجنة في الدنيا . ليس العجب من يفتخر بدخول الجنة ، ولكن العجب من يفتخر بدخول [جنة] الجنة . فقد صار العارف جنة الجنة . وحصل معه نعيم النعيم ، ولذة اللذة ، وسرور السرور ، فسبحان من رفع قدر عبده ، وجعل مثله كمثل الجنة ، ثم رفع منزلته فجعله أعظم محلا من الجنة ، لأنه قال . من وجد من وجد [هـ] لم يشتق إلى الجنة ، يعنى لما يرى فيه من العجائب ، ويحمد به من [ال] التذاذ . وينال من الأنس بقربه ، والجنة لا يموت من دخلها ولا يهرم ، ولا يمرض ولا يفتقر ، ولا يذل ولا يظلم . وكذلك أيضا من ظفر بصحبة العارف . ومن الله عليه بذلك ، صار كمثلته فتدبروا يا أولى الألباب .

وقال ذو النون في معنى قوله « وأنه تعالى جد ربنا ، يعنى عظمته عن أن يكون إليه سبيل ^(١) » إلا به ولا يكون إلا ما أحدثه ، بل لا دليل على الله سوى الله . ولا أثر بشيء عليه . لأنه أيد الآثار . وقال الله تعالى . لا أجعل من علم وجود ما بقى سواى متبرئا من قوته وحوله .

ما إن هبط العارفون مذرجوا ولا ابتلوا بالحجاب مذ وصلوا معرفة العارفين جوهرة . . . تضىء ما دون عرش ربنا الأحد ليس بمرسومة ولا مخلقة ولا محدودة هو ذا الأبد وقال ابن عبد الله : للعارف ثلاث علامات . لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ، ولا يدعى باطنا من العلم ينقضه ظاهر ^(٢) من الحكم ولا تحمله الكرامات على هتك أستار المحرمات .

وقال ذو النون أما العارفون [ف] ما ذكروا الله إلا بالغفلة ولا خدموه إلا في الفترة فيأعجباه كيف يعرف مقداره . عبد غفلته تستوعب ذكر الذاكرين وفتوره يستغرق خدمة الخدام من العابدين ، فكيف بأوقات يقظته وساعات نشاطه ! ! وقال ذو النون : لو أن الخلق عرفوا ذل أهل

(١) فى الأصل سبيلا .

(٢) فى الأصل ظاهرا

المعرفة في أنفسهم عند أنفسهم ، لحشوا التراب في وجوههم (١) . وإنما سمي العارف عارفاً لأنه عرف ما لم يعرف غيره ، ورأى ما لم ير سواه ، وأشرف على ما لم يشرف عليه غيره . قال النهر جورى . تذكرت قول ذى النون الطاهر المقدس فقلت (٢) يرحم الله أبا الفيض (٣) حقاً ما قال لكنى أقول . لو أبدى الله تعالى من نور أهل معرفته ذرة [لـ] لزاهدين والعابدين لا حترقوا واضمحلوا وتلاشوا حتى كأنهم لم يكونوا (٤) . وقال إبراهيم الخواص : إن العبد إذا تنهى في معرفة الله لم يأكل ولم يشرب ولم

(١) وذلك لغرابة مشرب هؤلاء الفحول من أهل المعرفة : فالمعروف المتفق عليه بين أهل الأنظار الحكيمة . أن الروح إذا تخلصت من كل عوائقها المادية ، والعقلية . والمثالية . فإنها تكون في حال استعداد تام لتلقى الموارد والمعارف الإلهية ولا شيء يعوق الروح عن التحليق سوى النفس وكلها بالغ طالب المعرفة في إذلالها سما في مداركه ، فالعارف يباليغ في إذلال نفسه نزولاً ، ليسمو بمداركه خارج الآفاق صعوداً . ولذلك يستغرب العوام مشرب الصوفية الكبار .

(٢) في الأصل فقال .

(٣) لقب ذى النون المصرى

(٤) لاخلاف في الحقيقة بين مذهب « ذى النون المصرى » ومذهب « النهر جورى » فشكل منهما يتحدث عن ذوقه ، وما وصلت إليه مداركه ؛ لا يتكلم غيره ولا يعتمد على ذوق سواه ، كما هو مذهب الصوفية جميعاً إذ يقولون « لا خير فيك إذا كنت نسخة من غيرك » فشرب أبى الفيض ينتهى إلى ما لا يدركه أحد غيره من مجال الوعى الروحى ، بحيث يتهيب أن يتقوم به الله خطوة بعد ذلك والنهر جورى شهد ما شهد حسب مداركه الروحية ، وحكم بعقله هذا الحكم من حيث نور أهل المعرفة الحقيقية وهى معرفة اليقين والتحقيق بالنسبة لمن هم أدنى منهم ، فكيف بالنور العرفانى كله !! .

ولا أدل على مدى الانطلاق الفكرى عند الصوفية من هذه المناقشات التى زخرت بها كتب التصوف المعتمدة .

يتعوط ولا يتبرق ولا يتمخط . وإذا عرق كان عرقه مثل المسك الجبالي .
 وقيل العارف يقبل عليك بوجهه كأنه لا يعرف غيرك ، ويقوم عنك
 كأنه لم يعرفك قط . وهكذا كما قال في وصف النبي صلى الله عليه وسلم . وقد
 سئل عن ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت : كان يكون معنا في البيت
 كأحدكم ، فإذا سمع الأذان قام مسرعا كأنه لم يعرفنا . قال ولقي حكيم حكيمًا
 فقال له بماذا عرفت ربك ؟ قال بفسخ الأمور ونقض العزائم ، ومنع الهمم
 عزمت فحال القضاء بيني وبين عزمي ، وهممت فجاءني القضاء بخلاف
 ما هممت به ، فعليت أن المتولى على قاي غيري ، فهذا عرفت ربي . قال :
 صدقت ، وقال أبو سعيد الخراز في معنى قوله تعالى . ونقدس ، لك .
 « الملك يومئذ الحق للرحمن » حقيقة الملك لمن هو مستغن عما أبدا في الملك
 من جميع المكنونات ، لا يرضيه من حركات العبد شيء ، ولا يغضيه شيء .
 جل وتعالى عن ذلك وأنشد في معناه :

لو كان يرضيه شيء ^(١) من بريته لكان إبليس في غايات إدلال
 أو كان يسخطه من رؤية سبب لكان أسخطه سحر باضلال
 فلا رضى ولا سخط يليق به ولا قبول ولا رد على حال
 إن الحقيقة أمر ليس يدركها أمر الشريعة إلا خطرة البال
 وقال بعضهم حقيقة المعرفة . إذا عرفت أنه لم يُعرف فانت ^(٢)
 عارف وقال أبو يزيد . العارف هو الذي أوله هو ، وأوسطه هو ، وآخره
 هو .

وقال ابن عطاء في معنى قوله عز وجل « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ،
 قال حجب الخلق عنه ، وقطعهم عن بلوغ الحقيقة من معرفته ، ومد عليهم
 ستور الغفلة وحجبها ، وسئل أبو يزيد . بماذا نالوا ^(٣) المعرفة قال بتضييع

(١) في الأصل « شيء يرضيه »

(٢) في الأصل « فهد »

(٣) في الأصل أنا لدا

ما لهم والوقوف مع ماله وقال بعضهم في معنى قوله تعالى « ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً » قال : شمس المعرفة هي دلائل القلب ، إلى الله . وسئل الشبلي : من العارف قال من لسانه بذكر الله ناطق . وقلبه بمحبة الله صادق ، وسره بموعد الله رائق . وهو أبداً على الله عاشق^(١) ، ثم قال : من لسانه لطيف وقلبه نظيف ونفسه عفيف ودينه كفيف وهو بعرفان مولاه شريف . وقال ابن عطاء في معنى قوله تعالى « وآتيناه في الدنيا حسنة » قال : المعرفة بنا ، والتوكل علينا ، وإنه في الآخرة لمن الصالحين الراجعين إلى مقام العارفين . وأنشد للمحبين .

محب الله لا تحسبويه دار ولا يأوى مكاناً فيه حار
ولا يهتم في الدنيا لرزق ويكره أن يكون له العقار
ويصبح ذا احتراق واشتياق كأن فؤاده كانون نار
قد احرقه الحبيب بكل نار فليس له من الحب القرار
يقول بحرقة وينوح شجواً أما والله ما في الحب عار

وقال بعضهم . في معنى قوله جل ثناؤه حكاية عن سؤال سليمان عليه السلام « قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي » أي هب لي المعرفة بك ، حتى لا أرى معك غيرك . ولا تشغلني كثرة عروض الدنيا عنك . وقال بعضهم في معنى قوله « إنك ميت » عن شواهدنا ، ولولا ذاك ما أديت الرسالة . ولا قتت بسياسة الأمة ، وإنهم ميتون عن شواهد ما أخبرت ، ولولا ذلك ما أطاقوا إقامة الأمر . وقال يحيى بن معاذ : خاض

(١) أي عاشق لطريق الوصول إليه . عاشق لشريعته . عاشق لتجلياته في الأكوان . عاشق للخلوة من أجله لا عاشق للذات الأقدس تنزه سبحانه وتبارك . وعلى هذا كل ما جاء عن الصوفية من غزل في مواحيدهم فهم كما ترى أصحاب حساسية وشفافية وفراسه . تختلط الحقائق عندهم بمشاعرهم فينطقون في رقة لا تعمد في آداب غيرهم .

العارف لجة بحر لا بد له [معه] من أحد أمرين إما أن يرفع منه إلى (١) أعلى عليين وإما أن ينزل منه أسفل السافلين . وقال ابن عطاء في معنى قوله « إنك ميت » أى مجالس ميت يعنى عن شواهد ما استتر . وإينهم ميتون عن شواهد ما أظهر (٢) .

وقال يحيى بن معاذ . أهل الرغبة صيدهم من الأسواق ، وأهل التوبة صيدهم من مجالس الذكر ، وأهل الزهد صيدهم من مجالسة العارفين ، وأهل الإرادة صيدهم من ملكوت العرش ، وأهل المعرفة صيدهم من قرب خالق العرش ، وأنشد :

حسن عبد أحب مولاه وحسن قلب يصيد معناه
طوبى لمن كان عاشقا دنقا يشكو إلى ذى الجلال بلواه
ياذا المعانى عليك معتمدى طوبى لمن كنت أنت معناه

وقال أبو عثمان المغربي . كل قلب لا يعرف الله فإنه لا يأنس بذكره ، ولا يسكن إليه ، ولا يفرح به ، ألا ترى إلى قوله « وإذا ذكر الله وحده اشمأت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة » وقال الجنيد : إن أردت أن يكون بينك وبين الله معرفة فاحفظ عنى ثلاثا : بع نفسك من الله حتى يفعل بك ما يريد . واحفظ الباطن على رضى الرب ، وانظر فى الظاهر على حكم الكتاب والسنة . وقيل : من عرف مولاه [أ] ذهب بلواه ، ومن خالف هواه صحح تقواه ، ومن ترك شهوة شم من الجنة شمة ، ومن بكى من خوف الله ضحك الله إليه . قال : أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام . يا موسى اعرف شيئين واجهل شيئين ، اعرف أنى مولاك واجهل كيفيتى ، واعرف أنى أرزقك أينيتى فإن إلى ربك المنتهى . وقال بعضهم فى معنى قوله تعالى :

(١) فى الأصل فى

(٢) الناس ميتون دون الوصول إلى شواهد ما أظهر فيك من غرائب المعجزات ؛ وألوان التجليات وأنت ميت عن شواهد الذات المستتر المغيب عن كل إدراك .

« الله لطيف بعباده » اللطيف الذي لم يدع أحدا يقف على ماهية أسمائه ، فكيف الوقوف على ماهية وصفه وذاته . وقيل اللطيف الذي لم يظهر شيئا من الألوان تقف على ماهيته . وقال ابن سلام . إذا صاح البوم يقول سبحان من هو . سبحان من لا يدري كيف هو إلا هو ، سبحان من لا يعلم أين هو إلا هو . سبحان من لا يدري ما هو إلا هو ^(١) .

قوله تعالى « إلا من أتى الله بقلب سليم » قيل العارف قلبه سليم وفؤاده سقيم ، وروحه ونفسه كظيمة ، وبلاؤه عظيم وبدنه على البلوى مقيم . لأن معاملته مع رب كريم . وقيل نفسه مذل ، وقلبه مذل ، وروحه مذل منجل ، وجسمه مسبل . وقال الجنيد : رأيت سبعين عارفا هلكوا بالتقى والتوهم . أى أنهم توهموا أنهم عرفوا الله وهو قراه « إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا » .

وقال سهل في معنى قوله تعالى « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا » قال : يكرمهم [في الدنيا] بالمعرفة والعلم ، ويوم يقوم الأشهاد بالرضا والرؤية ، وقال [أبو سليمان] الداراني في معنى قوله « الله لطيف بعباده » ومن لطفه أن قصر عنهم كنه معرفته ، حتى لا تتكبر عليهم نعمائه ، وقال الشيخ أبو بكر بن دينار رحمه الله عليه : قلوب العارفين مذساكنتها المعرفة ما نامت ، ومذصعدت تلك القلوب إلى مولاهما ما نزلت ، ومذملكنتها [المعرفة] اتصلت [بـ] ما عند الله [و] الله . ما انفصلت . وأنا أقول . كيف ينال قلب هو معدن الإلهام ، واليه مدد الأسقام ، وهو موضع نظر العلام ، كيف تنزل قلوب صعدت إلى العلا ، وغابت عن الورى ، وشتت نسيم القرب والزنى ، واشتغلت بمشاهدة المولى . من عرف الوهاب عكف على الباب . من صعد العلا خفي نعتة عن الورى . من اتصل بالمولى لم تؤوه ^(٢) أرض ولا سماء . من هجم على الملوك قيد بالقيود .

(١) خبر ظاهر الاسرائيلية .

(٢) في الأصل « تأوه »

قوله تعالى « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » قال ابن عطاء في معناه : انكم لا تدركونها فكيف تدركون نفس النفوس . من له السموات ومشيتها نافذة في كل شيء . وقال جعفر في معنى قوله « فكان قاب قوسين أو أدنى » [دنا] منه حتى كان منه مثل ما بين الحاجب إلى الحاجب ، والدنو من الله لا حده له ، والدنو من العبد بالحدود . وقال أبو طالب في معنى قوله . هو الأول يعني الأول في أمره ، والآخر في حكمه ، والظاهر في فعله ، والباطن في وصفه . وقال الجنيد في معنى الآية . نفي القدم عن كل أول بأوليته ، ونفي البقاء عن كل آخر بآخرته ، وأظهر الخلق إلى الأقدار برؤيته بظاهريته ، وحجب الأفهام عن الإدراك بكيفيته بباطنيته .

وسئل بعضهم عن ذات الله فقال . إن سألت عن قوله فقوله « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » وإن سألت عن فعله فكل يوم هو في شأن . وإن سألت عن وصفه فقل . هو الله أحد [الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ^(١)] . وإن سألت عن اسمه فقوله لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، [هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم] وإن سألت عن ذاته فليس كمثل شيء وهو السميع البصير . وقال بعضهم في معنى قوله .

« ليلوكم أيكم أحسن عملا » أيكم أعرف بعيوب أنفسه ^(٢) ، قال بعضهم في معنى قوله « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » . قال الأمانة المعرفة الأصلية . وقال سليمان بن داود عليهما السلام للهامة وقد سكنت الطيور منها لكثرة صياحها بالليل . فقال لها . مالك لا تنامين ؟ . قالت يا رسول الله والذي أكرمك بالنبوة مذ عرفت ربى ما ذقت طعم النوم في ليلي ولا في

(١) في الأصل « إلى آخره » ،

(٢) في الأصل أنفسكم

نهارى . وقال أبو علي الكرخي ، كان لي أخ يصحبنى وكان قد كتب الحديث وقرأ القرآن ، فمات فرأيت في النوم كأنه في موضع مظلم وهو أسود الوجه فقلت له ما فعل الله بك ؟ قال أقامني بين يديه وقال . خرجت من الدنيا ولم تعرفني . وسئل بعضهم من العارف ؟ قال من يعرف ولا يعرف ويذكر ولا يذكر ويريد ولا يريد ^(١) . معناه يعرف الله ولا يعرف الكونيين . ويذكر بالله عنده ولا يذكر ماله عند الله . ويريد ما يريد الله ولا يريد غير ما يريد الله . وسئل الزوزني : ما حقيقة المعرفة ؟ قال إنكار كل من ليس له حول ولا قوة يعنى من عرف الله بكمال القدرة أسقط عنه الالتفات إلى من ليس له قدرة فهذا هو العارف .

وقال أبو طالب المكي رضى الله عنه إن المعرفة على ثلاث طبقات : فقوم عرفوه بوصف الأزل والقدم والسرمدية الأبدية وهذا مندرج في اسمين من أسمائه أول وآخر . والعارفون ^(٢) عرفوه بصفات الجبر والقهر والقدرة والمكر ، وهذا قد أحكمه في الاسمين ظاهر وباطن . وليس هذا من معرفة المحبين في شيء . والمحبون عرفوه بصفات التجلي ومعاني ونعوت أخلاقه وهذه ^(٣) سرائر الغيوب ومشاهدة المحبوب وأنشد لبعضهم :

سبحان من جل في قدره أن يدرك الأقرب من وصفه
ومن تجلى بصنوف البلاء ليشهد الألف من لطفه

وقال الحسين الخلاج . عندي أن المعرفة هي الجهل ، والتواضع هو التكبر . والعز هو الذل والبقاء هو الفناء ، والذكر هو الغفلة والنسيان . وقال بعض أهل المعرفة في تفسير ما أشار إليه . من لم يحب كل ما دون معبوده لم تصح له معرفة معبوده وقيل في معناه . المعرفة في ذات الله جهل ، ومن لم يتكبر على المتكبرين لم يصح تواضعه لرب العالمين ، ومن لم يتذلل للعزیز لم يصح له

(١) في الأصل يراد

(٢) في الأصل عارف

(٣) في الأصل وهذا

التعزز بالعزیز . ومن لم یفن عن الفناء لم یصح له مع الباقی البقاء ، ومن لم
ینس کل ما سواه لم یصح ذکره لمولاد . وقال بعضهم المعرفة نار ، والمحبة
نار النار . والإیمان نور والتوحد نور النور ، فإذا اجتمع ذلك صار نوراً
على نور وأنشد :

بحال قلوب العارفين بروضة سماوية من دونها حجب الرب
سرائرها بين الحبيب وبينها فلا شيء إلا رؤية العبد للرب

باب صفة الإخلاص وطبقات المخلصين بالقلب

الإخلاص هو من فرائض الدين ، وبه يتم الإیمان للمؤمنين ، وهو
معروف في شريعة المسلمين ، وهو لباب الأعمال ، ومنال ذی الجلال ،
والعمل بغير إخلاص كالجوز بلا لباب ، والجسم بلا روح ، وكالشجر
بلا ثمار ، وكالغيم بلا مطر ، وكالمولود بلا نسب ، وكالبذر بلا نبت ،
والجوز بلا لباب لا یصلح إلا للعب الصبيان ، والجسم بلا روح لا یصلح
إلا للدفن بین القبور ، والشجر بلا ثمار لا یصلح إلا للحرق بالنار ، والغيم
بلا مطر لا ینتفع به من البشر ، والمولود بلا نسب لا یدفع إليه عند الميراث
ذرة من المتاع . والبذر بلا نبات تسخن به عين الزراع يوم الحصاد والبيدر
قلو أن جسماً ملاً الدنيا تعبد من شرقها إلى غربها ، ولم یکن فیها روح ،
لم يؤنس بقربه ، ولم ینتفع به ، ولا ترجى بركته ، ویتغير بطول المدة ،
وتزدحم علیه الكلاب ، وتطمع فيه الهوام والطيور ، ولا یجعل له من
القیامة ذرة ولا حبة ، وإن كان قد ملاً بین الخافقين عظیم جثته .

ولو أن مولوداً ذا روح انفصل من رحم أمه لم یملأ من المسکان إلا موضع
شبر وجد الأنس بقربه وفرحت القلوب بظهوره واستبشر أهل البيت
والجيران بوجوده وعظم الرجاء لنیل بركته في وقت صغره وكلما طال به
الأيام ازداد جلادة في قلوب الأنام وهرب منه الذر . والطيور والهوام
طائرون من حركته ویجعل له يوم القيامة اثنا عشر ألفاً . فهذا في فرق واحد

من الحكمة بين العمل الذى قد زين بالإخلاص . والعمل الذى قد عرى منه وقبح بالأسقام . والله يؤتى ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وأما الإخلاص [ف] يدور على أوجه خمسة إخلاص الملة من بين جملة الملل ، وإخلاص الدين القيم من الشيع والأهواء والبدع ، وإخلاص العمل من دقائق الآفات وخفايا العلل ^(١) ، وإخلاص الأقوال من اللغو والباطل

(١) يحسن هنا أن نفصل مسألة السماع . لأنها فى طريق التصوف من أمهات العلل والآفات .

قال سيدى أحمد زروق : الواجد إن لاحظ معنى فى وجوده أفاده علما أو عملا أو حالا مع ميله للسكون والاستلقاء ظاهرا فوجده من الحقيقة والمعنى . وإن لاحظ الوزن والألحان ؛ فطبيعى . لاسيما إن أعقبه اضطراب واحتراق فى النفس ؛ وإن لاحظ نفس الحركة فشيطنى ، سيما إن أعقبه اضطراب وهوشة فى البدن واشتعال نارى ، فلزم اعتبار ذلك بوجه من التحقيق تام ، وإلا فترك سببه أولى (راجع قواعد التصوف . ص ٥٠ القاهرة) .

وقال الشيخ الأكبر : إن سماع النفس لا يأتى بعلم ألبته ، وسماع العقل لا يكون معه حركة ، فمن جمع بين الحركة والعلم فهو كاذب جاهل بالحقائق (التدبيرات الإلهية . ص ٢٢٤ ليدن) .

وروى السكلاباذى عن الإمام أبى القاسم الجنيد البغدادى . أن الحركة عند السماع لا تقدر فى التحقق بالسماع . إذا كانت الحركة بعد أن تمتلئ الروح من قوتها ، وهى النعمة ، فتشرف على مقامها الأسمى ، فتعرض عن تدبير الجسم ، فيظهر عليه الاضطراب والحركة (التعرف ١٦١ القاهرة) .

وعند سيدى أحمد زروق صاحب هذا الحال من المجانين ، وأسقط اعتبار أفعاله ؛ ولم يجر عليه الأحكام إن تحقق وجود الحالة منه ، وألزمه باستدراك الفئات كالسكران لتسبيه فى الأصل (القواعد ٤٩) وجمعا بين الآراء فالمتحرك فى السماع الروحى وسط بين الجاهل والعارف .

وعند « لسان الدين بن الخطيب » السماع من محركات الحب على الإطلاق . فإذا =

والمحال ، وإخلاص الأخلاق باتباع مرضاه ملك الخلال ، وأنا أشرح لك إن شاء الله هذه الأوجه وأستدل لكل وجه [ب] آية من الكتاب وأبين لك مكتوم الخطاب مع ما تيسر من أقوال أهل الصدق والصواب ولا قوة إلا بالله ، وما النصر إلا من عند الله ، وما التوفيق إلا بالله ، ولا يكون إلا ما شاء الله ، وما التكلان إلا على الله ، وما العون إلا من عند الله .

فأما الوجه الأول [و] هو إخلاص الملة من بين جملة الملل كما قال السائر على القبايح والعلل « قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين » قال ابن العباس . الأديان ستة . خمسة منها باطل . اليهود والنصرانية والمجوسية والصائبة والمشركون فهذه باطلة . والحق الواحد وهو دين الإسلام . قال الله تعالى « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » . وقال بعضهم : كان الناس أمة واحدة على دين الإسلام فاختلّفوا فقوم عبدوا النور ، وقوم عبدوا النار ، وقوم عبدوا الظلمة ، وقوم عبدوا الملائكة ، وقوم عبدوا الجمادات ، وقوم أشركوا مع الله بعزير ، فسموا يهودا وقوم أشركوا مع الله بعيسى فسموا نصارى ، وقوم عبدوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون . قال إن ما وقع عليه المخالفة [كان] يوم النذر وذلك أن الله جل ثناؤه لما أخرج النذر من العدم إلى الوجود ، أوقفهم في الظلمة ؛ ثم رش عليهم من نوره ؛ رشة ، وركب فيهم نور [ا] به اللطائف الثلاث . ذهن الروح ؛ وفهم العقل وفضة القلب ؛ فصاروا ذوى^(١) سمع وبصر وفهم ومنطق تقع الحاجة على

= حصل الحب . اختلف فيه أحوال العشاق بحسب ضعفهم وتمكينهم . فمنهم من يكون السماع في حقه معدلا ؛ ومنهم من يكون مغريا أو مهلكا فإذا حصل الرسوخ والتمكين لم يكن هناك إحساس (روضة التعريف . فيلم مصور ١٤٢ معمله المخطوطات بجامعة الدول العربية) .

وقسمه المروى : إلى سماع العامة والخاصة ؛ وخاصة الخاصة .

(١) في الأصل ذوات .

أمثالهم ثم دعاهم إلى نفسه ، وألزمهم العبودية لنفسه وحده ، فطائفة نظروا من النور فاختلط عليهم الأمر فعبدوا الظلمة ؛ وقوم نظروا من النور إلى النار فاختلط عليهم الأمر فعبدوا النار ؛ وقوم نظروا من النور إلى الملائكة فاختلط عليهم الأمر فعبدوا الملائكة ؛ وقوم نظروا من النور الذي كانوا فيه إلى النور الذي كانوا فيه^(١) فوقعوا في بحور التشبيه فاشتركوا في العبودية مع الله تعالى الله عما يقولون [فعبدوا] عيسى وعزيراً عليهما السلام ، وقوم دعاهم الجليل فلم ينظروا إلى قاطع ، ولم يشتغلوا بمانع ، بل نظروا من النور إلى نور النور^(٢) ، فأقروا بالربوبية ، وأخلصوا بالوحدانية ، وأذعنوا خاضعين بالعبودية ، فهم الذين عبدوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

قال ولقي حكيم حكيماً فقال له : هل تحب لقاء الله ؟ قال نعم . قال . ولماذا تحب لقاءه ؟ قال لأصل التخير . ونفياً للهمة^(٣) وذلك أن الله تعالى لما اختار في الأصل دين الملائكة والنبیین ثم مع هذا بارزته حتى كدت أن أقنط من رحمته فهذه [هي] الهمة بعد على بالتخير ؛ ثم قلت ترى أن الذي أحسن إلى في أوله يسيء إلى في آخره ؟ فرجوت أنه لا يفعل ذلك فأحببت لقاءه لنفي الهمة فقال له أحسنت . فانظر بقلبك يا معرور كيف خلصك الملك العفّور ، من عبادة النار والنور ، ونجّاك من الآفات والشُرور .

(١) أى نظروا من النور الذي كانوا فيه وقت أن رش الله عليهم من نوره إلى النور الذي كانوا فيه قبل أن يخرجهم الله على هيئة الذر أى نور العلم الإلهي ووقعوا في التشبيه لما اشتبه عليهم النوران .

(٢) والفرق بين هؤلاء وبين سابقهم أن النوع الأخير نظر من نور الرشّة إلى نور النور وهو الله تعالى . الله نور السموات والأرض أما من قبلهم فنظروا إلى نور العلم أى إن النوع الأول نظر إلى نور الصفة والنوع الثاني نظر إلى نور الذات

(٣) الأصل وإنفا الهمة .

ووفقك للصواب من رش النور فيا لها من نعمة لا يؤدي شكرها في الأيام
والليالي والدهور .

والوجه الثاني : هو إخلاص الدين من الفرق والشيع والأهواء الفاسدة
والبدع المضلة وقد أخرج الله تعالى أهل البدع من جملة المسلمين ، وجمهور
الامة ، ومحصول الدين ، بقوله عز وجل « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا لست منهم في شيء » قالت عائشة رضي الله عنها . سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء فقال : هم أهل البدع وأنا منهم بريء وهم مني
براء . وقال صلى الله عليه وسلم . افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ،
وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفرق أمتي على ثلاث (١)
وسبعين فرقة ، الناجية منها واحدة . وفي رواية كلها في النار إلا السواد
الأعظم وفي رواية كلها ضالة مضلة ، يدعون إلى النار . وقال أبو عاصم .
في تفصيل الفرق . أصل البدع كلها ستة أصول . الزنادقة والجهمية والقدرية
والمرجئة والرافضة والحرورية . فافترقت الزنادقة على خمس فرق . والجهمية على
ثمان فرق والقدرية على سبع فرق ، والمرجئة على اثنتي (٢) عشر فرقة . والحرورية
على خمس (٣) وعشرين فرقة . فذلك اثنان وسبعون فرقة ف هؤلاء هلكي كلهم .
وقال أبو طالب المكي رضي الله عنه . والبدع كلها معاصي ، غير أن
فيها صغائر وكبائر ، فمن كبائرهما ، خمس أهل النقل والآثر مجتمعون على
تكفير أهلها . القدرية مجوس هذه الامة ، والمرجئة نصارى هذه الامة ،
والجهمية يهود هذه الامة ، والرافضة مشركوا الامة ، الذين كفروا أحدا
من الصحابة والزنادقة كفار هذه الامة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتبعوا ولا تبدعوا وبشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا وإياكم والحدث
والبدعة ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ،

(١) في الاصل ثلاثة .

(٢) في الاصل « اثنا عشر » .

(٣) في الاصل « خمسة » .

وإياكم والتبدع والتعمق ، فإن شرار . عباد الله المتعمقون المتشدقون ومن أراد بجبوحه الجنة فليلزم الجماعة ومن شذ في النار . وقال صلى الله عليه وسلم « كلاب أهل النار أصحاب البدع » ، وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها « إن لكل صاحب ذنب توبة إلا أصحاب البدع فليست لهم توبة وأنا منهم بريء وهم مني براء » وقال إبليس ، سولت لامة [محمد] بالمعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار ، فلما رأيت ذلك سولت لهم ذنوباً لا يستغفرون منها يعني الأهواء والبدع^(١) . وقال صلى الله عليه وسلم ، إن الله اختارني واختار لي أصحاباً وجعلهم أصهارى وأصحابي ، فإنه سيجيء في آخر الزمان قوم ينتقصونهم ، فلا تؤاكلوهم ولا تشاربوهم ، ولا تعودوهم إذا مرضوا ، ولا تصلوا عليهم إذا ماتوا .

وقال علي رضي الله عنه « ما قطع ظهري في الإسلام إلا رجلاً^(٢) مبتدع ناسك وعالم فاجر ، فالعالم الفاجر يزهد الناس في علمه لما يرون من فجوره ، والمبتدع الناسك يرغب الناس في بدعته لما يرون من نسكه ، وعمل قليل في السنه ، خير من عمل كثير في البدعة ، وأنشد في ذلك .

طوبى لعبد عبد الله ه وصلى وابتهل
الدين دين بين قد أوضح الله السبل

يا أخى . كيف ينجو [ال] جاحد الزنديق غداً من النار والحريق ؟ بعد شتم الصادق الصديق ؟ وما يضر الفاضل الصديق ، شتم جاحد زنديق ، بعد ما شهد له المصطفى أنه صديق ، ورضى عنه الملك الشفيق .

والوجه الثالث : هو إخلاص العمل من دقائق الآفات . وخفايا العلل

(١) وأساس كل ذلك حب التعامل والظهور والتأويل . وإنما دخل في الإسلام ناس ليسكيدوا له فأدخلوا المسلمين في جدل حول مسائل لم تكن مجال الجدل في عهد السلف فضلوا وأضلوا .

(٢) في الاصل : رجلين .

(٣) في الاصل : نصر .

كما قال الآخر الأول فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
 بعبادة ربه أحدا ، قال الأنطاكي في معنى الآية : من خاف المقام بين يدي
 العلام ، فليعمل عملا صالحا على أساس الإخلاص والتمام ، ولا يشرك
 ولا يرأى بطاعته لربه أحدا من الأنام . وعن أبي هريرة رضي الله عنه .
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينادي المرء يوم القيامة على رهوس
 الخلائق بأربعة أسماء ينسب إليها . يقال له . يا فاجر . يا غادر ، يا كافر .
 يا ظالم . ضل سعيك وبطل عملك . اذهب فالتمس الأجر من كنت تعمل
 له يا خاسر ، وقيل . لا يعرف الرياء إلا المخلص ، ولا يعرف النفاق إلا المؤمن ،
 ولا يعرف الكذب إلا الصادق ، ولا يعرف الغش إلا الناصح ، ولا يعرف
 الغفلة إلا التائب ، ولا يعرف الزيادة والنقصان والإقبال والإدبار والقرب
 والبعد إلا عارف » وقال علي رضي الله عنه : يامرأى حبط من عملك عمل
^١انين سنة : وقال صلى الله عليه وسلم « من رأى الله رأى الله به . ومن
 سمع الله سمع الله به . سامع خلقه صغره وحقره . وكم من موسى عليه في
 الدنيا مقتور عليه في الآخرة . ومقتور عليه في الدنيا موسى عليه في الآخرة
 ومستريح ومستراح منه . قيل . المستريح المؤمن من غموم الدنيا وهمومها
 ومصائبها ، ويفضى إلى رحمة الله تعالى ، والمستراح [منه] يستريح منه العباد
 والبلاد والشجر والدواب . وقال يحيى بن معاذ . العمل الصالح ما يصلح
 للعرض على الجليل ولا يستجى منه في تلك المشاهدة يوم البكاء والعويل .
 ثم قال « ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » لا يرأى بطاعته أحدا مثلك . فإنه
 لا يضررك ولا ينفعك ، ولا يرزقك ولا يحفظك ، ولا يعطيك ولا يمنعك ،
 ولا يحملك ولا يملكك ، أخلص عملك لمن يقدر لك على هذه الأشياء كلها .
 وقال الجنيد . لا يتم الإخلاص في العمل إلا بارتفاع رؤيتك وفنائك عن
 فطرك . وقيل . من غضب إذا ذكر [ت] عيوبه فهو مرأى ، ومن ازداد
 بالمدح وانتقص بالذم فهو مرأى ، ومن نشط في الملأ وكسل في الخلا فهو
 مرأى . وقال عيسى عليه السلام « يكون في آخر الزمان قوم يقصون

الشوارب ويقصرون الثياب ويطيلون الصلاة كي يفسح لهم في المجالس ويبدأون^(١) بالسلام يقال لهم يوم القيامة يا عبيد الشهوات خذوا أجوركم من عملتكم له .

والوجه الرابع : لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة [أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاه الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما] فنفى الله تعالى أن يكون في كلام العبد نفع للعبد إلا في هذه الثلاث . وهي كلمات جامعات في المعنى مختصرات في اللفظ . فالأول . قوله « إلا من أمر بصدقة » قيل في تفسير الظاهر هو الفرض . وقيل موعظة الأخ أخا لله هي صدقة يتصدق بها عليه ، وكف أذى لسانك عن المسلمين صدقة ، وإرشادك الأعمى إلى الطريق صدقة . ثم قال « أو معروف » وهو كل ما قبله العلم وعرف مثله في الأثر الصحيح ثم قال : « أو إصلاح بين الناس » وهو الكلام في إصلاح ذات البين . ثم قال « ومن يفعل ذلك » يعني هذه الخصال . المذكورة . يقول : لا كل من عمل بهذه الخصال قبل منه ، ولكن من عمل مخلصا بها لا لرؤية خلق ، واتباع هوى ، بل طلبا [لـ] رضى الله عنه . ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ، فسوف نؤتيه أجرا عظيما . والعظيم من الجزاء لا يقدر قدره إلا العظيم . ومثله قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولو على أنفسكم الآية . » ويقال . كل ما في كتابنا : يا أيها الذين آمنوا [و] وفي التوراة يا أيها المسكين . وليس شرف العبد إلا في التمسك بالمسكنة والفقر والانكسار والخضوع تحت هيبة الرب ، ألا ترى إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم لما نظر في الملك والملسكوت ، فلم ير شيئا أجل قدرا وأعظم خطرا من المسكنة ، فسأل مولاه ذلك فقال : اللهم أحبني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين^(٢) ؟ . قال ابن عباس في تفسير الآية : كونوا قوامين يعني

(١) في الأصل ويدون

(٢) ليس معنى هذا أن التوراة أتم من القرآن في السلوك الديني ، بل إن =

قوالين ناطقين بالعدل « شهداء الله » ولو كانت الشهادة على أنفسكم ، أو على أبويكم ، أو على أقربائكم ، لا تميلوا مع الهوى في أقوالكم ، ولكن انطقوا بالحق . ولقد أوحى المسمى بالصبور إلى صاحب الزبور . يا داود . حرام على قلب يحب الدنيا أن يقول الحق . وقيل إنما ينطق بجميع لسانه ، يقال كل كلام ابن آدم عليه لا له غير أربع . ذكر الله ، وأمر بمعروف ، ونهى عن منكر ، وإصلاح ذات البين .

ويقال كان عمر بن عبد العزيز إذا خطب واستحسن خطبته قطعها ، وإذا كتب الكتاب واستحسن عبارته فيه ^(١) خرقها ورعى بها ، لمعرفته بآفات الكلام ^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم واليوم

=الرسالات السماوية نزلت بالتدرج التعليمي ، وبدأت في الطريق من أوله حتى انتهت إلى ذروة التعليم الديني في الإسلام . ولذلك كانت رسالة اليهودية والنصرانية تنزعان نحو التجرد الكلي ، والرهبة ، والتخلي عن كل ما هو من شئون الحياة المترفة . إلا من الكفاف والتخشن في اللباس . ولذلك كان النداء « يا أيها المسكين » تربية للعقول السائرة على مدرجة الطريق ، فلما جاء الإسلام بتقويم الحياتين : الدنيا والعقبى . ونادى بتعميرهما وعدم طغيان واحدة منهما على الأخرى . وإظهار آيات الله في الخلق بالعلم والسعي والفكر . كان لابد هنا من الإيمان العميق ، فكان النداء في الإسلام « يا أيها الذين آمنوا » وكان لا بد من استبطان المسكنة في قلوب المؤمنين لحفظ الإسلام وتقويم النظام . من هنا كان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

(١) في الأصل « فيها » .

(٢) هذه سنة الصوفية لا يعتبرون كل كلام للنفس فيه مدخل ، وكان الأستاذ الخواص في تربيته للإمام الشجراني يأمره بإبادة ما يكتب في أول أمره ، لأن فيه أثر النفس . فهم يريدون أن يكون العلم كله بعيدا عن النفس ، فإذا كان خالصا من القلب هجم على القلوب . ومن هنا سر التأثير البالغ بكلام كبار رجال التصوف دون غيرهم .

الآخر فليقل خيرا أو ليصمت . وقيل : المخلص من تعد كلامه عدا ويُسمَّى بالكلام ، ويفقد بعد الكلام .

ويقال في اللسان ستة وثلاثون نوعا من المعصية . مثل المداينة والنفاق ^(١) ، والتزين والجدال ، والمراء والخصومة ، والقذف وشهادة الزور واليمين الفاجرة ، والغيبة والكذب والبهتان ^(٢) ، والنيمة واللجاجة ، والمدح والذم والسحر ، والكفران للنعمة والمعصية بالباطل ، وما يطول بذكره الكتاب فمن سكت فقد أغلق على نفسه ستة وثلاثين بابا من أبواب المعصية . فيا لها من ربح .

وقيل : من تكلم بكل ما يريد لم يتورع في كلامه ، وأمن أكل ما يشتهي لم يتورع في طعامه ، ومن نام بالليل أكثر من ثلاثة أرباعه لم يتورع في منامه ، ومن زاد ثمن كسوته [عن] أربعين درهما لم يتورع في كسوته ، ومن رفع بنيان بيته على ثمانية أذرع لم يتورع في بنيانه . ومن علا صوته عند ضحكه لم يتورع في ضحكه . وقال . من سمع الكلام ليتكلم [به] مع الناس رزقه فهما ليتكلم به الناس . ومن سمعه ليعامل الله به في فعله ، رزقه الله فهما يناجى [به] ربه .

الوجه الخامس :

هو إخلاص الأخلاق باتباع مرضاة الملك ^(٣) الخلاق ، كما قال اللطيف الرزاق مدحا للنبي المصداق « وإنك لعلى خلق عظيم » قال أنس بن مالك : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع سنين . فلا والذي بعثه بالحق نبيا ، ما قال لي في شيء فعلته وهو يكره ذلك لم فعلته ، وما تركت شيئا قط من خدمته كان يجب أن أفعله فقال لي مالك لم تفعله ، فضلا على أن يلزمني

-
- (١) الفرق بين النفاق والمداينة أن النفاق إظهار ما ليس في الباطن لطلب منفعة أما المداينة فإنها إظهار ما ليس في الباطن لدفع مضرة ، ومن المداينة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا لنبش في وجوه قلوب قوم ، وإن قلوبنا لتلعنهم
- (٢) البهتان نوع خطير من الغيبة وهو ذكر المرء بما يكره وبما ليس فيه .
- (٣) في الأصل : ملك .

في شيء . وما كان يلومني أحد في شيء إلا قال دعوه . فإنما كان هذا بكتاب
وقدر^(١) . وكان إذا أراد أمرا فتعسر عليه يقول : لو قدر لكان . وما كان
يعيب الطعام إذا قدم إليه ، إن اشتهى أكل وإن لم يشته ترك ، لا يغيظ
لنفسه ولا ينتهر . فاما في شيء من حقوق الله ، أو فيما بين الناس بعضهم
مع^(٢) بعض ، فليس عنده هوى لقريب^(٣) ولا بعيد ، وإذا غضب لله يتطایر
الناس من حوله كما يتطایر الصوف من ظهر الغنم ، إذا أصابه العاصف من
الريح ، فهذه أخلاقه التي مدحه الله بها . وذكر ذلك في كتابه : وإنك لعلی
خلق عظیم ، قال أنس رضي الله عنه . وكان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن
الناس قواما ، وأحسن الناس وجها ، وأطيب الناس ريحا ، وألين الناس
كفا . ما شممت رائحة قط مسكا ولا عنبرا أطيب من رائحته ، وما مسست
قرا ولا حريرا ألين من كفه ، ولقد قالت عائشة رضي الله عنها في ذلك :

ماضر من قد شم تربة أحمد ألا يشم الدهر ريح غواليا

ضبت على مصائب لو أنها ضبت على الأيام عدن لياليا

وقال ابن عطاء في معنى قوله وإنك لعلی خلق عظیم . قال . جاد بالدنيا
والعقبى عوضا من المولى ، زهد في الدنيا ولم يحب العقبى ، ولم يطلب من
المولى سوى المولى . وقال الجنيد . احتمل من الله البلاء^(٤) ماشكا ، بل رحم
وعفا ، فقال : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . فأثنى الله عليه فقال . وإنك
لعلی خلق عظیم حيث لم يؤثر فيك البلاء .

وقال أبو بكر الخوارزمي في معنى قوله وإنك لعلی خلق عظیم ليست

(١) هذا هو مشهد الصوفية على السنن الحمدي ، لا يتقززون من شيء لأنه
إجراء الله على العباد ، فهم يشهدون الحكمة ولا يعترضون على العمل ، ولا يهملون
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٢) في الأصل « في »

(٣) في الأصل « بقريب »

(٤) هذه العبارة كررت في الأصل مرتين .

لك همة غيرنا . إن قلت فلنا ، وإن نظرت فبنا ، وإن جلست فمعنا ، وإن أحببت فقينا ، وإن دعوت فالينا ، وإن سمعت فمنا ، وإن نزلت فعندنا . ليس مما معك لك شيء ، بل جميع ذلك وكلية لنا . وقال الواسطي في معنى الآية ، الخلق لا يحتمله العامة ، والخلق لمن تخلق بأخلاق الرب لأن الله عز وجل أوحى إلى داود تخلق بأخلاقى فإنى أنا الصبور فمن أوتى [ذلك أوتى] أعظم المقامات . لأن [١] لمقامات ارتباطا بالعلوم ^(١) ، وللخلق ارتباطا بالصفات والنعوت . وفي الخبر أن الله تعالى ثلاثمائة وبضعة عشر خلقا من لقيه بخلق منها دخل الجنة ، فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه هل [فى] منها خلق واحد يا رسول الله ؟ قال : كلها فىك يا أبا بكر وأحبها إلى الله السخاء ^(٢) . فانظر إلى هذه الفضيلة التى صغر فى جنبها كل فضيلة ما يسأل عن مقام من اجتمع فيه ثلاثمائة وبضع عشر جزءا لما لو اجتمع منها جزء واحد فى جميع الخلق لدخلوا كلهم الجنة .

وقال الحسن البصرى رحمه الله فى معنى ذلك عظم خلقك حيث لم ترض بالأخلاق ، وسرت ولم تسكن إلى النعوت ، حتى وصلت إلى الذات ،

(١) المقام ما يثبت من الحال ، والمقامات تثبت صاحبها فى الصبر والرضا والشكر وهى أساس العلوم حقا ، فالصبر من مستلزمات العلوم ، والرضا عن الله يمنع العالم عن التأويل لمصاحبة هواه ، والشكر داعية الزيادة ، وهكذا بقية المقامات .

(٢) لا يجتمع عرفان ويخل بأى حال من الأحوال ، وقد كان سيدى أحمد العربى الدرقاوى يختبر المرید الذى قارب الفطام فى ماله ؛ فإذا وجد سخيا مضى به فى السلوك ، وإن وجد شحيحا أوقفه فى مكانه ، وذلك لأن المال من محبوبات النفس والهوى . فالشح به يميل بالنفس على أبسط التقديرات إلى تأويل شحه والخروج به إلى مخرج الجواز الشرعى . ومن هنا أحب الله السخاء وأحب صاحب السخاء .

ثم فنيت عن الذات بالذات، حتى وصلت إلى حقيقة الذات ، ومن فنى بالفناء
عن الفناء كان القائم غيره بالفناء^(١) . وقال بعض المحبين .

أشير إلى حق بحق وإننى لفى حق حق للحبيب أغيب

وقد فسر [ت] هذه الآية بوجوه كثيرة .

وقال الضحاك فى معنى قوله « وسيدا وحصورا » قال : السيد الحسن
الخلق ، والحصور الذى لا يأتى النساء « وقيل فى معنى قوله « وثيابك فطهر »
يعنى وخلقك فحسن . وقال بعضهم . إن الله جل ثناؤه أعطى المؤمن خمسة
أنوار : نور الهداية ونور التوفيق ، ونور العبادة ، ونور الكفاية ، ونور
الرعاية ، فنور الهداية أخلص إسلامه ، ونور التوفيق أخلص إيمانه ،
ونور العبادة أخلص أفعاله ، ونور الكفاية أخلص أقواله ، ونور الرعاية
أخلص أخلاقه ، وقال بعضهم : إخلاص الدين للمسلمين ، وإخلاص الإيمان
للمؤمنين ، وإخلاص الأفعال للمتقين ، وإخلاص الأقوال للمحبين ،
وإخلاص الأخلاق للعارفين . وقال صلى الله عليه وسلم ، يحىء الإخلاص
والشرك يوم القيامة فيجثوان بين يدي الرب تبارك وتعالى فيقول الله
للإخلاص : انطلق أنت وأهلك إلى الجنة ، ويقول للشرك : انطلق أنت
وأهلك إلى النار .

وقال الداراني : كل عمل لا ثواب له فى الدنيا لا أجر له فى العقبى ، يعنى

(١) الفناء عدم رؤية الأكوان ، والتوجه إلى الله باستلهاهم العون منه تعالى .
والفناء عن الفناء نسيان الفانى أنه فنى عن الأكوان ، وذلك حين يصير الفناء ملكة
من ملكات روحه ، ومثال ذلك . الكاتب على آلة الكتابة الماهر فى ذلك .
تضرب أصابعه الحروف دون تفكير فيها ولا بحث عنها . وهذا مثال مع الفارق
طبعاً ومن فنى عن فنائه حتى صار له . كالملكة . كان مسيراً فى فنائه من ربه . وكان
فانياً بربه لا بنفسه أما ملاحظة السالك لفنائه . وتتبع دقائق فنائه والمحافظة على
فنائه . فذلك للجد فيه مدخل . وليس من فناء الرسول صلى الله عليه وسلم ولا
من فناء كبار العارفين من الصوفية .

وجود الخلاوة في العمل هو ميراث العمل ، فمن لم يجد ذلك فهو من قلة إخلاصه في العمل ^(١) ، وكل علم لا يجد العبد نفعه في نفسه ، لا يصل نفعه إلى غيره . وقال أحمد بن أبي الخوارى . قلت لأبي سليمان الداراني . صليت صلاة في خلوة فوجدت لها لذة ، قال وأى شيء ألد منها ؟ قلت حيث لم يرى أحد . قال : إنك لضعيف حيث خطر بقلبك الخلق ، إنك لا تسكون مخلصا في عملك حتى لا ترى في الدارين أحدا غير ربك . وهذا على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون الناس عنده كالأبعرة » فهذا حقيقة نفي رؤية الخلق للعبد عند العبد ، ثم قال في تمام الوصف ، ثم يرجع إلى نفسه فيراها أحقر حاقر ، وهذا حقيقة نفي رؤية العبد للعبد في الفصل الأول علة الخلق ، وفي الفصل الثاني علة النفس . ولا يخلص عمل العبد إلا بنفي العلتين جميعا .

وقال الداراني : إن من لطائف المعارض قوله جل ذكره « ألا الله الدين الخالص » تهديد بلطف . وهذا كما يقول الرجل إذا كان له أمر نافذ في الناس فيراها يتطففون بالسكيل بالأقفزة الناقصة ، فيقول لهم من غير تصريح بالتهديد : عندي قفيز تام . فهذا قد هددهم بتهديد لطيف . كأنه يقول . سوف أظهر لكم خسرانكم إذا غيرت أقفز تكلم الناقصة بقفيز

(١) بل الوقوف عند خلاوة العمل ضلال في طريق السلوك . والقاعدة في السلوك الصوفي أن كل ما يرد على الروح من خلاوة الأعمال التي هي روحها . أو واردات العلم السكينة عند الذكر أو التأمل العميق . فإنه من الخطأ الشنيع الوقوف عندها وتأمل تفاصيلها . لأن ذلك حجاب كثيف عنها وعن غيرها . أما أنه حجاب عنها . فلأن السالك بمجرد وقوفه عند شيء من ذلك . فقد حرم تفاصيله ودقائقه لأن هذه الواردات لا تأتي إلا بجملة ، وأما حجابها عن غيرها . فلأن المطلوب ليس هو تلك الواردات التي تعتبر عند الصوفية كعب الأطفال ، وإنما المطلوب هو الحقيقة الكبرى . هي المعرفة الإلهية القدسية . فهما شهدت في السلوك . فلا تلق له بالآلة . لأن المطلوب لا زال أمامك . وليس له مبدأ ولا نهاية .

التام . ومثل هذا [ال] تهديد بلطف قوله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم لما خالفه الخلق وآذوه ولم يجيبوه في دعوته إلى الله . تلتطف (١) الله في التهديد فقال عز وجل : « قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » وهذا كما يقول الرجل لصاحبه : إذا عزم على عقوبة مخالفه . قل : بسم الله وخل بيني وبينه . فهذا قد بالغ في التهديد بلطف لطيفة . وكان معروف الكرخي قد علق بجنبه سوطا لتأديب نفسه إذا أنكر منه حاله ، فدخلوا عليه يوما فإذا هو يضرب على ساقه ويعاتب نفسه ويقول : يا مسكينة كم تبكين وتندمين أخلصي وتخلصي . فنظر إليهم وقد وقفوا عليه فقال : يا أصحابي . لا تلوموني فإن الغريم اللجوج لا يدفع الحق إلا بالضرب والحبس ، ومثل هذا قول . بشر . يا ابن آدم نفسك لا تطاوعك فيما تريد فلا تطاوعها فيما تطلب .

وقال حاتم الأصم تعاهد نفسك في خمسة أشياء . العمل الصالح بغير رياء ، والأخذ بلا طمع ، والعطاء بغير ضن ، والإمساك بغير بخل ، والأكل بغير شره . فالرياء مع العمل خسران ، والطمع مع الأخذ نقصان ، والمن مع العطاء بهتان ، والإمساك مع البخل (٢) كفر وطغيان والشره مع الأكل ظلم وعدوان ، والرياء آفة العمل ، والطمع آفة الأخذ ، والمن آفة العطاء ، والبخل آفة المال ، والشره آفة الأكل . وقال حاتم الأصم ، تعاهد نفسك في ثلاثة مواضع لعلك تنال الشرف والخلاص إذا عملت فاذا ذكر نظر الجبار إليك ، وإذا تكلمت فاذا ذكر سمع الغفار ، وإذا سكنت فاذا ذكر فيك علم القهار ، فمن عمل بمشاهدة نظر الجبار صفي عمله من القذى والأقذار ، ومن نطق بمشاهدة سمع الغفار أخرج كلامه بالوزن والعيار ، وإن سكنت بمشاهدة علم

(١) في الأصل . لطف .

(٢) في الأصل « والبخل مع الإمساك » أما وجه كون الإمساك مع البخل كفرا . فهو من كفران النعم أو كفران صفة الكرم ؛ التي هي من صفات الله تعالى أو أن هذه الصفة تجر إلى نسيان المنعم ؛ ثم الاستقلال بالمال ، ثم المجاهرة بالاستقلال بالحصول على المال دون نظر إلى السبب الأول كما حدث لقارون

القهار ، اجتهد في خلوص سره من الاشتغال بكل مخلوق وديار . وقال أحمد بن أبي الخوارى من عمل بغير اتباع السنة بطل عمله ، ألا ترى إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، من أدخل في ديننا ما ليس منه فهو رد .

وسنة الرسول عليه السلام ثلاث : حب الخليل ، وطاعة القليل . وطاعة الذليل ^(١) . وقال يحيى بن معاذ الرازى . الصبر في الخلاوة من علامات الإخلاص ^(٢) ، والاشتغال بمخالفة النفس والهوى من علامات النجاة والخلاص ومن نسيم القرب ، ومن ذاق مذاق الحب قيد بسيرور القد ^(٣) ، فلا مخلص ولا خلاص ، ولات حين مناص . لا يموت إلا هناك ولا يقبل إلا هناك ، ولا يقبر إلا هناك ، وقال أبو على الروذبارى . لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان صوابا . ومن صوابها إلا ما كان مخلصا ومن خالصها إلا ما وافق السنة . عمل الملوك يعمل في الخزائن ، وعمل العوام يعمل في الأسواق ، وعمل الأكرمة يعمل خارج البنيان ، وكل عمل إنما يدقق فيه بقدر صاحب العمل وجليل محله . وقال عبد الله بن المبارك : لو صح لعبد في عمره نفس في غير رياء ولا شرك ، لآثر بركات ذلك عليه آخر الدهر .

وقال ابراهيم بن شيبان : من أراد أن يكون حرا من الكون فليخلص عبادة ربه . فمن تحقق في عبودية ربه صار حرا مما سواه ^(٤) كيف يصح لعامل إخلاص عمله وهو يطلب بعمله مخلوقا مثل عمله . فإذا كان العبد

(١) أى حب الله تعالى ؛ كحب الخليل لخليله ؛ وطاعة أقل ما يأمر به الحبيب ؛ طاعة الذليل الخاضع لمحبوبه .

(٢) أى الصبر في مجاهدة خلاوة الأعمال وعدم الوقوف معها لتخليص العمل من كل الشوائب .

(٣) القد بالكسر سير يقدر من جلد غير مدبوغ .

(٤) الحرية عند الصوفية حرية الباطن وجولانه في الميادين المباحة من المعرفة لا حرية الأعضاء التى يطالب بها العامة دائما .

مخلوقا وعمله مخلوقا كيف يكون مخلصا بعمله الخالق المخلوقين فتدبر !! وقال بعضهم لا يكون العمل مخلصا حتى يخلص من ثلاثة . من رؤية الخلق ، ورؤية النفس ، ورؤية طمع الجزاء عليه من الرب ، وقال أبو بكر الرقي : الإخلاص هو أن يكون ظاهره للإنسان وباطنه وسكونه وحركاته خالصا لله تعالى . لا يشوبه نفس ولا هوى ، ولا خلق أولاً طمع ، وقال عبد الله الرازي الشعراني من لم يستغنم السكوت فهو إذا نطق نطق بخلو ، ومن لم يستغنم الخلوة فإنه إذا خرج خاض في الباطل ، وينبغي للمخلص أن يفتقد حال خلوته وسكوته وجوعه وبكائه وحزنه ، ينبغي أن تاكل خلوته أشغاله (١) ، وسكوته كلامه ، وجوعه شهواته ، وبكاؤه ضحكته ، وحزنه فرحه ، فصاحب هذه الخلوة إذا خرج من خلوته منته (٢) من الأشغال لأن خلوته قد أكلت أشغاله وصاحب هذا السكوت إذا نطق لم يشنه الكلام وصاحب هذا الجوع إذا أكل لم يتلذذ بالطعام ، وصاحب هذا البكاء إذا سكن لم يستفزه الضحك والمزاح ، وصاحب هذا الحزن إذا رأى أهل الفرح والسرور اشمأز وانقبض وهرب منهم فرار الفرس الشموس (٣) وفي هذا الفصل تفكر وتدبر لا يعقله إلا أهله (٤) ولا يقف عليه إلا من وفق له (٥) .

(١) معنى أكلت أشغاله قضت على ما يشغله عن الله تعالى . والخلوة نوعان خلوة العبد عن كل ما يشغل عن الله تعالى ؛ وهو بين الناس عامل مثلم وتسمى (الخلوة في الجلوة) ويسمى صاحبها كائنا بائنا . وخلوة اصطلاحية وهي أن يحبس المرید نفسه في مكان له شروط خاصة مع التزام طعام خاص وذكر خاص . (راجع كتاب الخلوة للشيخ الأكبر ابن عربي) .

(٢) في الأصل (منعه)

(٣) الفرس الشموس الصعب المراس والقياد .

(٤) في الأصل (لا يعقلها إلا أهلها)

(٥) في الأصل (وفق لها) .

وقال [ذو النون] المصرى الشريك على أربعة أوجه : فوجه هو الشريك فى التوحيد ، وهو شرك اليهود والنصارى . وشرك فى شىء من الدنيا عند [ما] يجعله عدة له ، ويتكل عليه ، ويقول هو عندى هذا الشىء فيعبد به الآن ، وشرك فى شك ، وهو الصانع الملتبس لرزقه من الصنعة ، يقول إن لم أطلب وأعمل [ف] من أين آكل . وشرك فى الأعمال ^(١) .

وقال بعضهم . العمل فى ثلاثة . يرى التوفيق فى العمل من الله ، ويلتمس بعمله رضا الله ، ويطلب ثواب عمله بعد الموت ^(٢) . فإذا رأى ابتداء عمله من الله نفى به العجب فى العمل ، وإذا التمس بعمله رضا الله نفى المحمدة والمذمة من خلق الله ، وإذا التمس بعمله الثواب بعد الموت نفى به الطمع فى المخلوقين . وقال الجنيد رحمه الله . الذى يفسد [القلب كما] يفسد الخل العسل سوء الخلق . والذى يحرق الحسنة كما تحرق النار الحطب الحسد ^(٣) والذى يخلق البر كما يخلق موسى الشعر الغل والتباغض . والذى يفسد العبد يوم القيامة الكبر والخيلاء ^(٤) . والذى يعمى قلب العبد عن

-
- (١) الشرك فى الأعمال أن يعمل الإنسان الخير لينال الشهرة عند الخلق . أو لطلب مجد فى الدنيا ، أو ليقصده الناس للتعلم فيباهى بكثرة طلابه .
- (٢) بل الراجح عند الصوفية أن يعمل العامل دون رغبة فى ثواب ، فطلب الثواب عندهم مرتبة صغار المريدين . وعلى أى حال فهو سلك محمود بوجه عام .
- (٣) لأنه اعتراض صريح على الحكمة الإلهية ، فالحاسد يرى نفسه أحق من المحسود بالنعمة وأن الله كان يجب عليه أن ينعم بها عليه هو .
- (٤) لأنهما آفة الآفات فى الأعمال . فالكبرياء صفة مميزة لله تعالى على خلقه ، فالمتكبر يحاول مشاركة الله فى صفته ، والخيلاء إعجاب وإعجاب فيه معنى استكثار العمل أو وفاء العمل بحق الله تعالى . والواقع بعيد عن ذلك . فلا فائدة فى هذا العمل . ومن الخيلاء فى الصدقات ، اعتقاد امتياز المعطى على المعطى له ، واحتقاره وذلك باب من أبواب نسيان النعم .

موارد الحق من الله تعالى ، متابعة النفس والهوى ، والذي يقطع العبد عن الأعمال الصالحة مجالسة أهل البطر والغفلة .

وسئل بعضهم : ما الفرق بين إخلاص^(١) العبودية ، وإخلاص الهمة ، وإخلاص التوحيد ؟ قال نعم . إخلاص العبودية هو صفاء التوجه إلى الله وصحة العمل مع التبرى من الحول والقوة ، وإخلاص الهمة قطع العلائق من القلوب ليصفو من التشبث في أعيان الغفلات ، وإخلاص التوحيد أفراد الله بالتخلص وسقوط الدعاوى . فهناك سقط . فهو كما لم يكن والحق باق كما لم يزل . وصار جملة العبد متبعا لمرضاة الرب ، كيف يخلص لك العمل وأنت باق في العمل ؟ تشهد العمل وترى حركاتك في العمل ، ولا يخلص عمالك حتى تفنى عن رؤية عمالك ، ثم تبقى بعد الفناء مع ربك ، ثم تفنى بعد البقاء في بقائك ، فهناك يخلص لك العمل ، ويرفع لك المحل ، وتنزل في المقام الأجل . قال أبو الخير الأقطع .

من أحب أن يطلع الناس على عمله فهو مرأى ، ومن أحب أن يطلع الناس على حاله فهو مدع كذاب^(٢) . ومثله ما حكى في الأثر أنه قيل لامرأة متعبدة : : في أى درجة أنت ؟ قالت : لا أطلع قيصى الذى على جلدى على الدرجة التى أنا فيها مخافة أن أسلبها^(٣) . وقال أبو العباس الزوزنى : صحة الشهادة تحتاج إلى أربع خصال حتى يكون العبد صادقا بها . الإخلاص ،

(١) فى الأصل « أخلاق » .

(٢) لأن أساس صحة الحال ، أن يؤدى الحال ما أراد منه الله تعالى حين وهبه لصاحبه ، وحينما لا يؤدى الحال عمله كاملا فإنه يعتبر ناقصا . ولا عبرة بالمقامات الناقصة فى التصوف ، لأن صاحبها لا زال مريدا وليس سالكا وعمل الحال الذى يريده الله تعالى . أن يصعد بصاحبه إلى غيره من المقامات . فاذا أراد صاحب الحال أن يطلع الناس على حاله ، وقف عند هذا الحد من سلوكه ، وبتر حاله وانقطع مقامه . فهو لذلك كذاب .

(٣) فى الأصل . تسلب

والتصديق ، واتباع السنة ، واستقامة الطريق ، فمن أتى بالشهادة بلا إخلاص القلب فهو منافق مرتاب ، ومن أتى بها بلا تصديق القلب فهو كافر كذاب ، ومن أتى بها بغير اتباع السنة فهو مبتدع مذموم ، ومن أتى بها بلا استقامة الطريق فهو فاسق ملوم . وقال شقيق البلخي ، من أخلص استوحش . ومن استوحش تفرد ، ومن تفرد تجرد ، ومن تجرد توحد ، ومن توحد استراح ، ومن استراح زهد في المباح ، وقال بعضهم . إن الله أوحى إلى صاحب النوح : يا داود ليس كل من صلى قبلت صلاته ، وليس كل من تصدق رفعت صدقته ، ولا كل من نقي رأسه صار من الصالحين ، لا أنظر إلى أعمالكم ، ولكن أنظر إلى قلوبكم .

وقال الزوزني يحتاج المصلي إلى أربع خصال حتى ترفع صلاته في صالح الأعمال . حضور القلب ، وشهود العقل ، وخضوع الأركان ، ونخشوع النفس . [فمن صلى بلا حضور القلب فهو مصل لاه ، ومن صلى بلا شهود العقل فهو مصل ساه] ومن صلى بلا خضوع الأركان فهو مصل جاف ، ومن صلى بلا نخشوع النفس فهو مصل خاطيء ، ومن صلى بتمام هذه الحدود فهو مصل واف . واللهو للقلوب ، والسهو للعقول ، والجفاء للأركان . والخطأ للنفوس ، أعاننا الله وإياكم على أداء فرائضه وإقامة أوامره إنه جواد كريم . وقال تلميذ لأبي يزيد البسطامي : يا أستاذ . ربى معيوب أم بغير عيب ؟ قال بل بغير عيب . قال : فأنا معيوب أم بغير عيب ؟ قال بل معيوب . قال : فربى يطلب منى الطاعة على قدرى وموافقة وصفى أم على قدره وموافقة وصفه ؟ قال : بل على قدرك . قال : الله أكبر . إذن يجب عليه أن يقبل أعمال المعيوبة . وذلك لأنى معيوب ، وفعل معيوب ، وقولى معيوب ، ونفسى معيوبة ، وقلبى معيوب ؛ فلا يخرج من المعيوب إلا المعيوب والله تعالى منزّه عن [كل] نقص وعيب . فقال أبو يزيد : إذا اذهب فإنك لا تتخير مع هذه الفصول ^(١) .

(١) لا تقدر المعصية في الحب الإلهي ؛ فهذا نعيان رضى الله عنه كان فيه —

يا أخى ما أجل الافتقار ، وأنجح الاعتذار ، كما حكى فى الآثار . أى طاعة لا تقبل مع الافتقار ؟ وأى عثرة لا تقال مع الاستغفار ؟ وأى ذنب لا يعفى [عنه] مع الاعتذار ؟ وأى محبة لا تصفو مع الاختيار ؟ وأى أنس لا يطيب مع الأذكار ؟ وأى عمل لا ينفع مع تشعب الأنوار ؟ وأى علانية لا تصالح مع حسن الأسرار ؟ وأى جهد لا يطيب مع الملك الجبار وأى بلاء لا يتلذذ [ذبه] مع مشاهدة العزيز الغفار ؟ وقال الدارانى . طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها غير الله . وقال النبي صلى الله عليه وسلم . إن فضل من يعرف أبواب الشرك على من لا يعرفها ^(١) كفضل على أمتي . حكى عن بعضهم . قال . حضرت القصار وقد احتضر فقال لى : يا بنى . لقنى الشهادة . فإن الشيطان يلقي إلى نيفاً ^(٢) وسبعين نوعاً من الشرك ثم قال اخساً ^(٣) يا ملعون إن كل لسانى عن الذكر ، فقلبى لا يخلو من مشاهدة المذكور .

قال أبو سعيد النيسابورى فى معنى الحديث الأول ^(٤) من معرفة أبواب الشرك : وذلك إن يقول العبد أن الخير من الله تعالى ، والشر من نفسى ، ويؤمن [مع ذلك] بالكهانة والنجوم ، وزجر الطيور ، وحك الحاجب يعنى الاختلاج . والطيرة ، والتعلل بالأطعمة ، وأن يقول لولا هذا الماء

== مزاج ؛ وربما كان يتسم الرسول صلى الله عليه وسلم من كلامه ؛ رفع إليه وقد شرب الخمر فحده ، ورفع إليه ثانية فحده ثم ثالثة : فلعنه بعض القوم فى الرابعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تلعبه فإنه يحب الله ورسوله ، وسئل ذو النون المصرى عن الرجل يعصى ويحب الله . فقال : هذا رجل عاص يحب الله .

(١) فى الأصل : يعرفه .

(٢) فى الأصل : نيف .

(٣) فى الأصل : اخس .

(٤) الحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم « من أدخل فى ديننا هذا ما ليس

منه فهو رد .

لم ينبت زرعى ، ولولا هذا الزبل لم ينم حرثى ، ولولا فلان لأخذوا مالى
ولولا كلب فلان لقطعوا أدارى ، ولولا فلان لقضيت حاجتى ، ولولا معرفة
فلان بافتقار البستان لحرب بستانى ، ولولا فراهة الملاح لغرقت سفينتى ،
وأن يقول غدا يمطر ، وأن يقول للفقير لا أعطيك ، ما تسألنى مخافة على
رزقى ، وأن يقول الكون يبرد الماء ، وأشباه هذا كله من الشرك الخفى
الذى حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته منه .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم القيامة نادى مناد يسمع
أهل الجمع يقول : أين الذين كانوا يعبدون الناس ؟ قوموا خذوا أجوركم
من كنتم تعملون له ، فإنى لا أقبل عملا خالطه شيء من أمر الدنيا وأهلها .
وقال الأنطاكي : اعمل كأنه ليس فى الدنيا أحد غيرك ، وكأنه فى
الأرض ليس أحد غيرك وقيل لراهب : ما الإخلاص قال أن تعبد الله
لا لرجاء ثواب ، ولا لخوف عقاب . وقال يحيى بن معاذ . سيئة مغفورة
خير لك من طاعة مردودة لا تقبل منك ^(١) .

وقال الأنطاكي : التزين اسم لثلاث معان . تزين بعلم ، وتزين بعمل ،
وتزين بترك التزين ^(٢) وقال بعضهم فى معنى قوله والشفع والوتر . قال الشفيع
الأفعال ، والوتر النية ، وهو الإخلاص . وقال أبو هريرة رضى الله عنه :
مكتوب فى التوراة ما أريد [به] وجهى فقليله كثير . وما أريد [به] غير
وجهى فكثيره قليل . وقال بعض الحكماء . إن العبد إذا أخلص لله بأعماله

(١) لأن السيئة المغفورة لم تغفر إلا بالاستغفار الصحيح ، والندم الكامل .
والذلة التى تميز العبد من الرب . أما الطاعة المردودة . فلم ترد إلا لاعتجاب ،
أو رياء ، أو فساد فى شروطها ، أو بطلان فى أركان . وكل هذا استهانة بمقام الربوبية
والأعمال عند الصوفية بمبادئها ونهاياتها . يقولون « البدايات علامات النهايات »

(٢) قد يكون ترك التزين عند بعض الناس هو التزين بعينه حيث يبدو أمام الناس
بمحلية الصالحين ، وهكذا فى كل أعمال العبادة الظاهرية والقلبية بإعلان التواضع
كبر وإعلان الذل عز وهكذا .

وأقواله . لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه ، وإذا قال العبد المخلص : « يا رب ،
بقول له : لييك يا عبيد - فإذا سأله أعطاه ، وإن لم يسأله أخر له ما هو خير
من مسأله .

وقال الروذباري : وقع في نفسي أن أسأل جنيدا عن مسألة في الإخلاص
فذكرت إلى منزله ، فاستقباني صديق لي فاطعمني هريسة ، فسرت إلى
أبي القاسم [الجنيد] قال : تسأل عن الإخلاص وتأكل عن الشهوات ؟
فهمته أن أسأله فقال الإخلاص . واجب الفرائض ، والنوافل . فهو فرض
في [ال] فرض ، وفرض في [ال] فضل ، ثم قال : أكل الشهوات منعك
عن المنارات . وقيل في معنى قوله « كل شيء هالك إلا وجهه » كل عمل باطل
إلا [إذ] أريد به وجهه . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، لا أخاف على أمتي
أن يعبدوا (١) شمسا ولا قمرًا ولكن يرأى بعضهم بعضا وإن سير الرياء
شرك . قال أبو سعيد رحمه الله : جاهدوا أنفسكم على [بغض] المحمدة
و[على] الرضا بالمذمة فإنه بلغنا حديث إن صح من قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم : إنه لقاصم الظهور أمثاله . بلغنا عنه أنه قال ، ويل للصائم ، ويل للقائم ،
ويل لصاحب الصوت ، فقيل : إلا من يا رسول الله ؟ قال إلا من نزه نفسه
عن الدنيا ، وأبغض المحمدة ، واستحب المذمة .

وقال صلى الله عليه وسلم : أخوف ما أخاف على أمتي الشرك والشهوة
الخفية (٢) . قيل يا رسول الله أو تشرك أمتك بعدك ؟ قال إنهم لا يعبدون
شمسا ولا قمرًا ولا وثنًا ولا حجرا ، ولكن يراءون الناس بأعمالهم ، وإن

(١) في الأصل : يعبدون .

(٢) فسر الرسول صلى الله عليه وسلم الشهوة الخفية في باب من أبواب التشريع
دركن من أركان الإسلام . لأنه صلى الله عليه وسلم أستاذ العقيدة ولا بد من تصحيح
الأركان أولا ، وقد فتح بذلك باب الفهم في الشهوة الخفية ، وأنها ليست قاصرة
على فسح عقد الصوم بل إنها كذلك في الصلاة ، والزكاة ، والحج ، وغير ذلك من
الأعمال والعلوم .

يسير الرياء شرك . قيل يا رسول الله فما الشهوة الخفية ؟ قال يصبح الرجل صائما فتعرض له شهوة من شهوات الدنيا فيفطر^(١) . وقد هلك طائفة من أهل الزمان ممن لا معرفة لهم ولا إيقان يفطر باتباع هواه ما عقد لصوم ونواه ، يتأول في ذلك أن إدخال السرور على الأخ من الإخوان أفضل من الصوم ، وأين ذلك الأخ الذي يحب العبد أن يفطر لرضاه ؟ ذلك هو الأخ الذي يفرح بأكلك عنده ، وإفطارك لديه ، فرحا ينسى به الأكل ويشبعه بدل الطعام . فضلا عن أكله ويحزن على تركك لطعامه ، ومخالفتك له ، حزنا لا يشتهى [معه] الطعام يوما وليلة . وربما تربص بذلك الطعام ، فلم يأكل هو ولم يطعم غيره ، ينتظر إجابة الأخ له بعد ذلك . وربما تصدق به إذا قطع رجاءه من إجابة أخيه تحرجا أن يأكل هو بعد ما لم يأكل أخوه ذلك فهذه كانت بعض صفة الأخ الذي كان يجب على الأخ أن يفطر لطلب رضاه ، ولا التماس سروره ، وهذا الأخ اليوم ضالة لا توجد ، ونجم غاب فلا يطلع ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما وضع الناس شيئا إلا رفعه الله ، ولا رفعوا شيئا إلا وضعه الله^(٢) » .

قال وهب بن منبه ، كان في بني إسرائيل راهب على رأسه ثلاث عمامات فجاء إليه قوم فقالوا : قد أصبنا اليوم عجبا ، دفنا فلان العابد عشرين مرة كل ذلك يقذفه القبر وتركناه . فوقع العابد في السجود فعبد الله عشرين سنة فرآى ليلة الجمعة في المنام قائلا يقول له . أنت تذكرني ؟ وإنك ترى جمجمة العابد تحوك فجاء العابد فنظر إلى جمجمة قد ابيضت [ت] من طول الزمان . وإذا على جبهته مكتوب . فتأمله فإذا هو : ماذا لقيت وماذا ألقى ؟ فسأله الراهب عن حاله . فقال : إني كنت رجلا في بني إسرائيل أراي الناس

(١) لأن طلب العلو والرفعة آفة من آفات الأعمال إن لم تكن أهمها . قال تعالى ، تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ؛ والعاقبة للمتقين .

بصلواتي ، ما كنت بتلك ^(١) الصلاة لله . وإني كنت آكل الدنيا بالدين ، قلت
فماذا لقيت ؟ قال لما كان عند انقضاء أجلي . دخل على ملكان ومعهم ملك
الموت ، فقال أحد الملكين للآخر . آخذ [ه] قبض المؤمن أم قبض
الفاسق ؟ قال بل قبض الفاسق فخرج روي من جسدي كما قد شرح بالسكين
فتمنيت [أن أ] قتل عشر مرات أو [أ] طبخ عشر مرات ولا أرى خشونة
الموت . ولكن اشفع لي إلى الله لعله يردني إلى الدنيا فأفرش من الرماد ،
وآكل من الحشيش ، وأتوب إلى الله ، فإني رأيت الرياء أشد من الشرك .
فسمع صوتا وهو يقول . قم [أيها الر] اهب المستجاب الدعوة . ودعه
حتى نرده إلى عذاب دائم وهوان ^(٢) .

وقيل بالعلم تَقْوَمُ الأعمال ، وبالإخلاص تصحح ، وبالصدق تصفى .
وقيل للرأي ثلاث علامات : يكسل في الوحدة ، وينشط في الملاء ، ويحرص
على الأمور الممدوحة عند الناس . وقال الأنطاكي احذر الشيطان لا يحول
بينك وبين طاعة ربك ، فإن أعانك الله على طاعته ، فاحذره أن يفسد
عليك ما قد علمته من الطاعة ، ثم احذره أن يخفي عليك ما أفسد عليك من
طاعة الله ^(٣) ، فإن قويت عليه فاحذر أن يسلبك بعد تعبك ونصبك وسعيك
ما قد أفسده عليك ^(٤) ، فإنه يمتثل أن يخرجك من ذلك كله صفرا . ثم
احذره أن يمتثل لك في المعاصي الكبائر أن يوقعك فيها سرا أو جهرا بجهالة
أو تعلم ، فإن له في جميع ذلك احتيالا ومكرا . حكى عن ابن المبارك ، أنه

(١) في الأصل : بذلك .

(٢) قصة إسرائيلية يراد بها كغيرها . الدلالة على فضائل الأعمال . يؤخذ
بنتائجها ولا يؤخذ بتفاصيلها .

(٣) يخفي عليك الشيطان ما أفسد عليك من طاعة ، بأن يلقيك نوعا من الجدل
والحجة الباطلة تقنعك بصحة عملك .

(٤) العمل الفاسد خير من عدم العمل . والشيطان يوقع العامل في اليأس
فلا يعمل ، فيسلبه الشيطان ما أفسده عليه .

وسوس له الشيطان فقال له : تمسح رأسك ؟ فقال : أنت المدعى . عليك شاهدين عدلين ، وصلى .

وقيل إذا أراد المؤمن أن يصلى ركعتين استقبله الشيطان على خمسة أوجه أولها (١) بالمنع ، والثاني بالتعجيل ، والثالث بالرياء ، والرابع بالعجب والخامس بالإياسة . ويقال كان رجل يلعن إبليس كل يوم ألف مرة ، وكان يوما نائما في أصل جدار فجاء إليه . فأيقظه من منامه ، وقال : قم . فإن الجدار هو ذا يقع ، فقام الرجل وسقط الجدار فقال : من أنت بهذه الشفقة ؟ قال : أنا إبليس . فقال العابد : سبحان الله . أنا ألعنك كل يوم ألف مرة وأنت تنصح لي ؟ قال : كفاني ما أقاسيه معك من المشاغل (٢) والعناء وأنا أعلم مراتب الشهداء ، أخاف أن يقع عليك الجدار فتدرك بذلك درجة الشهداء . فيكون ذلك أعظم لغيظي وشقوتي .

وسئل الجنيد عن الإخلاص فقال : هو سر بين الله وبين العبد . لا يعرفه ملك فيكتبه ولا هوى فيمليه ، ولا عدو فيفسده . وسئل الحصري عن الإخلاص فقال لا يخلص عمل العبد إلا أن يخلص العبد ، وإخلاصه : ألا يملك شيئا . ولا يملكه شيء فإن ملك ذرة ادعى مع الربوبية قدما ، وإن ملكه شيء كان فيه مشتركا ، فإذا أخلصه الحق لم يكن للعبد فيه [شيء] ، ولا له منه [شيء] . ولا له من ملك مولاه ، ولا له في ملك [مولاه] ، فيكون العبد بكا [ه] لله .

وقال الروزباري : الإخلاص هو أن تستوى أفعال العبد في الظاهر والباطن . والمخلص هو الذي يكتم حسناته كما يكتم سيئاته . وقال سهل : المخلص من العمل هو الذي لا يريد صاحبه عليه جزاء ولا شكورا . وقال يحيى بن زكريا ، سألت إبليس لعنه الله فقلت يا عدو الله لم آيست من المخلصين ؟ فقال [يا] يحيى . ومثلك يقول هذا ؟ إن قلوب المخلصين كالمرآة

(١) في الأصل « أوله » .

(٢) في الأصل « المشغل » .

ذات وجهين^(١) ، يتلألأ بنور الفكر ، ويختلج [فيهما] شعاع الذكر ،
 وقلوبهم كالبحر مليء نارا ونورا ، فسكما هممت بالدنو إليهم ، أعماني نور
 نارهم ، وأحرقني نار نورهم ، فليس من حيث أتطلع إليهم^(٢) يخشون
 مسي وتامسي ، فتهاونوا^(٣) بي لعلو مقامهم ، وأنسهم مع ربهم ، وذلك قول
 الله عز وجل « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم
 مبصرون . وقال الشعبي : قال : اطلع بن الخطاب على معاذ بن جبل وهو
 يبكي عند قبر النبي عليه السلام ، فقال يا معاذ لعلك على فقد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم . فقال : ليتني كنت أبكي عليه فقد كان يبكي عليه ولكنه
 حدثني بحديث في هذا المكان وأنا أبكي لذلك ، فقال لي : يا معاذ يسير الريباء
 شرك . وإن أحب عباد الله إلى الله الأخفاء الأتقياء الأبرياء ، الذين إذا
 غابوا لم يفتقدوا ، وإذا شهدوا لم يعرفوا ، أولئك أئمة العلم ، ومصابيح الهدى
 تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم ، وهم منها في عافية : الحديث على لفظه .
 وسئل عيسى بن مريم عليه السلام عن الإخلاص [ف] قال المخلص
 من يعمل لله ولا يحب أن يمدح عليه وفي رواية ولا يحب أن يمدحه الناس
 عليه فاللفظة الأولى هي أدق [في] المعنى لأن معناها يعمل على مشاهدة
 الرضا والتسليم فلا يحب مدح الله له إلا إذا أحب الله^(٤) ذلك فيكون
 حينئذ محبا لذلك باختيار الله ومحبة ، فهو المخلص الحقيقي . ومعنى الرواية
 الثانية لا يحب مدح الناس والمخلوقين . فأما مدح الخالق فإنه يحب ذلك لأنه
 منية المتمنين . وكتبت عائشة رضى الله عنها إلى معاوية تعظه : إنه من عمل

(١) في الأصل « وجهان »

(٢) في الأصل « إلا ويخشون »

(٣) في الأصل « فتهاورني »

(٤) جاء هذا المعنى من التعبير الأول بناء الفعل « يمدح » للجهول . فصار
 نائب الفاعل عاما .

(٥) في الأصل : تجترعها . وأمامها على الهامش تصحيح لها . كلمة « تنظر » .

لله كفاه الله الناس ، ومن عمل للناس وكفه الله إليهم ، ومن تزين للعباد بغير ما يحب الله عاد حامده منهم له ذاما . وقيل : من عمل للحى الذى لا يموت خضع له النواطق والصموت ، من عمل بالإخلاص نال الربح والخلاص . ويقال كان الحكاء من العارفين وأهل الإخاء فى الدين يوصى بعضهم بعضا بهذه الكلمات الجوامع الثلاث . من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ، ومن أصلح سريره أصلح الله علانيته ، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس . ومثل هذا ما حكى عن بعض الصالحين وهو يليق بالنسبة . قال : كنت مارا فى بعض بوادى العرب فإذا أنا بقطيع من الغنم والذئاب بينها فنظرت . فلا الذئاب تقطع الغنم ، ولا الغنم تنزع الذئاب ، فرمقت يدى نحو السماء ، وعجبت عجبا شديدا ، فنظرت إلى البرية فإذا أنا بجارية سوداء قائمة تصلى . فسألت عليها فأوجزت فى صلاتها وقالت مالك وسلام النسوان يا شيخ ؟ قلت : يا جارية . ما هذا العجب ؟ قالت : وهل فى أمر الله عجب ؟ ما الذى رأيت ؟ فأخبرتها . فقالت : يا هذا . ذاك من الأمور . أصلحنا المعاملة بيننا وبين الملك الغفور فأصلح بين الذئاب والغنم لئيمعجب الغافل المستور ، وقيل الكافر يعمل لزينة الدنيا ، والمنافق يعمل لرؤية الخلق بالهوى ، والمؤمن يعمل للآخرة والعقبي ، والموقن يعمل لمشاهدة الجليل فى المنظر الأعلى ، من عمل للدنيا ، فهو يودى العمل للمخلوقين ^(١) فهو ردى ، ومن عمل للعقبي ، فهو رد [ى] ومن عمل للهوى فهو صفى .

معاذ بن جبل قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أوصنى . قال أخلص عمالك لله يكفك القليل ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لقد خشينا أن يدخلنا خوفنا من الرياء فى تسعة أعشار الرياء فهذا عظيم ، ومعناه أن يترك العبد كثيرا من الصالحات لأجل خوف دخول الرياء ، لأن الرياء كان عندهم العمل لأجل الناس ^(٢) ، فأما ترك العمل لأجلهم فهو شرك . وقال بعضهم

(١) فى الأصل « فهو يودى عمل للمخلوقين .

(٢) الذى يدخلنا فى تسعة أعشار الرياء ، أن نضطرب فى إخفاء أعمالنا ؛ فيظهر =

في معنى قوله تعالى : والذين هم بربهم لا يشركون من . فتش سره فرأى فيه شيئا أعظم من ربه أو أجل منه فقد أشرك به ، إذ جعل له مثلاً .

وقال بعضهم في معنى قوله تعالى « ولا يبين زينتهن إلا ما ظهر منها » الحكمة في الآية لأهل المعرفة والصدق أنه من يظهر (١) من أفعاله شيئاً إلا ما يظهر عليه من غير قصد له فيه ، فقد سقط به عند رؤية الحق ، لأن ما وقع عليه رؤية الخلق فهو ساقط عند رؤية الحق .

وقال بعضهم : ربما قال الرجل : سبحان الله لا إله إلا الله . فأخشى عليه النار . وليس قيل كيف ذلك ؟ قال يغتاب بين يديه فيعجبه ذلك [ويقول هذا القول] وليس هذا موضعه ، إنما موضعه أن ينصح له ويقول له اتق الله . وقال عصام بن طليق . قلت لابن عباس : يا أبا اسماعيل ، ما بلغك في الغيبة ؟ قال بلغني أن أقل الغيبة أن يسأل الرجل عن الرجل فيقول : دعه غفر الله له ولنا . فتكتب له خطيئة أثقل من جبل أحد . هذا لمن يريد عيبه بذلك (٢) .

وقال أبو عثمان في معنى قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من

إخفاؤنا لأعمالنا ، فنجد لإجلال الناس لنا لذة ؛ فنظهر ألواننا من الورع لنثبت حالتنا في أذهان الناس . أو نخفي الأعمال ؛ إمامي خلوة ؛ أو بالإسراع بها بل رؤية الناس فيدخلنا الشك في صحتها ؛ فنصاب بالوسوسة ؛ والوسوسة تجر إلى إعلان الأعمال رغم أنف العامل وربما حاول تلبيس وسواسه ؛ بأنه إنقار للعمل . وإما أن يعالج العامل الرياء بالرياء . فيعمل أمام الناس ليتحاشى ترك العمل خوفاً من الناس . فيجد من ذلك سترًا لنفسه من الرياء وهو عين الرياء . ورأى المؤلف في تفسير قول سيدنا عمر - جيد أيضاً .

(١) في الأصل يظهر أهل أفعاله .

(٢) قد يقصد العيب في المغتاب بهذه العبارة ؛ فهي إقرار ضمنى لمن اغتاب أخاء . وفيها كذلك رياء . لإظهار التقصير والاعتراف بالذنب وإيماء للسامع بأن المتكلم يستعقر من الصغائر في كل مناسبة .

أتى الله بقلب سليم . هو أربع منازل [الأول] سلامة القلب من الشرك .
الثاني : سلامة القلب من الأهواء ، الثالث : سلامة القلب من الرياء . الرابع
سلامة القلب من ذكر كل شيء سوى الله . وقال أبو أمامة . كنا نمشي خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع خفق نعالنا فوقف ثم قال امشوا
[فلما مشينا] . قال نعم إني سمعت خفق نعالكم فخنفت أن يدخل قلبي شيء .^(١)

وقال الجنيد في معنى قوله عز وجل ولا تنس نصيبك من الدنيا .
لا تترك إخلاص العمل لله في الدنيا ، فهو الذي يقربك منه ^(٢) ، ويقطعك
عما سواه :

وقال أبو علي الجورجاني . إن الله جل ثناؤه دعا عباده إلى الإخلاص
من كل وجه . وأخبر أن من كان في ظاهره وباطنه شيء غير الحق لم يكن
مخلصا بقوله تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفا » معرضا عن السكل مقبلا على
السكل حنيفا . أي مطهرا عن الأكوان وما فيها ، وقال في معنى قول لقمان
« يا بني لا تشرك بالله . وعظ لقمان ابنه ودله في ابتداء وعظه ، على بجانب
الشرك ، وهو ^(٣) التفرد بالحق للحق بالسكل نفسا . وقلبا وروحا . فلا تشتغل
النفس إلا بخدمته ، ولا يلاحظ القلب سواه ، ولا يشاهد بالروح غيره ،
فهو مقام التفريد بالتوحيد .

وقال سهل في معنى قوله تعالى « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه » ظاهره الدعاء والصدق ، وباطنه ^(٤) عمل بالعلم والاقتداء بالسنّة .

(١) هذا تعليم للامة على يد الرعيل الأول . وليس من باب إظهار العمل
الصالح لأن له صلى الله عليه وسلم من المهابة والعظمة في الظاهر . ما يتضاءل أمامه
إظهار التواضع . وله صلى الله عليه وسلم من الأعمال الخفية ما يبرز عنه فحول الرجال
(٢) في الاصل : به .

(٣) أي : بجانب الشرك .

(٤) الضمير في ظاهره يعود على الكلم الطيب . والضمير في باطنه يعود
على العمل الصالح . أو كل منهما يعود عليهما معا .

يرفعه . ويوصله الإخلاص . وقال بعضهم في معنى قوله تعالى : فمنهم ظالم لنفسه ، قال الظالم من يكون عمله كله رياء ، والمقتصد من يكون بعض عمله رياء ، وبعض عمله إخلاصا ، والسابق من يخلص عمله لله . وقال الـكتاني ، المحسن من أحسن إلى نفسه ، فلا يوقعها^(١) في الورطات ، ويحسن إلى الخلائق لا يؤذيهم بسوء خلقه ، ويحسن عبادة ربه فلا يشوبها^(٢) شيء من الرياء .

وقال الواسطي في معنى قوله تعالى «إلا لله الدين الخالص» هو الذي يخلص فيه صاحبه [من النفاق] والبدعة والرياء والعجب ورؤية النفس . وقيل في معنى قوله تعالى : ولا تبطلوا أعمالكم . يعني بالرياء والعجب . قال أبو عثمان في ذلك بترك الستر .

وقال سهل في معنى قوله عز وجل «حتى إذا جاءنا» يعني جاء بعملنا [هـ] الذي أشرك فيه معنا غيرنا : لقوله صلى الله عليه وسلم . الشرك أخفى في أمتي من ديب النمل على الضغاة . يعني شرك النفس ، قال ؟ يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين .

وقال ابن عطاء في معنى قوله «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى» . إلا ما سعى . إلا ما نواه ، وإن كان سعيه رضى الرحمن فإن الله يرزقه الرضوان ، وإن كان سعيه للشواب والإعطاء^(٣) والأعراض كان له ذلك^(٤) .

وقال سهل في معنى قوله «رب المشارق والمغارب» المشارق الجوارح

(١) في الاصل « يوقعه » .

(٢) في الاصل « يشوبه » .

(٣) في الاصل « والإعطاء » .

(٤) ليس سعى الإنسان المدخر له مقصورا على الصلاة والزكاة والصدقات وغيرها من الأعمال بل يتعدى السعى إلى الأولاد وحسن القيام على تربيتهم وتوجيههم نحو خالقهم « فقد عد النبي صلى الله عليه وسلم من الأعمال الصالحة التي تبقى للإنسان » ولده الصالح الذي يدعو له ، ورد الملاء على من اعترض بهذه الآية فقالوا « ولد الإنسان من سعيه » .

المستعملة بالأخلاق ومغاربها بالطاعة لله بالسنة^(١) . وقال بعضهم في معنى قوله عز وجل : أيكم أحسن عملا . أحسن العمل ترك التزين به . وقيل حسن العمل نسيان العمل ورؤية الفضل^(٢) — وقال في معنى قوله « وأقوم قليلا ، أصوب قولاً . لأنه أبعد من الرياء . وقال عبادة : الليل أتم إخلاصا وأكثر بركة ، وقيل الصدق على ثلاثة وجوه : رياء ، وهوى وبلاء ، وما كان من ذلك الوجه^(٣) لله خالصا فهو عزيز لا يصل إليه إلا الأبرار المقربون .

باب حكم النية في الأعمال

ومعرفة دقائق العمل وغوامض الآفات

وقد قال طوائف العلماء الراسخين ، والحكماء الربانيين ، والخاصاء من العارفين ، في النية أقوالا مختلفة الألفاظ قريبة المعاني . قال أبو طالب المكي رحمه الله . قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أحسابكم ، ولا إلى أعمالكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم » فنظر علام الغيوب إلى القلوب إنما هو موضع النية ، والنية هي روح العمل . وكما لا قيمة للجسد إلا بالروح كذلك لا قيمة للعمل إلا بالنية ، والنية قلب القلب يعني لولا محل النية في القلب لما كان يعرف قيمة القلب ، وصار [ت] النية بهذا قلب القلب والنية زمام القلب . فكما لا صلاح للدابة في سيرها إلا بإحكام الزمام . كذلك لا صلاح للقلب في مقاصده إلا بإحكام النية ، والنية قائد العمل . فكما لا تصل القافلة إلى محل الأمن والسلامة إلا بمعرفة القائد

(١) تعسف ظاهر في تفسير « المشارق والمغارب » وبعيد عن مسلك . سهل رضى الله عنه .

(٢) أى الفضل من الله تعالى بالتوفيق للعمل .

(٣) أى الذى هو وجه . البلاء والاختبار . والمراد من هذه العبارة أن الصدق في الظاهر قد يكون . رياء . فنحن لا نستطيع أن نقول المصلى : إنك لا تصلى . وقد يكون هوى ، إذا وافق ميل العامل . وقد يكون اختبار الصدق الباطن وهو العزيز النادر .

بالطريق ، كذلك لا يصل العمل إلى الله تعالى إلا بخلصان النية فيه . والنية أول القصد . وإنما يحىء تمام الأعمال على شبيه أول القصد فيه ، وربما تتغير النية بعد القصد من الفساد إلى الصلاح ومن الصلاح إلى الفساد . والنية باطن العلانية من الحركات والسكنات ^(١) والنطق والسكوت ، والخروج والدخول والنية موضع نظر رب العالمين من سر العبيد . كما قال الله تعالى في بعض الكتب . إني لا أنظر إلى قول الحكيم وإنما أنظر إلى همه فمن كان همه في رضائي ، جعلت صمته تسبيحا ، ونومه عبادة ، فمن رجع صمته تسبيح المسبحين ، وذكر الذاكرين ، كيف يكون ذكره وتسبيحه ؟ ! ومن رجع نومه عبادة المتعبدين ، كيف تكون صلاته ؟ ! والنية مثلها ^(٢) في الأعمال كالطهارة في الصلاة . فلو لم يتطهر العبد قبل الصلاة للصلاة . وقام ألف سنة في الصلاة لم يعتد له [شيء] من صلاته بذلك . كذلك العامل إذا لم ينو بقلبه قبل العمل فلو عمل ألف سنة لم يحصل له من عمله ، يقال خردة . وقد قال صلى الله عليه وسلم : لا صلاة لمن لا وضوء له ولا عمل لمن لا نية له . والنية مثلها ^(٣) في الأعمال كمثل الأمير في الجند فلو كان الجند ألف ألف رجل ، لما اجتروا على محاربة العدو إلا إذا خرج الأمير وحصل فيما بينهم . كذلك العمل وإن كثر . لا يصلح للعرض على الجليل ، إلا إذا كان معه النية الخالصة والنية هي فرض [الفرض] وأيضا مثل النية كالرسول ، والعمل كالهدي . والعبد المهدى ، والله المهدى إليه فإذا غاب الرسول [ف] من يوصل الهدية إلى المهدى إليه ؟ كذلك إذا غاب [ت] النية فالعمل من يوصل [ه] إلى المعمول له ؟ .

فهذه بعض ماهية النية . قصرتها ^(٤) كراهة الإطالة وأنا أستدل إن

(١) في الأصل « السكوت » .

(٢) في الأصل « مثله » .

(٣) في الأصل « مثله » .

(٤) في الأصل « قصرته » .

شاء الله بعد هذه النية مع ما حكيت لك من أقوال الحكماء . يقول الحكيم العالم جل جلاله بما أودع في كتابه المنزل على الخير المصطفى صلى الله عليه وسلم ، واكتفى من ذلك بثلاث آيات . وكذلك أستدل لك من السنة باختيار ثلاثة [أحاديث] أبين لك فيها ما يحتاج العمل إليه ، من تصحيح الإخلاص ، ومعرفة العلل والآفات . وبالله التوفيق ، ومن عنده الكفاية ، وعليه التسلان ، وما شاء الله كان .

الآية الأولى :

فمن ذلك قوله جل ثناؤه « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها » ولكن يناله التقوى منكم [، وفي هذه الآية بيان ما يريد الله من العباد في أفعالهم ، وما الذي يصلح أن يكون لك من ذلك ، وقد نطق العلماء من العارفين في معنى الآية بأوجه من التفسير . إذ أذكر من ذلك ما يليق بالموضع . وسبب نزول الآية : أن أهل الجاهلية كانوا إذا نحرروا البدن ، لطنخوا بدمائها جدر البيت ، ورشوا الدماء عليه ، يقولون هذه قربة إلى الله . ففعل المسلمون أول ما أسلموا كفعلهم في الجاهلية ، فهبط جبريل بالوحي من عند الحق على رسول الله عليه السلام فقال « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها . الآية ، أى لا يصل إلى الله تعالى من هذا القربان الذى تنحرونه غير التقوى . فذلك الذى يقبله الله منكم ، والتقوى محلها فى القلوب ، وهو مثال الحق من الأعمال ، لا يصلح له غيره ، ولا يقبل سواه ، ما أصنع باللحوم والدماء ؟ وإنما أريد ، الإخلاص والصفاء . منى محل الدماء ، وبطونكم محل اللحم ، وأنا محل التقي ، وقيل : الحكمة فى ذلك كأنه يقول . معاشر المتقربين إلى . التقي من عندى ، والذى تتقربون به من القربان من لدنى ، فأما القربان فقد جرى تحت رسم أيديكم ، وقد لاحظته عيون الخلق منكم ، والتقى محفوظ فى قلوبكم ، مكنون فى غيابة غيب نياتكم ، لم تنله الأيدى ، ولا جرت فيه الأنظار ، ولا شهادة الأبصار ، فهو طلبتى منكم ، لأنى لا أقبل من عبادى إلا الطاهر من التخليط ، وذلك هو التقوى لا غير .

وقال الحسين بن الفضل في معنى الآية: ولكن يناله التقوى منكم . الهاء إشارة إلى الله تعالى ، ولكن المتقى من المتقربين ، هو الذي ينال غدا رب العالمين ويراه ، فينظر إليه عيانا في محل اللقاء والتمكين ، وهذا جائز كما حكى عن إبراهيم بن شيبان قال : إذا اجتمع الخلائق في الموقف بين يدي رب العالمين ، يأتي الملائكة إلى زمرة المؤمنين فيقولون لهم : انطلقوا يا أولياء الجبار . فيقولون : إلى أين ؟ فيقال لهم إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت لكم . فيقولون : والله ما لهذا عملنا فقرضى به . ولا هو بغيتنا فنتبِعكم . فيقول الملائكة : فما بغيتكم ؟ فيقولون : هو بغيتنا . له عملنا ، وإياه أردنا ، فإذا نبدا من قبل الله تعالى : ملائكتي . اركوهم فإنهم لا يرضيهم غير النظر إلى وجهي .

وقيل في معنى الآية . لا تصعد الملائكة بلحمها ودمها ، ولكن يصعدون بالتقوى منكم . وقد جاء في الخبر أن العبد ليعمل أعمالا حسنة فيصعد بها الملائكة في صحف مخطمة ، فتلقى بين يدي الله ، فيقول الله : اطرحوا هذه الصحيفة . فيقول الملائكة : إلهنا ما علمنا إلا خيرا . فيقول الله : ملائكتي . أتم الخفظة على عمل عبيدي ، وأنا المطلع على قلبه ، إنه لم يرد به وجهي .

وقال بعضهم في معنى هذه الآية إشارة دقيقة ، وعتاب لطيف لأهل المحبة والوفاء ، وأرباب الصدق والصفاء ، وذلك أن التقي في العبد من العبد ، واللحم والدم خارج من العبد ، فكأن الله يقول : عبادي وأحبائي أنا لا أريد منكم غيركم ، ولا أطلب سواكم ، فلذلك كونوا^(١) أنتم . لا تطلبوا مني غيري ، ولا تريدوا مني سواي ، وعن بعض أهل المعرفة قال : رأيت رب العزة في المنام . فقال : كل الخلائق تريد مني غيري . إلا أبا يزيد فإنه يريدني وحدي . قال سهل : طلب الله من العباد في أعمالهم التقوى . والله تعالى

(١) في الأصل « فذلك فكونوا » .

محلها^(١) القلب، وهي^(٢) الإخلاص، فمن لم يعرف طلبة الله من أعمال العباد، كيف ينال رضى الله فى المعاد .

الآية الثانية :

قوله جل ذكره « وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » قال سهل : إنما حصل التضعيف بإيتاء الزكاة ، لإرادة وجه الله بالإخلاص . والزكاة زكاتان ، زكاة البدن فى تطهيره^(٣) من المعاصى والمخالفات ، وزكاة المال فى تطهيره من الشبهات . ومن حصل له هاتان الطهارتان فى بدنه وماله ، ، نال بذلك الجزيل من الثواب فى ماله ، وإلا فهو معيوب فى حاله . وقد أوحى الخبير إلى من يخلط الرماد بالشعير . يا داود ليس كل من صلى قبلت صلاته ، ولا من تصدق رفعت صدقته ، ولا من نكس رأسه صار من الصالحين ، إنما أتقبل [من] الأعمال ما أريد به وجهى . وكذلك أوحى إلى عيسى عليه السلام فى الإنجيل : يا عبید الدنيا ما أحلى^(٤) كلامكم ، وأمر أفعالكم ، وما أطيب رائحتكم ، وأنتم قلوبكم ما ألين ألسنتكم وأصلب قلوبكم .

الآية الثالثة :

فى تصحيح النية . قوله جل ذكره « إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » جميع ما يفسد أعمال العابدين ، وعبادة المتعبدین ، الطمع فى شيئين : المكافأة بالأفعال ، وفى حسن الثناء والمدح بالأقوال . وقد أخبر الله تعالى فى ذكره ، عن نزلت هذه الآية بسببهم . أنهم لم يريدوا بفعلهم الصالح من الخلق مكافأة بالأفعال ، ولا حسن ثناء بالأقوال وإنما عملوا لوجه الكبير المتعال .

(١) فى الأصل « محله » .

(٢) فى الأصل « وهو » .

(٣) فى الأصل « فى تطهيرها » .

(٤) فى الأصل « ما أحل » .

وقال جعفر بن محمد الصادق [في] تفسير هذه الآية . وسبب نزولها قال : إن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أصبح صائما . فقال يا فاطمة : عندك شيء نفطر عليه ؟ قالت : نعم . هذه الحيسة قد عملناها لك . فجاء سائل سأله فقال : يا فاطمة أطعمي الحيسة هذا السائل . فأطعمته . ثم إنه عمل له حريرة ^(١) . فجاء يتيما قد استشهد أبوه فقال : أعندكم شيء تطعموني فأني جائع ؟ فقال علي : يا فاطمة أعندك شيء ؟ قالت هيأت لك حريرة لتفطر عليها . فقال : أطعميها [اليتيم] ففعلت . ثم إنها احتالت له شيئا من دقيق شعير ثم خبزت منه خبيرة ^(٢) ، فدخل عليه أسير فقال : إني جائع فهل أعندكم شيء تطعموني ؟ فقال : يا فاطمة . هل أعندك شيء تطعمين هذا الأسير ؟ قالت : هذه خبيرة خبزتها لك وقد حضر المساء . فقال : هاتها . فأخذها وأطعمها [الأسير] ثم قال عند المغرب أما من شيء يا فاطمة ؟ قالت : لا والله ما أعندنا شيء . قال علي : يا فاطمة . ما تقولين في عشاء الملائكة ؟ الذكر يأكلون والنور يشربون ، وعلى الدوام مزيهون . تعالى حتى نذكر الله ونسبحه . ففعل ذلك حتى دهمنى النوم فأنزل الله تعالى « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » فالهاء إشارة إلى الله تعالى يعنى على حبهم لله ، وقيل على حبهم للطعام . إلى قوله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ولا حسن ثناء بالقول .

قال أبو بكر بن يزداينار رحمة الله عليه في معنى الآية : إن القوم لم ينطقوا بذلك ^(٣) نطقا . وإنما اطلع الله على قلوبهم ، فعلم ذلك من نياتهم فأخبرنا ذلك ، وأثنى عليهم ومدحهم .

وأما الأخبار المستدل بها . فما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نية

(١) الحريرة . طعام يصنع من عسل وعجوة وحلبة .

(٢) تصغير خبزة . وهي خبز غليظ يدفن في الملة حتى ينضج .

(٣) أى بقولهم (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا .

المؤمن خير من عمله، ونية للفاسق شر من عمله . واختلف العلماء في معنى هذا الخبر وحكى عنهم أوجه .

قال أبو طالب المكي في معناه : لأن النية سر . وأعمال السر تضعف على أعمال العلانية بسبعين ضعفا ، ويقال إن العبد إذا ذكر ربه في نفسه، كتب الله ذلك بيده في صحيفته، فإذا عارض عمله مع الملائكة ، يزيد ذكر العبد إياه بقلبه ، فيقول الملائكة : ربنا . عمل هذا العبد كله ^(١) قد أحصيناه . وهذا لا نعرفه . فيقول الله : ملائكتي . إن هذا العبد ذكرني في نفسه فكتبته ^(٢) في صحيفته . فإذا كان يوم القيامة لم يكن لهذا الذكر جزاء دون النظر إلى وجه المذكور . فهذا أجل الوجوه في معنى الخبر . وقيل معناه لأن النية غيب لا يطلع عليه إلا الله ، وسائر الأعمال مشتركة بين رؤية الله ورؤية الخلق ، كما قيل : إن الملائكة تصعد بصحيفة العبد إلى الله، فإذا ابتدأ من قبل الله عز وجل ، ملائكتي : اكتبوا لهذا العبد كذا . اكتبوا له كذا . فيقول الملائكة : الهنا إنه لم يعمل شيئا من ذلك . فيقول الله : بل إنه نواه . فهذا يدل على أن النية لا يطلع عليها أحد إلا الله . وقيل معناه أن الله عز وجل ذكره، يهب النية للعبد خالصة لا يشوبها شيء ، ولا تدخلها آفة ، والأعمال يهب مع التخليط والشوب ، ومالا خلط فيه فهو أخير وأفضل مما فيه الخلط ^(٣) .

وكان مطرف بن الشخير يقول . صلاح العمل بصلاح القلب ، وصلاح القلب بصلاح النية ، ومن صفا صُنِّي له ، ومن خلط خلط عليه ، وقيل

(١) في الأصل (كلها) .

(٢) في الأصل (فأبْلَتْه في صحيفتي) .

(٣) هذا كله في تفسير السطر الأول من الخبر (نية المؤمن خير من عمله) أما الشطر الثاني (ونية الفاسق شر من عمله) فالمراد : أن الفاسق ينوى بعمله الازدياد من الدنيا ، أو نفاق الناس ، أو الاستعانة بظاهر العبادة على الخلق والإضرار بهم ؛ أو غش الناس بعمله : فهذا كله شر من العمل المقترن به .

معناه : أن النية من شروط صحة العمل ، ولا يصح إلا بها ، فالأصلح الأعمال إلا به ، هو خير من العمل . وقال قائلون معناه أن العبد إذا عمل عملاً صالحاً ذكر به ، ومدح وأثنى عليه ، وإذا نوى بقلبه ، ولم يمكنه القيام لاستعمال ما نوى ، ثم ذكر ذلك لم يثن عليه ولا مدح بما نوى ، وما نوى أكثر في الفوز ، وأعظم في الأجر ، بما يعمل ظاهراً ، فذلك معناه . وهذا لحديث أبي ضمضم لما جاءته النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة من الصدقة جاء كل واحد بما تيسر . ونوى أبو ضمضم بقلبه صدقة عرضه . فلما أصبح ، غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي عليه السلام : من المتصدق بعرضه البارحة ؟ ألا إن الله قد قبل صدقته . ثم جعل النبي عليه السلام [يقول] معظماً لفعله ، ومقللاً لفعل الصحابة : يعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم . ففي هذه آية للسائلين ، ومثله ما روى في خبر أن رجلاً مر على تل من الرمل ، في زمن مجاعة وقحط ، فتمنى بقلبه ، أن لو كان دقيقاً فتصدق به ، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم : قل له قد قبلنا صدقتك ، وشكرنا حسن نيتك ، وأجزينا لك من الفضل أن لو كان دقيقاً فتصدقت به . وهذا العبد لو كان هذا المقدار من الرمل دقيقاً ملكه ، ثم تصدق به ، لخاف على نفسه العلة والآفة في صدقته من مدح وثناء . وذلك نقصان في قرباته ، ولما نوى ذلك من غير مباشرة منه لذلك بجوارحه ، حصل له الأجر العظيم ، والثواب الجسيم ، مع التخلص من الآفة . فهذا معناه ^(١) . وقال قائلون معناه نية المؤمن للعمل الصالح قبل أن يعمله خير من العمل الصالح إذا لم تتقدم النية . وهذا كرجل صلى ركعتين ، ونوى إن عاش ألف سنة أن يفعل ذلك كل يوم ثم يموت . فربنا تعالى أعطى الأجر بنيته ذلك ، وإن لم يتصدق [و] ذلك بحسن نيته .

وقال أبو طالبر رحمه الله . النية خلد [ت] أهل الجنة [في] الجنة وخلد [ت] أهل الشرك [في] النار ، لدوام ثبات الموحدين على التوحيد مدى الأبد ،

(١) ومن نوى أن يعمل سوءاً فلم يعمله لم يكتب عليه وزره . للحديث ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه سيئة .

ودوام نية الملاحدين ما بقي الدهر ، فصار ذلك من معظم أعمال الفريقين .
فاستوجبرا الخلدن . وفي الخبر معنى غير هذا بأن يكون الكلام يتحلى
بالتقديم والتأخير أى نية المؤمن هى من عمله خير ، كأنه قال : بعض أعمال
الخير . وهذا كقوله : يسألونك كأنك حفي^(٢) عنها ، فأخر قوله عنها ، معناه
التقديم .

قال أبو طالب بالنية امتاز المنافقون من جملة المؤمنين لأن المنافقين
مؤمنون فى الظاهر ، ومحكوم لهم وعليهم بحكم الإيمان فى المؤمنين ، إلا أنهم
كانوا يراءون الناس ولا يذكرون الله بقلوبهم ، إلا أنهم يذكرونه بالألسنة
وذكر اللسان وإن كثر قليل ، وليس شئ من ذكر القلب بقليل ، فهذا ما جاء
فى تفسير معنى الخبر مستقصى فيه .
والخبر الثانى :

قال أنس بن مالك رضى الله عنه . لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم
فى غزوة تبوك قال . إن بالمدينة أقواما . ما قطعنا واديا ، ولا وطننا
موطئا^(٣) يغىظ الكفار ، ولا أنفقنا نفقة ، ولا نصبنا نصبا ، ولا أصابتنا
محنة ، إلا يشركونا [بنا] فى ذلك وهم فى المدينة ، قالوا وكيف يا رسول
الله وليسوا معنا ؟ قال : حبسهم العذر فاشتركوا بالنية . فانظر كيف حصل
لهؤلاء القوم أجر صدقة المتصدقين ؟ واجتهاد المجتهدين ؟ وقطع مفاوز
المسافرين ؟ حصل لهم هذه الأنواع من الطاعات وهم فى بيوتهم ، وعلى
أعمالهم وأولادهم وأهاليهم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله يختص
برحمته من يشاء ، ومثله قول النبى صلى الله عليه وسلم . أكثر شهداء أمتى
أصحاب الفرش . ولرب قتيل بين الصنفين الله أعلم بنيتهم .

الخبر الثالث :

قال أبو طالب المكي رحمه الله : لما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم

(٢) فى الأصل : حفياء . .

(٣) فى الأصل : موطئ . .

إلى المدينة جعل المؤمنون يهاجرون إليه من مكة، مع نيات مختلفة . فقوم نياتهم ديناً يصيبونها من رسول الله صلى عليه وسلم ، وآخرون نياتهم أن يعيشوا في جملة الفقراء من الصحابة ، وآخرون ينوون التزويج من نساء الأنصار، لما بلغهم من حسنهن وجمالهن ومواساتهن للأزواج ، وآخرون يحبون المرأة من المهاجرات، فيهاجرون رغبة في تزويجها ، وآخرون يستطيعون أرض المدينة وهواها ولذة العيش فيها ، فيخرجون تضجراً منهم . والمرأة تبغض زوجها فتخرج مهاجرة ، وآخرون يخرجون التماس رضا الله . ورضا رسوله ، فكانوا يخرجون إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع اختلاف هذه النيات ، فينحى ذلك على الصادقين من المهاجرين والأنصار ، ويدخلون في جملة اسم الهجرة . ويسمون المهاجرين . فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله . إنما الأعمال بالنيات . معناها لا عمل متقبل يرضاه [الله] ويرفعه ويحبه، إلا بالنية الصالحة الخالصة .

ثم قال للجملة من المخلصين الصادقين، ومن المخلصين الكاذبين^(١) [ألا] ولكل امرئ ما نوى ، فوكلهم في حكم سرائرهم إلى الوكيل ، إذ لم يرسله الله وكيلاً ، ولا حفيظاً ولا مسيطراً ، بل بعثه مبلغاً . ثم فسر القول وفصل الحكم، فقال . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، أى نصرة لدين الله ، لا مهاجراً ومجاهداً مع رسول الله ، فمجرته إلى الله ورسوله . أى فله ما نواه . رداً على قوله : ألا ولكل امرئ ما نوى من الخير . ثم قال في نية الشر ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فمجرته إلى ما هاجر إليه . أى فله ما نواه عطفاً أيضاً على محمل قوله . لكل امرئ ما نوى من الشر . قال ابن مسعود رضى الله عنه . هاجر رجل منا فتزوج امرأة تسمى أم قيس وكان يسمى مهاجر أم قيس .

وكذلك مثل هذا في الخبر الآخر. أن رجلاً من المسلمين خرج في غزاة

(١) أى المخلصين ظاهراً الكاذبين في نياتهم كالذين هاجروا الزواج أو ضجراً

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرآى رجلا من المشركين ، على حمار قد خرج للبارزة ، فطمع الرجل المسلم في حماره ، فخرج إليه فقتله الكافر ، (١) فكان يسمى شهيد الحمار بنيته ، وما يدل على أن نية الشر يؤاخذ الله العبد بها ، ما جاء عن ابن مسعود ، في تفسير قوله : ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم . قال : إن الله تعالى يعاقب العبد على إرادة الشر من غير عمل . لأن الله علق العذاب بالإرادة ، وهكذا قال غيره في همة الشر . إن الله يؤاخذ بها [و] اعتل بقوله : وهموا بما لم ينالوا . ثم قال بعده : فإن يتوبوا يك خيرا لهم فأدخل لهم في الذنوب و [أ] عقبها بالتوبة [وطلبها] .

وقيل للثوري أيؤاخذ الله العبد بالهمة ؟ يعني إذا كانت عما أخذ ، يعني إذا عقد فتوى فعلمها فهو العزيمة . وهو الذي أخبر الله جل ثناؤه ، أن في آدم عليه السلام لم يجر ذلك ، بقوله ولم نجد له عزما ، وفي حديث ابن أبي كبة عن النبي صلى الله عليه وسلم : رجل آتاه الله مالا ، ولم يؤته علما فتخبط في ماله بغير علم ، فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه لعملت فيه ، كما يعمل فهما في الوزر سواء .

قال أبو طالب : فالقلب أضعف شيء وأهونه ، وإنما قوته بقوة النية ، فإن قويت نيته في الخير قوى القلب بها ، وإن ضعفت نيته ، ازداد القلب ضعفا بضعفها (٢) ، وقال أبو طالب : وقد أغفل الناس علم النية ، وتركوا السؤال عنها ، كما غفلهم السؤال عن سيرة المتقدمين كيف كانت في كل شيء ، وكتركهم التفقد لها ، وكحاجتهم إلى علم التوبة وأحكامها ، والنية هي فرض الفرض ،

(١) في الأصل « في سبيل الله » ولا معنى له إلا بتعسف يأباه الشرع .

(٢) في حديث آخر « ومن هم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه سيئة » وفي كلام أبي طالب وجه للجمع بين الرأيين ، والتوفيق بينهما . فالعبد لا يؤاخذ على الهم بالذنب مؤاخذا فاعل الذنب ، وإنما يؤاخذ لتسببه في إضعاف قلبه ، بضعف نيته وبكثرة الهم بالذنب ؛ يمكن أن يقع العبد فيه ، فيؤاخذ حينئذ بالذنب ونواياه السابقة لأنها سبب في وقوعه في الذنب بعد ذلك .

وأصول الأصول ، وقد كان العلماء إذا سئلوا عن علم شيء أوسعوا في أمر ،
[قالوا] إن رزقنا الله نية فعلنا ذلك . قال أبو طالب المكي رحمه الله : وعلى
العبد ألا يترك العمل الصالح خشية دخول الآفة عليه إن كان داخلا فيه ،
لما يتغير به من العوارض والوساوس ، ولا يترك العمل لأجل الناس حياء
منهم ، ولا يترك العمل كراهية اعتقاد الناس فضله ، فإن فعل شيئا من ذلك
أدرك العدو بغيته منه . ووافق محبة عدوه ، وذلك لأن العمل لأجل الناس
رياء ، وترك العمل لأجل الناس شرك ، وترك العمل خشية دخول الآفة
فيه خبل ، وفعله مع دخول العلة عليه وهم وقصور علم ، وترك العمل
خشية اعتقاد الناس فضله عجز ، وما خلق الله تعالى داء إلا جعل له دواء .
وقال صلى الله عليه وسلم . لا يستكمل العبد إيمانه حتى يكون الناس عنده
كالأبعر ثم يرجع إلى نفسه ، فيراها أحقر حاقر .

وقال بعضهم : الخلق عند الطاعة والمعصية على ست طبقات . رجل
يستحي عند المعصية من الله ومن خلق الله ، فهذا مقام المؤمنين ، وآخر يستحي
من خلق الله ولا يستحي من الله ، فهذا مقام الظالمين ، وآخر لا يستحي من
الله ولا من خلق الله ، فهذا مقام الفاسقين ، وآخر عند الطاعة يستحي من
الله ، ولا يستحي من خلق الله ، فهذا مقام العارفين من المخلصين ، وآخر
يستحي عند الطاعة من خلق الله فيترك الطاعة ، فهذا مقام المنافقين ، وآخر
عند الطاعة لا يستحي من الله ، فنودي [ب] ما يجب عليه في ذلك ، ولا هو
يستحي من خلق الله . بل يعمل على الغفلة . فهذا مقام عموم المؤمنين من
أصحاب اليمين .

وقال أبو طالب المكي : ويدخل المطيعون في الطاعات . على ست
مقامات .

[١] [رجل [الأول] دخل في العمل لله ، وخرج منه الله ، وخلط بين
الدخول والخروج ، فهذا لا يضره ما بين ذلك ، [فقد] سلم طرف [١] العمل ،
وفي بعض الكتب : عهدي اذكرني قبل غروب الشمس ساعة ، وقبل طلوعها

ساعة، أكفك ما بينهما . و [ال] رجل [الثاني] . دخل في العمل لله ، وخرج من العمل لله ، وخلط بين ذلك . ثم بعد الخروج ، أحدث العلة ، فهذا يبطل عمله ويضل ^(١) سعيه ، وعلة هذا العامل من وجوه أربعة أحدها . يظهر فيصير علانية ، بعد أن كان سرا فيخسر خسرانا عظيما ، وهو سبعون ضعفا من الجزاء . [العلة الثانية] يذكره ثم يغيب ^(٢) عنه ، فيصير سمعة ورياء .

وقد قال أبو سليمان الداراني إن إبليس شيطانا يقال له المناقض . يعمل الإنسان الطاعة . فلا يزال يطالبه بالتحدث بها ^(٣) ، حتى يتحدث العامل بها ^(٤) بعد عشرين سنة ، فيأخذ منه نصيبه ، [العلة الثالثة] مثل أن يتظاهر به ويفتخر فيصير معجبا بعمله مدلا على ربه . والمدل والمعجب لا يرفع لهما ^(٥) عمل . (العلة الرابعة) أن يتكثر بعمله ويزرى على غيره ، فيحبط تكثره عمله قال أبو طالب : وهذه المعاني هي ^(٦) من سوء الخاتمة في العمل . إذ حسن الخاتمة يحتاج إليه في كل عمل وفي كل ساعة .

والرجل الثالث : يدخل في الطاعة لله ، وبعد التلبس ^(٧) دخلا [ت] عليه العلة في وسط العمل ، فخرج من العمل مع مساكنة العلة ، فهذا يبطل عمله بسوء خاتمته ^(٨) .

والرجل الرابع : دخل في العمل بآفة ، وخرج بالصحة ، فهذا سلم له عمله وميز بإجراء عمله لأنه توبة من الله ، وهو الفرق بينه وبين العامل قبله ، لأن هذا ختم عمله بالتوبة ، وذاك ختم عمله بالإصرار .

(١) في الأصل (ويضل) .

(٢) في الأصل (غاب) .

(٣) في الأصل (به) .

(٤) في الأصل (له) .

(٥) في الأصل (هو) .

(٦) في الأصل (التلبس) .

(٧) في الأصل (خاتمته) .

والرجل الخامس : يدخل في العمل لله، ويخرج منه لله، ولم تعتوره بين لك علة، فهذا فاضل^(١) جملة العمال، قد شاهد في عمله حرمة ذى الجلال .

الرجل السادس : وهو أعلى في الفضيلة من هذا . وهو الذى يدخل في الأعمال بالله ، ويثبت فيها مع الله ، ويخرج منها لله ، وهذا مقام الموحدين وحال المشاهدين من الموقنين ، فالأول درجة عموم المؤمنين ، والثاني درجة أهل الإصرار من المنافقين ، والثالث درجة أهل الخذلان من الظالمين والرابع درجة المقتصددين ، الخامس درجة خصوص المؤمنين ، والسادس درجة خصوص المخلصين من العارفين . ويؤت كل ذى فضل فضله . ولو شاء لهداكم أجمعين .

وقال يحيى بن معاذ : جسمى معيوب ، وقابى معيوب ، وخلقى معيوب ، ودارى معيوب ، أفتطالبنى أن أخرج من بين هؤلاء المعيوبين عملاً لا عيب فيه ؟ وعزتك لا أقدر على ذلك ألا بعزتك فأعنى .

وقال أبو طالب المكي : أفضل ما يأتى العبد في عمله ، ألا يريد بعمله إلا وجه الله وحده ، حبا لوصف الإلهية ، وتعظيما لحق الربوبية ، إلزاما للنفس بوصف العبودية . فإن حجب العبد عن شهادة هذا المقام ، لغيبة ذى الجلال والإكرام عنه ، فيعمل بمشاهدة ما رغب فيه ، وشوق إليه ، من مقام الرجاء . وخوفا مما حذر منه وخوف به [من] العذاب الأليم من^(٢) مقام الخوف^(٣) .

قال أبو طالب : وفرض على العامل أن يعرف النية من الأمنية، ويطلب

(١) فى الأصل (فاضل وجملة العمال) .

(٢) فى الأصل (عن) .

(٣) قال بعضهم : العمل على الرجاء أعلى من العمل على الخوف . ونرى أن ذلك يناسب حال صغار المريدين ؛ أما فى الوسط . فيجب أن يستوى الخوف والرجاء ؛ لأن الإفراط فى الخوف قنوط ؛ والإفراط فى الرجاء إدلال وكلاهما مذموم . وفى النهايات ؛ يغلب الخوف على كبار العارفين .

علم ذلك عند العلماء بالله، فالنية هي مباينة الهوى فيما أراد به العابد القربة إلى الله مما أمر به وندب إليه، أو أبيح له، في ترك ما تمنى عنه، مما يتعلق بشأن الآخرة، فهذه هي النية وهي التي يحتاج إليها المؤمن في عمله. فأما الأمنية فهي على ضربين. منها ما يكتب للعبد بها حسنة، وهو ما تمناه من القربات وغبط به الصالحين^(١) من الخيرات، كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق، فهذا إن تمنيت مكاتته كتب لك مثل فضله. والرجل الثاني: رجل آتاه الله حكمة فهو يعمل بها ويعلمها الناس. وفي خبر آخر رجل آتاه الله القرآن فهو يعمل به آتاه الليل والنهار، فهذا هو التنى المحمود والضرب الثاني من الأمنية، وهو ما يكتب به للعبد السيئات، وذلك كتمنيه أسباب الدنيا، وما فضل به أبنائها من الهوى والشهوات، وتتمنى المرأه أنها رجل ويتمنى السوقي أنه^(٢) ملك ويتمنى الوزير أنه أمير، والوضيع أنه شريف، ويتمنى الأعمى أنه بصير، ويتمنى المملوك أنه حر، ويتمنى الفقير أنه غني، أو يتمنى الرئاسة في الدنيا، وحسن سياسته للناس، ويتمنى رفعة الدنيا وفخرها، وذكر أهلها فيها. فهذه كلها ملحقه بالدنيا وهي مذمومة، وقد نهى الله تعالى عن ذلك في قوله، ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض يعني من أرزاق الدنيا، وأسباب الهوى، وهذا لا يعرفه إلا أهل المعرفة بالله. وقال صلى الله عليه

وهناك فرق بين الرجاء والتمنى. فإن كان السالك قد حصلت له بعض أسباب العمل سمي: رجاء وإن كانت الأسباب محرمة أو مضادة سمي غرورا. وإن كانت مجهولة. سمي تمنيا. فالرجاء. ارتياح القلب لا انتظار محبوب تمهدت أسبابه الداخلة تحت الاختيار كرجاء الغلة بعد تسبب الفلاحة (روضة التعريف. لسان الدين ابن الخطيب). مخطوط مصور بالجامعة العربية ١٤٣ تصوف. فلم.

(١) في الأصل (الصالحون).

(٢) في الأصل (أنها).

وسلم إذا تمنى أحداكم فليتنظر ماتمنى، فإنه لا يدري ما يكتب له من أمنيته . منها ما يكتب به الحسنات، ومنها ما يكتب به السيئات .

واعلم أن الأصل [في] الأعمال ثلاثة : مفروض . ومندوب إليه . ومباح . فمفروض فعله ومفروض تركه . والعمل ثلاثة :

عامل يعمل لإرادة وجه الله بغير نية الآخرة ، ولا تقربا إلى الله . فذلك يوضع يوم القيامة في ميزان السيئات .

وعامل يعمل غفلا وسهوا بحركة الجبلة ، وطبع الفطرة ، وإجراء العادة ، من غير نية الآخرة ولا [رعاية] لدينه فهذا أحسن أحواله أن يسلم منه كفافا لا له ولا عليه . وأسوأ أحواله أن يسأل ^(١) عن أعماله التي هي بهذا الوصف، ويوبخ ويقرع ^(٢) . فيقال له : ويحك ! أذهب [ت] وقتك غفلة ، وأفنيت يومك سهوا ، لا جعلته [لله] فترج . ولا نويت به الآخرة فتعطى منها ثوابا . وقد قال في محكم خطابه « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ، قيل في [معناه] مجازفة وسهوا . فهذا العمل . هو الذي ترتفع منه العبرة عند الميزان ، كما جاء في قوله تعالى « فجعلناه هباء منثورا » .

والعامل الثالث . هو الذي يخلص عمله فيعمل لله حياء وإجلالا ، أو رغبة أو رهبة ، أو لأجل ما أمر به ، فينوى أداء ما افترض عليه . أو لما ندب إليه ، فينوى المسارعة إلى الخير ، أو فيما أبيح لك فتسكون نيته صلاح قلبه ، وإسكان نفسه ، واستقامة حاله ، وذلك كله لأجل الدين قال يحيى بن معاذ . يموت التقى [بداء] لا يبرئه إلا العبور على جسر جهنم ، ويموت الزاهد بداء لا يبرئه إلا التلذذ بنعيم الجنة . ويموت الخائف بداء لا يبرئه إلا استماع البشارة من الله بلا واسطة . ويموت المحب بداء لا يبرئه

(١) في الأصل (سأل) .

(٢) في الأصل (وتقرع) .

إلا النظر إلى وجه الله ، ويموت العارف بداء لا يبرئه إلا المجالسة مع الله
والمسامرة مع الله ، في مقعد صدق .

وقال أبو طالب المكي . وعلى العامل أن يعرف تلبيساته الفرائض
بالنوافل ، والفضائل بالنواقص ، والسنن بالبدع ، حتى لا يقع فيما يكون
فيه هلاكة ، وهو لا يدري . وقد تلبس العبادة بالعادة ، مثل أن يكون للعبد
نية في علم أو عمل ، أو صدقة أو حضور مجلس ، ثم تعزب نيته فيبقى ^(١) على
عادته ، فرب حاله التي قد عرته ، لا يجب [معها] أن يخرج من عرف الناس له
فيعمل لا ستدامة الحال على التكلف لتلك الأعمال فتذهب النية ، وتبقى
العادة ، فيخرج بذلك من إرادة الآخرة والسعى لها ، فيدخل في إرادة الدنيا
بالشهوات ، على جريان العادة لها ، فمن هنا آفة العباد والعلماء . فاعرف الفرق
بين الحالين تنج من التوبيخ في الدارين .

قال أبو طالب رحمه الله . وقد يتلبس إظهار الأعمال ، وكشف ما كنتم
من الأحوال ، لأجل التأديب به ، ولإرادة الاتباع له ^(٢) ، ولإظهار قدرة
الله وآياته لمزيد السامع من المعرفة به ، يفعل مثل ذلك للتزين والفخر ، والمدح
به ، وطلب الذكر ^(٣) ، وقد جاء في مثل ذلك حكاية عن السلف الصالح . يجب

(١) في الأصل (فيبقى) .

(٢) في الأصل (عليه) .

(٣) على هذا الخطأ يسير كثير من مريدي طريق التصوف ؛ يواجه بعضهم
بعضا ببعض أنواع الكشف ، فربما قطعه عن الطريق . لعدم درايته بما يكشف عنه
وما لا يكشف عنه ؛ وعلامة من يفعل ذلك للتزين ؛ أن يغضب إذا نفيت عنه
ذلك ؛ أو جردته من وصف المعرفة .

وقد يواجه مريدوا طريق التصوف بعضهم بعضا بمواجيدهم في الذكر ابتغاء
التعليم في الظاهر وإرضاء لآفة خفية كامنة في النفس ، وعلامة كذب هذا النوع في
رواية الكرامات ، فإن أحدهم يجعل لنفسه قسطا في رواية الكرامة عن غيره ،
أوفي نقل أحوال من لقيهم من العارفين .

على العاقل العارف أن يميز بين الحالين، كقول الأحنف بن قيس وكان أحد العقلاء، مدحه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ووصفه بالعلم والبيان . قال يوما لابن أخيه وقد اشتكى ضرسه فجعل^(١) يكثر التشكى ويظهر التأوه ، فقال : كم تقول لقد ذهبت عني من أربعين سنة بذية التأديب . ولقي سفيان الثوري جعفر الصادق . وعلى جعفر جبة خز فقال ما هذا يا ابن رسول الله ، فأخذ بيده فأدخلها في جيبته فإذا تحتها عباءة ، فقال هذا لله . وهذا للناس ، فقد أظهر عمله الخفى لأجل نفي التهمة عن قلب أخيه المؤمن ، ومثل هذا ما جاء في الأثر أن مالك بن دينار والحسن البصري التقيا . وعلى مالك ابن دينار، صوف وبرنس ، وعلى الحسن حلة حمراء ، فقال الحسن لمالك . يا رويهب . فقال : نشدتك الله يا أبا سعيد . لو اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم . أكان يرضى لباسى أم لباسك ؟ فرفع الحسن ذيل جيبته ، فإذا تحتها^(٢) قميص شعر . ثم قال : وما أردناكم به أظهرناه ، وما أردنا الله به أخفيناه ؛ وقد أظهر عمله بعد ما كان كتمه ، ليخرج الأفكار من قلبه . وكان بعض الصالحين إذا أصبح يقول صليت الليلة كذا وكذا ، ركعت وقرأت كذا وكذا آية ؛ فيقول له أصحابه : أتتحدث بعملك ؟ فقرا . وأما بنعمة ربك فحدث . فهذا الإمام المشهور أظهر عمله كي يقتدى به أصحابه ، وينبسطوا لمثله ، ويقال . اعتل الجنيد والثوري فعادهما^(٣) جماعة من الفقراء . فأما الثوري ، فلم يشك ولم يظهر علمته ، وأما الجنيد فأظهر علمته ، فقبل له في

== وشيوخ الطريق هنا أحد نوعين ، إما جهلاء لا دراية لهم بالطريق وأعلامه ورسومه وقواطعه . وهؤلاء يزاحمون مرديهم على هذا الخطأ ، وهم أشد الشر على التصوف منذ ظهر إلى الآن ؛ وإما علماء أجلاء ؛ وهؤلاء يفضلون التربية الإيحائية عن بعد . لا عن تصريح وتوضيح بالتصريح .

(١) في الأصل (يجعل) .

(٢) في الأصل (تحته) .

(٣) في الأصل (فعاداهما) .

ذلك ، فقال : أردنا أن نكشف آثار قدرة الله فينا ، فلمذا أظهر علمته وشكى
ألمه ، ومع ذلك كان فاضلا في فعله لما استعمل من حسن النية فيه .

وقال ابن [أبي] الحواري : سئل الداراني عن الرجل يعمل الطاعة ، ثم
يخبر بذلك . فقال : إذا كان إماما يقتدى ^(١) به فتعم . فهذا مختلف باختلاف
العمال . وقال أبو طالب . وقد يعقد الجاهل على عقد يلتمس به الفضل ،
وذلك العقد نقص اغترارا بظاهر الأمر مثل ما روى أن رجلين على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخيا على العبادة ، واعتزلا الناس ، فقال أحدهما
لصاحبه . هلم اليوم فلننفرد عن الناس ولنزم الصمت . ولا نكلم من كلنا ،
فإنه أبلغ فيما يريد من القربة إلى الله تعالى ، فاعتزلا في خلوة وصمتا . فمر بهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلم عليهما . فلم يردا عليه السلام . فسمعناه
حين جاوز بنا يقول : هلك المتعمقون هلك المتنطعون . فاعتذرا إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وتابا إلى الله من ذلك . وكان رجل يختلف إلى مجلس
ابن عون ، وترك ذلك أياما وجلس في البيت ، فرأى ذات ليلة في المنام [قائلا
يقول] : انقطعت عن المجلس ، لقد غفر الله للقوم ^(٢) سبعين مرة بعد تخلفك
عنهم ، وحرمت ^(٣) ذلك . وقيل لبعض العلماء [أ] يتخلف الرجل عن الجماعة
إذا خاف الفتنة في دينه ؟ قال نعم : يصلي في منزله ، قيل له يتخلف عن
طلب العلم ؟ [قال] هو الوقوع في خوف الفتنة ^(٤) .

(١) أي يصلح الاقتداء به ؛ وإلا فكثير ممن صدروا أنفسهم لمشيخة الطريق ؛
دون شهادة حال ؛ أو صدق ؛ أو أجازة عارف ، يقتدى بهم مريدوهم ؛ وليسوا من
أهل لاقتداء ؛ ولئن يصلح الاقتداء من الشيوخ شروط عرضت لها كتب التصوف
في أبواب مستقلة .

(٢) في الأصل « القوم » .

(٣) في الأصل « أحرمت » .

(٤) أي التخلف عن طلب العلم لخوف الوقوع في الفتنة هو الوقوع في وزر
خوف الفتنة فعلا حيث قعد عن طلب العلم الذي به قوام العقيدة والعبادة ، وفرق =

قال أبو طالب رحمه الله : وقد تلبس الإرادة بالمحبة . والإرادة أن يريد وقوع الأمر . وقد لا يجب كونه ، أو يريد أيضا وجود ضده . والمحبة ما قهر العقل ، وغلب الوجد ، وخلا في مجامع القلب ، وكثره وقوع غيره ، ولم يرد فقهه .

قال يحيى بن معاذ : معاشر المرادين . لا تطلبوا الدنيا . فإن [كان] لا بد فاطلبوها ولا تريدوها ، [كان] فإن كان لا بد ، فأريدوها ولا تحبوها . فإن كان لا بد ، فأحبوها ولا تسكنوا إليها ، فإن الزاد منها ، والمقيل في غيرها . وقيل أراد الخالق خلق إبليس ولم يحب ذلك ، وأراد أن يخلق آدم وأحب ، والسعيد من اجتمع فيه الإرادة والمحبة . وحكى عن مالك بن دينار ، وهو مما يليق بهذا الفصل قال : خرجت من البصرة أريد الحج إلى بيت الله الحرام ، فلما بلغت مكة استحللت الطواف ذات ليلة ، فبينما أنا أطوف بالكعبة . وأنا منلذ بحلاوة الخلوة . فلما دنا قرب الفجر رأيت جارية تطوف أمامي وهي تقول . سيدى ومولاى بسكرى البارحة وخمّارى الساعة إلا غفرت لى ، فقلت : يا جارية . ما هذا الكلام فى مثل هذا المقام ؟ فقالت : يا مالك ما قلت إلا ما يليق بحالى . وهذه كلمة تصلح لى ولا تصلح لك ، فقلت واعجابه ! كانت المسألة واحدة فصارت اثنتين ، أخبرنى كيف عرفت [أنى] أنا مالك بن دينار ؟ وكيف صلحت الكلمة ، تصلح لك ولم تصلح لى ؟ فقالت : أما معرفتى بك ، فإن روحى وروحك التقيا تحت عرش الجبار ، فشم روحى روحك ، فعرفتكم حين رأيتكم وأما قولى إن هذه كلمة تصلح لى ولا تصلح لك ، فذاك لأنى أحب الله . وأنت تريد الله ، فما أبعد ما بينهما . ف[أماما] يعجبك من قولى ، فوالله ما قلت كذبا . شربت بكأس المحبة مسرورة^(١) ، فأصبحت فى ميدان الشوق مخمورة^(٢) ، ثم ولت وهى تقول :

= بين خوف الفتنة ، وهو الوقوع فى خوف الفتنة فملا .

(١) فى الأصل « مسرورا » و « مخمورا » .

أسقيتني كأسا فأسكرتني فمك سكرى لا من الكأس
 قطعني عن كل مستوحش أفيك بالعين وبالرأس
 قال أبو طالب المكي . وقد تلبس الحاجة بالشهوة ، فالحاجة ما اضطرت
 [إليه م] ما لم يكن منه بد ، ولا تستغنى بغيره عنه . روى [أن] إبراهيم
 الخليل عليه السلام ، قصد إلى باب صديق له في حاجة الدنيا ، ولم يقضها (١)
 له ، فجلس متفكرا حزينا ، فأوحى الله تعالى إليه : أن يا إبراهيم لو نجيتك
 بخا أنزلت حاجتك ، لقضاهما (٢) لك . فقال : إلهي علمت أنك الحاجة تبغض
 للدنيا ، فكرهت أن أعارضك بذلك ، فقليل له : يا إبراهيم . أو ما علمت أن
 الحاجة ليست من الدنيا (٣) والشهوة مزيد لذة واستدعاء فضل فاقة ،
 واجتلاب تقدم عادة ، ولقد أوحى الخبير إلى من كان يخالط الرماد بالشعير :
 يا داود . حرام على قلب محب للشهوات أن أجعله إماما للمؤمنين .

قال أبو طالب المكي رحمه الله . وقد يتطوع العبد بعمل يصنع به فرضا
 أو واجبا ، وإحكام الفرض يحوز السلامة التي هي الفضل ، وروى في
 مثل هذا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، تعسس ذات ليلة فاطلع من خلال
 باب ، فإذا شيخ بين يديه زق خمر وقينه تغنيه ، فتسور عليه . فقال : ما عندي
 نفسه (٤) ما أقبح بشيخ مثلك أن يكون على مثل هذا الحال . فقام إليه . فقال
 يا أمير المؤمنين . أنشدك الله إلا أنصفتني ، أتسكلم ؟ فقال له قل . قال إن
 كنت عصيت الله في واحدة فقد عصيته أنت في ثلاث : قال وما هي ؟ قال
 قد تجسست وقد نهاك [الله] عن ذلك ، وقد تسورت وقد قال الله تعالى :
 وأتوا البيوت من أبوابها ، وقد دخلت بغير إذن ، وقد قال الله تعالى ،
 « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلبوا على أهلها » . فقال

(١) في الأصل « يقض » ،

(٢) في الأصل « لقضاء » .

(٣) أي ليست معدودة من أمارات حب الدنيا ، لأنه لا بد منها لتقويم الحياة .

(٤) هكذا في الأصل .

عمر : صدقت ، فهل أنت غافر لي ذلك ؟ فقال غفر الله لك فخرج عمر وهو يبكي [وقد] علا ضجيجيه ، وهو يقول ويل لعمر إن لم يغفر الله له هذا الذنب ، أرى الرجل قد كان يخشى بهذا عن ولده وجاره وصبي منزله ، والآن يقول اطلع على أمير المؤمنين وراآنى . ويل لعمر وويل أمه ، إن لم يغفر الله له . ومثل هذا مما هو حال العبد وأولى به من حال غيره . ماروى أبو نصر التمار ، أن رجلا جاء يودع بشر بن الحارث . وقال : عزمت على الحج . فتأمر بشى ؟ فقال بشر : كم أعددت النفقة ؟ قال : ألفى درهم . قال : وأى شىء تبتغى بحجك ؟ نزهة أو تجارة أو اشتياقا إلى البيت ، أو هربا من عيالك ، أو استراحة من شوقك ؟ فعد عليه شهوات النفس ، أو تطلب به رضى الله ؟ قال : بل رضى الله [قال] فإن أصبت رضى الله وأنت فى منزللك وعلى معاشك ، وتكون على يقين [من] مرضاة الله ، أتفعل ؟ قال : اذكر لى . قال : اذهب فأصدقها فى فقير لسد فاقته ، أو فى أرملة تغنيها ، أو فى يتييم تفرحه ، أو فى مديون تقضى دينه ، وإن قوى قلبك أن تعطىها لواحد من فقراء إخوانك فافعل ، فإن إدخال السرور على قلب امرئ مسلم أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام . قم فأخرجها كما أمرنا ، وإلا قل لى ما فى نفسك . فقال : سفرى فيه قوى لى نفسى . فتبسم بشر وقال : المال إذا جمع [من] وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضى به وطرا تستريح إليه . وقد قال الله تعالى « إنما يتقبل ^(١) الله من المتقين » .

قال أبو طالب . ينبغى للعامل أن يكون له معرفة الفرق بين عمالين يشبه بعضهما بعضا . أحدهما طاعة مأجور عليها ، والآخر معصية معاقب على فعلها ^(٢) ، كالمداواة والمداهنة ، والعتاب والتوبيخ ، والغبطة والحسد ، والفراسة وسوء الظن ، والنصيحة والفضيحة . وشرح ذلك ، أن ما أردت به وجه الله والدار الآخرة ودافعت به عن دينه [هـ] ، وقصدت به سلامة

(١) فى الأصل (يقبل) .

(٢) فى الأصل (فعلة) .

أخيك من التأثم بك ، وسلامتك منه ، فهذا هو المداراة . وذلك يحسب للعبد^(١) في جملة صدقاته - كما قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم «مداراة الناس صدقة»^(٢) ، وأما المداهنة ، فما جلبت به دنيا وأردت به نيل حظ نفسك من التحبب إليهم ، وطلب الجاه عندهم . والعتاب ما كان في الخلوة . والتوبيخ لا يكون إلا في جماعة . ولذلك يعاتب الله أوليائه يوم القيامة فيلقى عليهم [م] كنفه . والغبطة أن تحب لنفسك ما رأيت من أخيك ، ولا تحب زواله عنه ، بل تفرح له به ، وتريد تبقيته عليه ، والمزيد له منه . والحسد ما أردت أن يكون مثل ذلك لك ، وأحببت زواله ، عنه وكرهت تبقيته عليه ، فهذا مكروه^(٣) فإن سعيت [إلى] ذلك بقول أو بفعل فهو^(٤) بغى ، يزيد على^(٥) الحسد ، وهو من كبائر المعاصي ، والفراسة^(٦) ما توسمته من أخيك بدليل يظهر

(١) في الأصل بحسب العبد .

(٢) ومن المداراة قوله صلى الله عليه وسلم : إنا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلغهم . بعد أن قال فيمن طرق عليه الباب بئس أخو العشيرة . فلما دخل فرش له رداءه صلى الله عليه وسلم ، وقد فسرهما ابن مفلح في كتابه (الآداب الشرعية) بأنها إظهار ما ليس في الباطن لدفع الشر ، كما سبق بيانه .

(٣) بل حرام من الكبائر .

(٤) في الأصل فهمي : وعدم الراغب الأصفهاني في «الذريعة» من الذين يسعون في الأرض فسادا وجعل حدهم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينقوا من الأرض .

(٥) في الأصل يزيد عليه الحسد .

(٦) هناك فراسة الفلاسفة ، وفراسة الكشف عند الصوفية . ولا يعترض بظهور صدق فراسة الفلاسفة فيقال . لا فضل للتصوف أو إنه مقتبس منها . فالحقيقية مبروزة على الجميع ليفقه منها من يريد كما يريد وهي بحملتها محجوبة عن غير الصوفي لأنه يعمل جاهدا على إزاحة الحجب عن روحه حتى يصدق جذبا للحقائق . أما وجود أجزاء منها عند غير الصوفي فجائر من باب الرياضات والتأملات العميقة —

لك أو شاهد يبدو منه ، أو علانية تشهدا منه ، فتتفرس ذلك فيه ، ولا تنطق به إن كان سويا ولا تظهره ، ولا تحكم عليه ولا تقطع به ، فتأثم . وسوء الظن ما تظنه من ^(١) سوء رأيك فيه ، أو لأجل حقد ، في نفسك عليه ، أو لسوء نية تكون منك وحسد ، كان من أخبث حال فيك ، تعرفها من نفسك ، فتحمل حال أخيك عليها ^(٢) ، أو تصديق بلاغة جاهل ، أو حاسد ، والنصيحة ما كان بين العبد وبين أخيه في السر ، والفضيحة ما كان في الجماعة والملا ، كما قيل لمسعر بن كدام ، تحب من يخبرك بعيوبك ؟ فقال . إن نصحتني فيما بيني وبينه فنعم ، وإن فضحتني في الملا فلا .

باب تهريف العقائد والأعمال وتحصيل نيات كثيرة في محمل واحد

قوله جل ذكره « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » قال ابن أبي حبيب في معنى الآية : هؤلاء أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا لا يأكلون طعاما يلتمسون به تسمنا ، ولا يلبسون ثوبا يلتمسون به خيالا ^(٣) ، ولا ينفقون نفقة يلتمسون بها ^(٤) حمدا وثناء ، وكانت قلوبهم على قلب رجل واحد . وفي الخبر من أعطى الله ، ومنع الله ، وأحب الله ، وأبغض الله ، وآنكح الله ، فقد تم له ولاية الله .

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ، كل لله والبس لله ، وآنكح لله

=(راجع ، شرح المشاهد . لعجم نيت النفيسي . مخطوط بدار الكتب . والتدبيرات الإلهية للشيخ الأكبر . ليدن) .

(١) في الأصل (في) .

(٢) قد يستغل بعض المنافقين لانفسهم هذا التعليل فيرمون به كل من تقدم أووجه إليهم لوما في عمل من الاعمال .

(٣) في الأصل (خيالا) .

(٤) في الأصل (به) .

ونعم لله ، ولا يضرك^(١) . وفي خبر معاذ بن جبل رضى الله عنه قال له النبي صلى الله عليه وسلم ، يا معاذ . إن العبد ليسأل يوم القيامة عن جميع سعيه^(٢) ، حتى كحل عينيه ، وعن فتات الطينة بأصبعيه ، وعن لمس ثوب أخيه ، ما أردت بذلك ؟ وقوله عليه السلام : إن الله ليسأل العبد يوم القيامة عن جميع عمله حتى يسأله عن اللقمة أكلها ، فوجد لذتها . وملبسه ، ومنكحه ، ونومه ، ويقظته ، وسكوته ، ونطقه ، وحركته ، وسكونه ، من حيث كان كل ذلك من أعماله التي يسأل عنها ، ويحاسب عليها . بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم ، ليسأل العبد عن فتات الطينة لأ [ي] شيء فعلت ذلك ؟ وعن لمس الرجل ثوب أخيه لماذا فعله^(٣) ؟ فسبحان الله ما أعظم الخطر وأقل الحذر وأكثر الغافلين ، وأقل المتيقظين . إن هذا هو البلاء المبين . وقال بعض السلف تفقدوا النيات في أعمالكم . فكم من عمل كبير قد صفر [ت] به النية . وأنا أشرح لك بعد هذا إن شاء الله ، مبدأ دخول العبد في العمل ، ومعرفة افتقاد بيان اعتقاد النية ، وتصريف العقود في العمل الواحد ، ليحصل له

(١) الأكل لله يكون بنية القوة على العبادة وتربية النسل . واللبس لله يكون بنية إظهار نعمة الله والتحدث بها وإنعاش الروح لتصفو العبادة من الأكدار ، والنكاح لله يكون بنية العفة والإعفاف . والنوم لله يكون بنية استعادة النشاط والقوة للقوة على العبادة ، وطلب العلم والسعي في الخير ، فإذا استعملت هذه الأشياء في ضد هذه المعاني ، كالقوة على الایذاء ، والخيلام ، والشهوة ، والراحة . كانت إثماً . فكل عمل غادى مباح . يمكن تحويله إلى عبادة ، ويمكن تحويله إلى عصيان ويمكن ألا تكون منه فائدة إذا عمل بغير نية وهذا من تعليم أستاذنا سيدى مصطفى الشبراوى المؤكدة .

(٢) فتات الطينة بين الأصابع إن كان إهمالا في النظافة فهو نقص في الإيمان ، وإن كان للعمل في الحصول على العيش وتربية الأولاد أو لنفع الناس ، أو لاستغراق الوقت بالعمل . فهو عمل مثاب عليه .

ولمس ثوب أخيك ، إن كان للتجسس على نوع ملبسه أو حسدا له . فهو وزر . وإن كان لادخال السرور عليه فهو عمل مثاب عليه .

أنواع من الثواب ، وأكشف لك من ذلك طرقاً ، ليستفيد الناظر فيه ، ويكتفى به العارف المخلص فيه ، ولا قوة إلا بالله .

باب نية الاختلاف في المساجد

والاختلاف إلى المساجد هو من فواضل أعمال المتقين ، وبه أظهر الله إيمان المؤمنين . وينبغي للعبد المؤمن ، إذا خرج من منزله يريد أن يدخل المسجد أن يحصل له ثمان نيات مستحبات ، ليكتب له بذلك الفضل العظيم وينال به غداً من الثواب الجسيم ، فإن الأعمال بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى ، ويؤت كل ذي فضل فضله .

أولها (١) . ينوي زيارة الجليل جل جلاله في بيته ، لأن المسجد بيت الله وأنت عبد الله ، وإذا أراد العبد صاحب البيت ليلتقي معه قصده إلى بيته . وطلبه هناك ، وقد أخبرك الرسول صلى الله عليه وسلم بفضل ذلك ، فقال في حديث سليمان : ما من مسلم توفياً أحسن وضوءه ، ثم أتى مسجداً من مساجد الله ، إلا كان زيراً لله ، وحق على المزور أن يكرم الزائر ، ولو أن عبداً مثلك عاملته بالقييح من فعلك ، ثم قصده إلى بيته ، معتذراً إليه لا كرمك وقربك ، وعفا عنك ، ولم يرض لك [الجفاء] عند ذلك ، فكيف بالله العظيم ، وهو أكرم الأكرمين (٢) ١١ وينبغي [أن] يتعين (٣) أن مضيه إلى بيت ربه ، هو بتوفيق الله وعنايته ، ولولا أن الله يريد بهذا العبد الكرامة والآلة ، لما كان يوفقه لزيارته في بيته . وقد جاء عن الموفق الزاهد ، حكاية لطيفة في معنى هذا قال : لما تم لي ستون حجة ، قعدت بحذاء الميزاب في المسجد الحرام ، [و] جعلت أتفكر وأقول : إلى كم أتردد إلى هذا البيت ؟ فغلبت عيناي ، فإذا قائل يقول : يا موفق . لو كان لك بيت تجمع فيه أضيافك ، هل كنت تدعو إلا من كنت تحبه ، ويحبك ؟ فسرى عني ما كنت أجده . وعن ابن عمر رضي

(١) في الأصل (أوله) .

(٢) في الأصل (الأكرمين) .

(٣) في الأصل (تفنن) .

الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسلم المسجد فقال بسم الله وبالله والصلاة والسلام على رسول الله وعليه السلام ورحمة الله . قال له ملكاه : وأنت فصلى الله عليك . قد جئت بأحسن الكلام بعد لا إله إلا الله .

النية الثانية :

ينوى أن يحصل له بفعله ذلك عند ربه عهد ، فيكون [من] أهل الإكرام والشفاعة [عند الله تعالى] ^(١) كما قيل في معنى قوله « لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا » . قال الصلاة في الجماعة ، وقد روى عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه . قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن سبعة ، فقال : هل تريدون ما قال ربكم ؟ قلنا الله ورسوله أعلم . قال : فإن ربكم يقول . من تطهر في بيته ، ثم مشى إلى صلاة تعظيما لحقها ، ورغبة فيها ، وإشارا لها على غيرها ، فله عندى عهد ألا أعذبه أبدا .

النية الثالثة :

ينوى [ال] ازدياد فيما يتحسر أهل الجنة [عليه] في الميعاد ، كما روى في الأثر ، أنه قيل لابن عباس رضى الله عنه ، هل يتحسر أهل الجنة إذا دخلوها على شيء ؟ قال : لا يتحسرون إلا على الغدو والرواح إلى المسجد ، ليت أنهم ازدادوا من ذلك لأنهم بذلك كسبوا دخول الجنة ، والنعيم المقيم . فيا أيها العامل تقدم قبل أن تندم فلا ينفعك الندم . ماذا تظن يسعى أقوام يتحسر أهل الجنان على فوت ذلك [منهم] ، انقطاعهم عنه . مع ما [هم] فيه من النعيم والكرامة ، في جوار الملك العظيم ؟ وقال صلى الله عليه وسلم : من غدا أو راح إلى المساجد ، أعد الله له في الجنة منزلا ، كلما عدا أو راح . وكان بعض الصالحين إذا راح بعد صلاة العشاء إلى منزله ، كثيرا ما يقول . نروح ونغدو كل يوم وليلة فعما قريب لا نروح ولا نغدو

وقال الله تعالى ليلة المعراج للرسول صلى الله عليه وسلم هل تدري فيماذا

(١) في الأصل (فيكون أهل الإكرام والشفاعة عبدا) .

يختصم المملأ الأعلى ؟ [قال لا] قال : في الكفارات والدرجات . قيل فما هي ^(١) قال : أما الكفارات : فمكث إسباغ الوضوء بالماء البارد . عند السبرات ^(٢) ، ونقل الأقدام إلى المساجد للجماعات ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ^(٣) . وقيل : إذا خرج العبد من بيته يريد المسجد ، جعل الله مواضع أقدامه من الأرض إلى [ال] تخوم السفلى في كفة حسناته يوم القيامة ^(٤) .

النية الرابعة :

ينوي المسابقة إلى بيت المولى ، وسرعة الإجابة للنداء ، والمبادرة إلى إقامة العبودية ، ليحصل له عظيم الأجر والمثوبة ، إذ ليس من أتى زائراً قبل الدعوة ^(٥) .

وقيل في معنى قوله « سابقوا إلى مغفرة من ربكم » ، يعني سابقوا إلى المساجد . فإن فيها تنالون مغفرة ربكم . ويقال لا تكونن كالعبد السوء لا يأتي مولاه إلا إذا دعاه ، ولكن اتوا الصلاة قبل الدعوة ، وشرار أمتي الذين ينتظرون الإقامة ، وخيار أمتي الذين يأتون الصلاة قبل النداء .

(١) في الأصل (هو)

(٢) السبرات جمع سبرة وهي الضحوة الباردة .

(٣) ليس هذا تعطيلاً لأعمال العمران كما يدعى بعض النقاد ، فالمراد بهذا العمل من لا عمل له ، أو الإنسان وقت فراغه من العمل ، ولهذا لم يوجب الإسلام نية بذاتها فجعل لكل نوع من الناس مجالا للاختيار .

(٤) وهل الأعمال أجساد مادية توزن كما توزن الأثقال في الدنيا ؟ وكيف يوضع جزء من الأرض في ميزان الله تعالى ، والمراد المعنى الرمزي التصويري . لعظم الثواب .

(٥) قد يسارع العبد إلى المسجد لانية إجابة دعوة الله . بل بنية أداء الفرض على سبيل العادة والفرق بينهما أن نية أداء الفرض قد يصحبها التثاقل ، أو المكث بمقدار الصلاة ، ونية إجابة الدعوة تكون بالعكس .

وقالت عائشة رضى الله عنها . كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحدث معنا ، ويعمل في البيت كأحدنا ، فإذا سمع الأذان قام كأنه لم يعرفنا قط ، اشتغالا بحرمة (١) الصلاة .

وقال على رضى الله عنه : من سمع النداء . حى على الصلاة فلم يجبه . من غير عذر لم تقبل صلاته (٢) ، ويقال : إذا كان يوم القيامة ، أمر بطبقات المصلين إلى الجنة زمرا . فتأتى الزمرة الأولى ، وجوههم كالسكواكب الدر [به] ، فتلقاهم الملائكة ، فيقولون : من أنتم ؟ فيقولون : نحن المصلون . فيقولون : وما كانت صلاتكم ؟ فيقولون : كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة ، لا يشغلنا غيرها ، فيقول الملائكة يحق لكم ذلك ، ثم تأتى الزمرة الثانية . فوق أولئك فى الحسن والجمال كأن وجوههم القمر ليلة البدر . فيقول الملائكة ما أنتم ؟ فيقولون : نحن المصلون ، فيقولون : وما كانت صلاتكم ؟ فيقولون : كنا نتوضأ للصلاة قبل دخول الوقت ، فيقول الملائكة يحق لكم ذلك . ثم تأتى الزمرة الثالثة . فوق هؤلاء فى المنزلة من الحسن والجمال ، وجوههم كالشمس الضاحية فيقول الملائكة : أنتم أحسن وجوها ، وأعلى مقاما ، وأعظم أنوارا ، فما أنتم ؟ فيقولون : نحن المصلون . فيقولون : وما كانت صلاتكم ؟ فيقولون . كنا نسمع الأذان ونحن فى المسجد ، فيقول الملائكة يحق لكم ذلك .

وقال أبو أمامة : إن لله ملائكة سياحين فى الأرض ، معهم رايات ، فيركزونها على أبواب المساجد ، ويكتبون الناس على قدر منازلهم فى التقدم والتأخر .

النية الخامسة :

ينوى أداء الأمانة إلى الله فيما اقترض الله عليه ، وأخذ عليه ، الميثاق يوم

(١) فى الأصل (إشغالا لحرمة الصلاة) .

(٢) هى صلاة لا يسأل العبد بعدها . لم لم يؤد الصلاة ؟ ولكن لامثوبة عليها

ولا أثر لها فى النهى عن الفحشاء والمنكر ولا عمل لها فى ترقية الروح بالمناجاة .

الذر ، وأشهد عليه ، فيؤدى إليه الفرض في أحب البقاع إليه ، وذلك المساجد
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الله جل ثناؤه : لا ينجو منى عبدى
إلا بأداء ما افترضته عليه . وفى الحديث الآخر يقول الله تعالى : ما تقرب
المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ، وكان على بن أبى طالب رضى الله
عنه إذا سمع النداء بالصلاة تغير لونه ، وتقلقل فى موضعه ، فيقال له فى ذلك .
فيقول : حضر ^(١) وقت أداء الأمانة العظيمة ، التى عرضها الله على السموات
والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، إنه كان
ظلوما جهوريا ، بقدر الأمانة . فلا ندرى هل نقوم بأداء ذلك أم لا ، وكان
أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول : ما حضر وقت صلاة قط ، إلا نادى
الملائكة : معاشر المؤمنين . قوموا إلى نارك التى أشعلتموها على أنفسكم ^(٢)
فأطفئوها عليكم بالصلاة . وقيل إذا أذن المؤذن ، أصغت الدواب وذوات
الاجنحة بأسماعها إلى ذلك ، وخشع لذلك كل شىء ، إلا الإنس والجن ^(٣) . وكان
على رضى الله عنه إذا دخل فى الصلاة وقع عليه الرعدة والخوف ، فيقال له
فى ذلك فيقول ^(٤) فريضة من فرائض الله تعالى ، لا أدرى [أ] يتقبلها منى ،
أم يضرب بها وجهى .

النية السادسة :

ينوى عمارة المسجد بصلاته ^(٥) ، ليكون ممن شهد الله له بالإيمان ،

- (١) فى الأصل « حضرت » .
(٢) إنما أشعلوا النار على أنفسهم بتكرار مخالفتهم بين الصلوات ، واقتزافهم
للصغائر والمكروهات أو بتصديهم لتحمل الأمانة .
(٣) لا مانع مطلقا من أن يكون للحيوان حواس أشد حساسية من حواس
الإنسان ، كالشم فى القطط والإحساس بالزلزال قبل وقوعها فى السكاب والخيول .
فلا مانع من شعورها برهبة النداء للصلاة ، من باب الإلهام وارتباط الحواس
الظاهرة بالباطنة .

(٤) فى الأصل (قال) .

(٥) فى الأصل (بصلاة) .

وبما أوعد ووعد ، فبصير من خواصه وأهله . كما قال الرسول عليه السلام :
إذا رأيتم الرجل يعتد بالمساجد ، فاثمدوا له بالإيمان ، لأن الله تعالى يقول
« إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » ، وقال صلى الله عليه
وسلم « إن عمار بيوت الله هم أهل الله » ، وعن عبد الله بن عمر قال : ينادى
المنادى يوم القيامة أين دعاة الشمس ؟ [ف] يأتى بالمؤذنين ، ثم ينادى .
أين جيرانى ؟ فيقول الملائكة : ومن ينبغي له أن يكون جاراً . فيقول : أين
عمار مساجدى ؟ فيغشون النور ويجلسون على منابر من النور . عن أنس
ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، إن الله تبارك وتعالى يقول : إني لأهم
بعذاب نخلتى ، فإذا نظرت إلى عمار بيوتى ، والمتحابين فى ، والمستغفرين
بالأسحار ، أصرف عنهم العذاب ، وفى رواية ، إذا نظرت إلى عمار المساجد
بذكرى ، وجلساء القرآن ، وولدان الإسلام ، سكن عند ذلك غضبى . وفى
رواية : فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من أجلي صرفت
عنهم العذاب .

والنية السابعة :

ينبى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ليكون من خواص عباد الله ،
الذين باعوا أنفسهم لطلب مرضاة الله ، فتأتيه البشارة غداً من عند الله ،
كما قال . « الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » ، والحافظون ، لحدود
الله ، وبشر المؤمنين ، فإذا أمر العبد إخوانه من أهل المسجد بتسوية صفوف ،
وبإتمام ركوع وسجود ، وبالتقدم إلى الصف الأول ، وبخلع النعال عند
باب المسجد ، وبوضع^(١) اليمين على الشمال ، ونحو هذا ، ونهاهم عن الالتفات
فى الصلاة ، ورفع الصوت بالقراءة ، وترك الخشوع ، والتخطى لرقاب
الناس ، وعن إنشاد الضالة فى المسجد ، والتحدث بأحاديث الدنيا ، والضحك
والهزل والمزاح والسخرية والشراء والبيع والخسومة ، ونحو هذا ، فإذا

(١) فى الأصل (ويضع) .

استعمل هذا ، فقد أخذ بحظ وافر من حظوظ الأمرين بالمعروف ، والناهيين عن المنكر ^(١) .

وعن أبي أمامة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : جنبوا مساجدكم الصبيان ، وجانبتكم ، وخصوماتكم ، ورفع أصواتكم ، وسل سيفكم ، وإقامة حدودكم في الجمع ^(٢) . ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إنشاد الضالة في المسجد ، وقول الشعر فيه ، وأمر بأن ^(٣) يرد على منشد الضالة « لا رد الله ضالتك » وعلى قائل الشعر « فض الله فاك » ^(٤) ، وأتى عيسى بن مريم على قوم يتبايعون في المسجد ، فجعل رداءه لفافاً ، ثم جعل يسعي عليهم ضرباً ، وهو يقول : يا أبناء ^(٥) الأفاعى اتخذتم مساجد الله أسواقاً . هي سوق الآخرة .

وقال صلى الله عليه وسلم « لا يتقى هذه المساجد إلا من رضى الله عنه ، ومن رضى الله عنه ، فله الجنة . وسيأتى على الناس زمان يتخلفون في مساجدكم ليست لهم همة إلا ذكر الدنيا . فإذا كان ذلك الزمان فلا تجالسوهم ^(٦) فإنه ليس لله فيهم حاجة » وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قوما يذكرون

(١) وليس من هؤلاء من يذهبون للمساجد ، بغية الظهور على غيرهم ، والتصدر للإمامة . والوعظ على سبيل التعالي عن الناس .

(٢) أى داخل المساجد في صلاة الجمعة . أما عقب الصلاة خارج المسجد وبين جميع المصلين لأرهاب من تسول له نفسه العبث بقانون الشريعة فلا شيء فيه .

(٣) فى الأصل (بالآ) .

(٤) أى خلا فك من الأسنان حتى تصبح مشوه النطق . بغرض المنطق .

(٥) فى الأصل (يابن) .

(٦) عدم مجالستهم . إما لعدم تشجيعهم . أو الخوف من استحقاق آلام الفتنة . قال تعالى « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » أو خوف العدوى منهم .

تجارتهم في المسجد ، فقال : إنما بنيت هذه المساجد لذكر الله . فإذا ذكركم
تجارتكم ودنياكم فاخرجوا إلى البقيع .

النية الثامنة :

ينوى الهرب من الدنيا إلى الآخرة ، ومن تجارة الهوى إلى تجارة
التقى ، ومن سوق الخسران إلى سوق الرضوان ، ومن أبناء الدنيا إلى إخوانه
من أبناء العقبي ، قال الله تعالى « ففروا إلى الله » وقال بعضهم في معنى قوله
« ومن دخله كان آمناً » قال هي المساجد ، وقيل هي مكة والحرم ، وقيل هي
الجنة . ولا ينجو العبد من المخاطرة ، ولا يتخلص من الهلكة ، إلا إذا
حصل بقدميه في الجنة ، وقال صلى الله عليه وسلم « خير البقاع المساجد ،
وخير الناس أهلها ، وخير أهلها أولهم دخولا . وآخرهم خروجاً » .

وقال بعضهم في معنى قوله : « ومن دخله كان آمناً » قيل المساجد . من دخلها
فهو آمن من فتنة إبليس وجنوده ، لا يستطيع أن يوقعه في المعصية [١] .
بها (١) . [و] ليس للعين بعد حصول العبد في المسجد ، إلا الوسوسة من بعد ،
فإذا دفع العبد ذلك كله . وبكر . حصل له الفوز العظيم .

وقيل حصون المؤمن من إبليس أربعة : المساجد ، وقراءة القرآن بالتفكير
فيه ، والصلاة ، والنظر إلى وجه العالم الزاهد ، وخيرهن النظر يقع عند
الوسوسة (٢) . وفي القراءة لا يكاد ينجو من (٣) [ذلك (٤)] ، وقال بعض
الحكماء : إذا خرج العبد من المسجد ووضع رجله على بساط الباطل ،
انتشر [ت] حلاوة الدنيا في ثلاثمائة وستين عرقاً من جسده ، ذات سم من لدغ
في جسد الملوغ ، لا يشهد لك إلا أهل المعرفة بالله تعالى (٥) .

(١) في الأصل « به » .

(٢) في الأصل « عن » .

(٣) أي من الوسوسة .

(٤) النظر إلى الزاهد عند الوسوسة يبرئ من هذا المرض اللعين ، والعالم
الزاهد يتخذ وجهه سمّاً هادئاً جازماً يجمع شتات الإنسان .

باب النية في جلوس

العبد في المساجد والقعود فيها

والقعود في المساجد من أفضل شأز الدين ، وفضائل أعمال المتقين ،
ورفع درجات المحسنين ، ولا يدوم على ذلك إلا أهل الإخلاص من
المؤمنين ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « المساجد بساكن المؤمنين
والمنافق في المسجد كالطير في القفص »^(٦) ، وكما قال الحكيم ، الصبر في الخلوة
من خصال المخلصين ، وهو علامة وجود الطريق ، وينبغي للمؤمن إذا قعد
في المسجد ، أن ينوي بقعوده اثني عشرة نية . مستحبة ، ليكتب له بكل نية
جزاء وافرا ، ويعطى ثوابا عظيما ، ويفوز به فوزا كبيرا ، فإن الأعمال
بالنيات ولكل امرئ ما نرى ، وأنا أشرح لك ذلك^(٧) .

النية الأولى :

ينوي الصلاة في الجماعة . والمحافظة عليها ، يحصل تضعيف الأجر
والثواب ، كما جاء في الخبر ، عن الناطق بالصواب رسول الملك الوهاب ،
صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته وحده
[ب] سبعة وعشرين صلاة ، فينوي بجلوسه طلب المزيد .
قال أبو هريرة رضي الله عنه : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٥) يغلب أن يميل الناس عقب الخروج من المساجد إلى الدعة والفراغ ،
فيجتمعون في المحال العامة المجاورة للمساجد . ولا يتحدثون عن الصلاة
بمقدار ما يتحدثون عن هذه الندوات . وهذا تعبير ظاهري للشعور بخلوة الدنيا
أما السلوك الحق ، فالخلوة مع النفس والتأمل . وتفقد صحة شروط العمل ونيته .
وغير ذلك من أبواب محاسبة النفس .

(٦) والعلة واضحه ؛ لأنه لا غاية له إلا أن يراه الناس في المسجد . فوجوده
بعد ذلك في المسجد حرج شديد يجعله في صورة الطائر الحبيس .
(٧) في الأصل « أشرح لك ذلك . هي » .

على المنبر وكانت آخر خطبة خطبها فقال : يا أيها الناس . من صلى الصلوات الخمس في الجماعة حيث ما كان في أوقاتها ، جاز على الصراط كالبرق اللامع ، في أول زمرة مع السابقين ، وجاء يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر ، وكان له بكل يوم حافظ عليها [فيه] أجر قتيل في سبيل الله ، وقال كعب : إنا لنجد^(١) في التوراة أن صلاة العبد لتضعف في الجماعة كعدد من يشهد بها ، إن كانوا ألف فألف درجة^(٢) وقال الشعبي . في الجماعة أربع خصال : اتباع السنة ، وتضعيف الثواب ، والخروج من السهو ، والبراءة من الرياء .

النية الثانية :

ينوى موافقة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال إن الله قد سن لنبيكم سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو صليتم في بيوتكم كما صلى هذا المتخلف إذا تركتم سنة نبيكم ، وضللتم ، وقال عليه السلام « من أحى سنة من سنن فأنا شفيعه يوم القيامة » وقال صلى الله عليه وسلم : ينادى كل يوم ملك من المدينة ، من ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حرم الله عليه شفاعته يوم القيامة .

النية الثالثة :

ينوى مكاثرة جمع^(٣) المسلمين ، ليحصل له الفضل العظيم ، فيصير من جملتهم . وإن كان عند نفسه من المخلفين . كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « من كثر سواد قوم فهو منهم » وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالسواد الأعظم ، فإن الذئب يأخذ القاصية والشاردة » على معنى الحديث . وفي خبر مجالس الذكر في المساجد يقول الله تعالى . ملائكتي هم القوم لا يشقى جليسهم .

(١) في الأصل « إنا لنجدى » .

(٢) إذا كان في نيته مع ذلك تكثير عدد المسلمين .

(٣) في الأصل « بجمع » وهو تحريف .

النية الرابعة :

ينوى المراقبة بانتظار الصلاة بعد الصلاة . كما قيل في تفسير قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا . يعنى المراقبة فى المساجد ، بانتظار الصلاة بعد الصلاة . وقال صلى الله عليه وسلم [أ] لا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ، قالوا : بلى يا رسول الله . قال : كثرة الخطى إلى المساجد ، وإسباغ الوضوء فى المسكاره ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط . وقال صلى الله عليه وسلم : منتظر الصلاة بعد الصلاة كفارس يشد به فرسه فى سبيل الله على كشحه ^(١) صلى الله عليه وملائكة السماوات ما لم يحدث ^(٢) . أو يقوم فى الرباط الأكبر .

النية الخامسة :

ينوى به كف سمعه وبصره ولسانه وجوارحه عن النهى . وترهبه بالجلوس فى المسجد ، كما جاء فى الخبر أن عثمان بن مظعون ، رضى الله عنه جاء النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله . إن الأرض قد ضاقت بى إلى ما تدعونى إليه نفسى وتأمرنى [به] قال : وماذا تأمرك به نفسك ؟ قال : يا رسول الله . إنها تأمرنى بالترهب . قال . فملا يا عثمان . فإن الترهيب فى أمتى انتظار الصلاة بعد الصلاة ، وفى رواية أخرى . أنه توفى لعثمان ابن مظعون ابن ، فجلس فى البيت . فنصب محرابا وترك المسجد [ف] تفقد [هـ] النبى صلى الله عليه وسلم ، فدعاه فقال : يا عثمان . أو علمت أن الله قد حرم على أمتى الرهبانية ؟ وأن رهبانية أمتى الجاوس فى المساجد ؟ . وقال أنس ابن مالك رضى الله عنه . يا رسول الله ترك الغيبة أحب إليك أم صلاة ألف ركعة ؟ قال : ترك الغيبة أفضل من صلاة ألف ركعة .

(١) الكاشح الذى الذى يضر لك العداوة ويقال كشح له بالعداوة وكاشحه بمعنى .

(٢) لأن الحدث نقض لشرط الاعتكاف .

النية السادسة :

ينوى الاعتكاف في المسجد إلى حين خروجه منه . وقال أنس بن مالك : إن من الأعمال أعمالاً لا يحصى ثوابها ^(١) وإنها الاعتكاف ، وكان صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأول من شهر رمضان ، ودخل بعض المساجد فرأى فيها ^(٢) بعض الصالحين من الفقراء معتكفا ، فقال له : ما جلوسك هذه الساعة ؟ قال : عصيت صاحب البيت ، فإزمت ^(٣) الجلوس في بيته وآليت ألا أخرج حتى يغفر لي . ودخل رجل آخر إلى بعض المساجد ، فرأى فقيراً معتكفاً ، فقال : مالك جالساً ههنا؟ قال : دعاني إلى بابه فأجبتني فأنا أنتظر الإذن بالدخول .

النية السابعة :

ينوى استماع العلم أن اتفق له ذلك ، والجلوس في حلق الذكر ، كي يحصل له الثواب العظيم . كما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم . أنه قال . من غدا إلى المسجد يذكر الله أو يذكر به ، كان كالمجاهد في سبيل الله . وقال صلى الله عليه وسلم . كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامس قتهلك . وقال صلى الله عليه وسلم . جلوس ساعة عند العالم ، أحب إلى الله من عبادة سنة ، لا يعصى الله فيها ^(٤) طرفة عين . وقال صلى الله عليه وسلم . من أدرك مجلسي عالم فكأنما أدرك مجلس . ومن أدرك مجلسي ، فليس عليه يوم القيامة شدة عذاب .

النية الثامنة :

ينوى لعله يصادف أخاً في الله فيستفيد أخاه ، لينفعه أيام حياته ، ويشفع له إلى الله بعد وفاته . وعن أبي هريرة رضي الله عنه . يقول الله

(١) في الأصل (ثوابه) .

(٢) الأصل (فيه) .

(٣) في الأصل (الزمت) .

(٤) في الأصل (فيه) .

تعالى يوم القيامة، أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلمهم في ظلي ، حيث لا ظل إلا ظلي . وقال أبو طالب رحمه الله . معنى بجلالي أى إجلالاً لى وتعظيماً . أى تعاونوا على طاعتي ، وتألفوا على محبتى ، وتحابوا من أجلى ، وإنما ذلك لأنى أحب ذلك ، وقد عظمت وأجللت فعله ، وقال صلى الله عليه وسلم : تحابوا فى الله وكونوا عباد الله إخواناً . فإن من آخى أخاً فى الله ، رفعه الله درجة لا ينالها شيء من عمله . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ما أعطى عبد بعد الإسلام خيراً من أخ صالح . وقال صلى الله عليه وسلم . من أراد الله به خيراً رزقه (١) خليلاً صالحاً ، إن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه . وقال ثابت البناني . رضى الله عنه . ونحن وقوف بحبال عرفة ، إذ أقبل شابان عليهما العباء القطوانى ، فقال أحدهما للآخر : يا حبيب . فأجابه الآخر . لبيك يا محب . قال . ألا ترى (٢) الذى تحاببنا فيه وتواددنا له يعذبنا (٣) فسمعت صوتاً وهو يقول : نعم ليس يفعل ذلك .

النية التاسعة :

ينوى انتظار نزول الرحمة من عند الله ، فيحصل فى جملة من يغشاهم ذلك ، وقال صلى الله عليه وسلم . ما جلس قوم يذكر الله إلا غشيتهم الرحمة وحفتهم [هم] الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، وناداهم مناد . اقدموا مغفوراً لكم ، قد بدلت سيئاتكم حسنات . وقال صلى الله عليه وسلم « المساجد ميمونة ميمون أهلها ، محفوظة محفوظ أهلها ، مزينة مزينة أهلها ، هم فى صلاتهم والله فى حوائجهم . هم فى مساجدهم والله من وراءهم » وقال صلى الله عليه وسلم . إن أحدكم تصلى عليه الملائكة مادام فى [مصلاته] التى صلى فيها .

(١) فى الأصل (من أراد به خيراً رزقه الله)

(٢) فى الأصل (لا) والاستفهام المنفى بحجاب عنه (بنعم) أو (بلى) والجواب بنعم لإقرار المنفى أى ليس يعذبنا والاجابة ببلى نفى المنفى أى يعذبنا .

(٣) أى يعذبنا يوم القيامة .

وتنزل عليه الرحمة . ويقول الملائكة اللهم ارحمه . ما لم يحدث فيها ، فإذا أحدث لم تقبل صلاته حتى يتوضأ .

النية العاشرة .

ينوى لعله يترك الذنوب حياء من الإخوان ، وخشية من مقهم ، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم . استحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك ، وقال عيسى عليه السلام : جالسوا من تذكركم الله رؤيته ، ويزيد في عملكم منطقه ، ويرغبكم في الآخرة عمله ، وقال حاتم الأصم رحمه الله . عليك بمجالسة من إذا رأيته وقع على باطنك هيبتة ، وأنساك الأهل والولد رؤيته ، ولا تعصى مولاك ما دمت قريباً منه . وقال بعض أهل المعرفة . إنى لأستحي من الرجل الصالح ، كما أستحي من الله . قال : ولما دخل عثمان بن عفان على النبي صلى الله عليه وسلم غطى ، النبي فخذته ، وكانت مكشوفة ، وعنده أبو بكر وعمر فقبل له في ذلك . فقال : أفلا أستحي ممن تستحي منه الملائكة ؟

النية الحادية (١) عشرة :

ينوى المخلص من عذاب الله أن ينزل ، فيكون مقصراً في أمه زاهداً في عماره وقته الدنياوى ، فاضلاً في حاله ، وقال مالك بن دينار . لو نزل من السماء عذاب عوفى من ذلك أهل المساجد ، وقيل الصواعق لا تصيب ذاكر الله .

النية الثانية (٢) عشرة :

ينوى ملاقة الأخ لله ، فزيارته لله ، والنظر إليه في بيت الله ، فيحصل له ثواب الله . كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي رزين العقيلي . أشعرت أن الرجل إذا خرج من بيته زائراً أخافى الله ، شيعة سبعون ألف .

(١) في الأصل (الحادى عشرة) .

(٢) في الأصل (الثانى عشرة) .

ملك ، ويصلون عليه ويقولون: ربنا إنه وصل فيك فضله. فإن استطعت أن تستعمل جسدك في ذلك فافعل . فهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بزيارة الأخ في الله . وقال صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى حققت محبتي للمتزاورين في والمتحابين في ، والمتبازلين في . وحكى في الأثر . أمش ميلا وصل خلف إمام تقي ، وأمش ميلين وعد مريضاً ، وأمش ثلاثة (١) أميال وشيع جنازة رجل صالح ، وأمش أربعة أميال لحضور مجلس عالم يذكر الله ، وأمش خمسة أميال وأصلح بين اثنين متقاطعين ، وأمش ستة أميال وزر أخا في الله (٢) « فهذه النيات كلها تجتمع للعبد في عمل واحد ، إذا كان عالماً عارفاً (٣) يعطى بكل نية أجراً عظيماً ، وثواباً جسيماً ، فستان بين من يحصل له في عمل (٤) واحد أجور كثيرة لما يحصل في ذلك من النيات الحسنة [و] عامل لا يحصل له أجر واحد في أعمال كثيرة ، لسهوهم عن إصلاح النية (٥) ، لقد خاب سعى هذا وبط عمله ، إلا أن يتداركه الله برحمته ، ولا قوة إلا بالله .

النية في التجوع لله

والجوع من أجل خصال المؤمن وأكثرها تعباً ، إذا صبح له فيه النية لله ، وفيه ست نيات مستحبات ، تبلغ العبد إلى رفيع الدرجات .
أولها (٥) : ينوى بجوعته تذليل النفس وتكسيرها ، وإيثار مخالفتها ،

- (١) في الأصل (ثلاث) أميال .
- (٢) زيارة الإخوان في الله أفضل النوافل ، لأنها تعاون على البر والتقوى ، واعتصام بحبل الله وقوة لرابطة المسلمين ، وترهيب لمن تحدثهم أنفسهم بالمعصية ، وفيها دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب . وفيها استفادة علم أو حال إن وجد .
- (٣) أي عالماً بهذه النيات عارفاً بجميعها كلها في قلبه عند الشروع في العمل .
- (٤) في الأصل (في عمله) .
- (٥) أو لاداء العمل دون نية ، وقد يعاقب العبد على نفس الفعل إن اقترن بنية سوء

(٦) في الأصل (أوله) .

لكي يدخل تحت الطاعات ، ويستجيب لأداء أمر جبار السماوات ، فينال به من الله الرضا ، ورفيع الدرجات . كما قال تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى » وقال يحيى ابن معاذ ، لو تشفعت ملائكة^(١) سبع سموات وبمائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي^(٢) وبكل كتاب وحكمة وولي ، على أن تصالحك النفس في ترك الدنيا والدخول تحت الطاعة لم تجبك . ولو تشفعت إليها بالجوع لأجابتك وانقادت لك^(٣) . وقال سهل بن عبد الله . والله الذي لا إله إلا هو . ما تحول المتحولون عما يكره الله إلى ما يحب الله . إلا بالجوع . وما صار الصديقون الصديقين إلا بالجوع . وقال الحجاج بن عرافصة أتيت طائفة من السياحين بمكة ، فقلت لهم : أخبروني لماذا أمر الله أوليائه بتجويع النفوس ؟ قالوا أما رأيت الدابة الصعبة أو البعير الصعب يشرد على أهله ، وأنهم لا يقدرون عليه إلا أن يجيعوه^(٤) إلا أن العبد إذا أجماع نفسه وأعطشها باهى الله به الملائكة ، وما من عبد باهى الله به في موضع إلا وضع على رأسه غدا تاجا من نور ، وبعث الله ملائكة من نور ، مع نجائب قد حليت بالياقوت . الأحمر والأصفر ، وأزمتها اللؤلؤ المنظوم ، ورحالها الزبرجد الأخضر ، يقودها المخلدون حتى يوقفوها بحذاء قبور أهل الجوع والعطش في الدنيا ، فيركبون من قبورهم إلى الله^(٥) .

(١) في الأصل (تشفعت إلى ملائكة سبع سموات) .

(٢) لا أدري سر دقة العدد هكذا من عالم جليل كيمي الرأزي . وليس وراء مثل ذلك تأويلات مما يجري على ألسن المريرين من مسائل علم الحرف . وحساب الجمل .

(٣) في الأصل (لأجابتك وانقاد لك) وإنما كان الجوع فاعلا في النفس هكذا لأنه يضعف شهواتها التي تقودها إلى الشر . وإن كانت تقوى به في أول سلوكها فيه .
(٤) في الأصل (يجيعوها) .

(٥) وأين الله حتى يركب الزايب إليه دابة ١٤ . وأينما تولوا فثم وجه الله . والفرار إلى الله فرار باطن لا ظاهري حتى يقاس عليه ما في هذه القصة العجيبة —

وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله عليه قال : بلغني أن إبليس رأى عيسى عليه السلام ذات ليلة وذات يوم وهو يتلوى قال : مالى أراك تتلوى ، قال أفلا آتيك طعاماً ؟ قال عيسى إنك تعلم أنى لو قلت لهذه الجبال والأودية كونى طعاماً بإذن الله لمكانت . ولكن أنت عدوى والنفس جاسوسك معى فأنا أجوع الجاسوس وأضعفه ، حتى لا تكون له قوة توصل خبرى إليك ^(١) . إن جوعى يغيظك ويذيقك ولا أريد من الدنيا غير ذلك وأنشد فى الجوع :

رأيت الجوع يغلبه رغيف وماء القعب من ماء الفرات

رأيت الجوع عوناً للصلى رأيت الشبع عوناً للسبات

== وأمثالها ؛ وورود مثل هذه القصص فى كتب التصوف إما لتشويق المريدين الضعفاء الذين لا زالوا تحت تأثير الدنيا ، وإما وردت تحت تأثير حسن نية رواتها .

(١) النفس جاسوسة الشيطان . تنقل إليه ما يتجاوب فيها من شهواتها . فيسول لها أن تشبع مما تريد ، فتستلهمه العون على تيسير ذلك لها . فيسوس لمن يعينها على ذلك ، والجوع يسد عليها كل شهوة فلا تجد شيئاً تبلغه إلى الشيطان وتصبح بعد ذلك روحانية ترد عليها الواردات وتحل فيها العلوم ، فتتجسس كذلك فى هذه الحالة فيحاول الشيطان أن يفسد عليها هذا السلوك ، برؤية العمل ، والوقوف عند المشاهد ، وإقناعها بالولاية ، وبالكشف وبالخواطر الشيطانية ، وإتماماً للفائدة نبين أنواع الخواطر ليكون الطلاب من شر بعضها على حذر .

فالخاطر الرحمانى : يتصل بالإرادة القديمة . وهو إما هبة مزعجة لا يتمالك معها المريد نفسه ، وتحرك للخير وإما هبة باسطة حين تتقدمها خلوة أو انفصال من غيبة . أو سماع كلام فى حقيقة . وإما هبة قابضة وهذه إما أن ترفع المريد وإما أن تنزله .

والخاطر الملكى : وهو يتعلق بالرحمانى . وكل خاطر رحمانى فيه غاية الملكى ولا عكس ، وهو يرشد إلى السلوك القديم عند البداية أو النهاية إذ التوسط بينها منازل الجمهور .

النية الثانية (١) :

ينوى موافقة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في حاله وحالهم
ليكون رعداً في زمرةهم، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : من تشبه بقوم
فهم منهم. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: دخلت [علي] رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرأيت قد انكب على وجهه وتحتة حصير وهو يتلوى من الجوع
وهو يقول : بجوعى وعطشى هب لى ذنوب أمتى. وقالت [عائشة] رضي الله
عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجوعون من عوز وقال أبو
هريرة : لقد رأيتنى وأنا أصرخ من الجوع بين القبر والمنبر ، حتى يقول
الناس إنه لمجنون وما بى من جنون إلا الجوع . وكان صلى الله عليه وسلم ربما
يصلى فيتساقط أصحابه من القيام إلى الأرض لما بهم من الجوع. فإذا فرغ من
صلاته ، التفت إليهم وقال : لو تسلمون مالكم عند الله لازددتم وعن ابن
عباس رضي الله عنه قال . عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من
لأنصار فقال هل تشتهى شيئاً ؟ قال نعم خبز بر قال : من كان عنده فليأت به
فقام رجل فجاء بكسرة خبز فأطعمه . وقال صلى الله عليه وسلم لأبى ذر أقل
الطعام والكلام، تكن معى فى الجنة كهاتين وأشار بإصبعه السبابة والوسطى .
وقال صلى الله عليه وسلم . إن أقربكم منى مجلساً يوم القيامة من طال جوعه

والخاطر النفسانى : متعلق بالشرطانى ومتصل بالجسم ولواحقه وهو يميل بالمريد
إلى الشهوات البدنية وإن كانت مباحة ويحض على الجاه والصيت والتعظيم ويزين
لصاحبه الحصول على مرتبة التبرك ، ويحمله على الورع اليابس الذى ربما رعى فى
بدعة أو آياس من الرحمة ويزين التعطيل والشبه القائلة ويعين على التأويل .

والخاطر الشرطانى : وهو يجذب إلى النقص ويمنع السكال الإنسانى ويتعلق
بالهوى ويزين المحرم الظاهر وينسى العلم النافع وهذا الخاطر هو السبب فى انتكاس
السالكين [راجع روضة التعريف بالحبيب الشريف لابن الخطيب مصور بالجامعة

العربية ١٤٣٠ تصريف]

(١) فى الأصل «السادسة»

وعطشة وحزنه في الدنيا . ودخل أبو هريرة رضي الله عنه وابن مسعود في خمسة من الصحابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد مسهم الجوع . فقالوا : أيا رسول الله هل من خبز ؟ فإننا جائعون . فلم يجد لهم إلا سويق شعير فأكلوه . فلم يقع لهم موقعا . فقالوا أيا رسول الله . حتى متى نحن في المجاعة ؟ فقال إن تزكوا فيها ^(١) ولكن اتقوا الله وأحدثوا الشكر ، فإنني لم أجد قوما يدخلون الجنة بغير حساب إلا الصابرين .

النية الثالثة :

ينوى بجوعه قلة التزود من عرض الدنيا ، فيكون بمعنى ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم . يأتي على الناس زمان أفضل درعهم الجوع ، وأفضل علومهم الصمت ، وأفضل عبادتهم النوم . وبمعنى ما قيل : من رضى من الله بالقليل من الرزق ، رضى الله منه بالقليل من العمل . وقال حاتم الأصم : دع الشهوات تنج ^(٢) من خدمة أهل الدنيا ، ودع اللذات تنج من الإثم . ودع الطمع تنج من الغم ، وذلك العبد يسعى في طلب الدنيا بقدر إرسال بطنه في أكل الشهوات ، فيحسب بترك أكلة ويتجويعه نفسه متقللا من الدنيا ، وقبل لبعض العارفين ما الدنيا ؟ قال : الدنيا بطنك . فبقدر زهد بطنك كذلك زهدك في الدنيا .

النية الرابعة :

ينوى بجوعه وجود الراحة في عرصة القيامة غدا في ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة . لا يوجد فيها طعام ^(٣) ولا شراب ولا راحة ولا سكون . وقال صلى الله عليه وسلم : الناس يحشرون يوم القيامة جياعا عطاشا وإن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة . وقال النبي صلى

(١) أى ليس الجوع نفسه يزكيكم بل إن توابع الجوع من الصبر والتقوى هي التي تزكى النفس وتطهرها .

(٢) في الأصل « تنجو » ،

(٣) في الأصل « طعاما » .

الله عليه وسلم . إن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع ، وكبدك عطشان ، فافعل . فإنك تمنال بذلك أشرف المنازل ، وتحل مع النبيين ، وتفرح الملائكة بقدم روحك عليهم ، وقال صلى الله عليه وسلم : أخوف ما أخاف عليكم شهوات ما ألقى في بطونكم ^(١) وفروجكم .

النية الخامسة :

ينوى بجوعه تقليل الاختلاف إلى الخلاء إذا كان صائماً جائعاً ، فيحصل له بذلك درجة أهل الصدق والحياء ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه استحيوا من الله حق الحياء . قالوا يا رسول الله [كيف] نستحي من الله ؟ قال : من استحي من الله حق الحياء ، فليحفظ البطن وما وعى ، والرأس وما حوى ، وليذكر الموت والبلى . فأخبر صلى الله عليه وسلم أن حقيقة الحياء هذه الثلاث خصال ، إحداهن حفظ البطن ، وذلك هو التجويع لله . ليقل دخله وخرجه . وقال مالك ابن دينار رحمه الله : لقد استحيت من ربي من كثرة ما اختلفت إلى الخلاء . حتى تمنيت ليت أن الله جعل رزقي حصاة فكنت أمصها ^(٢) حتى يأتيني الموت ، وقال الحسن في وصف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : إن كان أحدهم لياً كل الأكلة فيتمنى أن لو بقي [ت] في جوفه كما تبقى الآجرة في الماء فتكون ^(٣) زاده من الدنيا .

النية السادسة :

التخلص من مقت الله والتباعد من بغضه ، وقال صلى الله عليه وسلم . ما شيء أبغض إلى الله من بطن مليء ولو من حلال ، وما خلق الله حلالاً أبغض إليه من الطلاق ، وفي الخبر أن الأرض لتضج إلى الله من ثلاث . من الشيخ الزاني . والفقر المختال ، الذين بطونهم مثل الخوابي . ملاء بالطعام . والشراب قال أبو طالب المسكي رحمه الله . من شبع شبعة بين جوعين فقد

(١) في الأصل « بطونك » .

(٢) في الأصل « أمصه » .

(٣) في الأصل « فيكون » .

أخذ بسيرة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم . . وهذا إذا صام العبد
دهره فيفطر بالليل، ويصوم يوماً قبله ويوماً بعده، فهذا شبع بين جوعين،
فجوع هذا أكثر من شبعه .

النية السابعة :

يخدع نفسه كي يكون ذا كراً لما ينال أهل الجوع من الألم . والضرر .
ويقال لما ملك يوسف بن يعقوب عليهما السلام خزان مصر، ما كان يشبع
من الطعام نفسه، فقيل له في ذلك . فقال : أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .
وقيل خمسة أشياء لا يعرف مقدارها (٥) إلا خمسة أنفس : لا يعرف نعمة
العافية إلا المرضى، ولا قيمة العمر إلا أهل المقابر، ولا قيمة الشبع إلا أهل
الجوع، ولا لذة نعمة النوم إلا من به ألم، ولا نعمة الضوء إلا من هو في
الظلمة، ويقال إن حاتم الطائي كان له والد كثير المال وكان ينهى حاتماً عن (١)
كثرة العطاء فلا ينتهي فقيل لو والده لو حجرت عنه عطاياك لعله يترك ما فيه؟
فحبسه وقطع عنه العطاء، فلما مر عليه شهر أطلق عنه، وظن أن قد نفعه
ما فعل به، فلما خرج بعث إليه أبوه بمائتي ناقة، فلما حصل [ت] عنده نادى
في الحى، كل من أخذ من هذه النوق بزمام (٢) فهو له، فأخذوا كل ذلك، فأخبر
أبوه بذلك، فسأل حاتماً عن فعله، فقال لقد أصابني من ألم الجوع والعدم ما إذا
ذكرت لا أبخل بموجود عندي .

النية في زيارة الإخوان

وزيارة الإخوان في الله من فواضل أعمال المؤمنين، فينبغي للعبد أن
يخلص نيته، وفيها ست نيات فاضلات، وخمس نيات مذمومات، وعلى العارف
أن يعرف المذموم من الحمود، ليجتنب المذموم، ويتبع الحمود، ولا
حول ولا قوة إلا بالله . ويقال نظر بعض الصوفية إلى بعض تلاميذه فقال

(٥) في الأصل « مقداره » .

(١) في الأصل « من » .

(٢) في الأصل « بزمامه » .

إلى أين عزمت ؟ فقال أزور فلانا قال وتعرف آفة الزيارة ؟ قال لا . قال اعلم أن من زار أخاه لقبل خمسة أشياء فليس لله في زيارته رضى .

أولها : يزور أخاه لقبل الأكل والنهمة . وقال صلى الله عليه وسلم « بثس العبد عبداً طمع يقوده ، بثس العبد عبداً هدى يضلّه » وقال سهل . يخرج في آخر الزمان قوم يكون معبودهم بطونهم ودينهم لباسهم ، وحليتهم كلامهم ^(١) ، وزار بعض الفقراء أخاه في الله فلما جلس وعرض عليه ، الطعام وألح عليه أبى ^(٢) وقال . إنما زرتك لشهوة الروح لا لشهوة الهوى والبطن ، فلم يأكل . وزار بعض المريدين أستاذاً له يسأل عنه ^(٣) المعرفة فلما جلس المريد قدم إليه الطعام . فقال يا أستاذ : أنا على غير هذا أحوج منى إلى هذا ، وأنت على غير هذا أوجب عليك من هذا ، زرتك لأجل النكته ولم تترك لأجل اللقمة . لو أردنا هذا لوجدناه عند غيرك ، وإنما جئناك نطلب عندك شيئاً لا نجده عند غيرك . هذه قوت النفس عهدنا به من الليلة ، وقد انقطع عنا قوت الروح منذ أربعين يوماً ، وقوت الروح أعز علينا من قوت النفس فابدأ بالإعزاز أعزك الله . فإني سمعت منك تحكى عن مشايخك عن النبي صلى الله عليه وسلم . أنه قال « المؤمن هو الذى يؤثر دينه على هواه » فقال الأستاذ مجيباً له . كل حتى أروى لك في فضيلة الأكل . وأجابه الإخوان [ب] أربعة عشر حديثاً . فقال : أيا أستاذ إذا كان في فضيلة الأكل أربعة عشر حديثاً فينبغى أن يكون في فضيلة ترك الأكل أربعة وعشرون حديثاً ، فترك ولم يأكل . وقصد جماعة من الفقراء بعض أهل العلم . فلما حصلوا في منزله ، أصر أن يقدم إليهم الطعام ، من قبل أن يحضر معهم ، فلما قدم إليهم الطعام قام

(١) أى كلامهم في الطريق وسلوكه وحقائقه ، يتخذون ذلك وسيلة للتردد على بيوت الناس رجاء الهداية بهم وهذا النوع كثير بين طلاب الطريق ، وهم أشد من الشر على الطريق .

(٢) فى الأصل « فأبى » .

(٣) فى الأصل « عنه » .

من بينهم رجل، فقيل له إلى أين ؟ قال إنما حاجتي مع صاحب الطعام . قالوا
أجلس . فإذا فرغنا جمعنا بينك وبينه ، قال حاشا : أن أجعل بطني وليجة لديني .

الآفة الثانية :

يزوره لقبيل الرفقة والعز والسمعة والمباهاة . حكى أن فضيل بن عياض
وسفيان الثوري ، اجتمعا ، فوعظ أحدهما صاحبه فبكى هذا وبكى هذا ، فقال
الثوري . لأنني أرجو أنا لم نجلس مجلساً أكثر فتنة من هذا . قال الفضيل .
ألست عهدي إلى أحسن ما عندك فحدثني به ؟ وعهدي أنا إلى أحسن ما عندي
فحدثك به ؟ فصر نائماني ؟

الآفة الثالثة :

يزوره لقبيل المعرفة والمنزلة حتى يكرمه ويعظمه . وقيل إن جماعة من
الصوفية دخلوا على أبي علي الروزباري ، وفيهم شاب لم يعرفه أبو علي ، فقال
للقوم ، من أين الشاب فإنني لا أعرفه ؟ . فقال الشاب وما أنا زرتك لأعرفك
إنما زرتك إجلالاً لمن تقدمه [ت] معرفتي معه منذ ثلاثين سنة . قال فما الاسم ؟
قال : معرفتك باسمي أخاف أن تبطل على ثواب كذا . فقدم إليه ما حضر
عنده [من] طعام فقام الشاب ، وقال نهينا أن نخلط الخبيث بالطيب . ولا
تبدلوا الخبيث بالطيب .

الآفة الرابعة :

يزور لقبيل محمدة الناس . وقيل الصادق هو الذي يخفي حسناته كما يخفي
غيره سيئاته ، ويكون خوفه على حسناته ألا تقبل منه ، أشد من خوفه على
سيئاته ألا تغفر له .

الآفة الخامسة :

يزوره لقبيل الأخذ . يقال إن الفقراء من أصحاب الشبلي ، كانوا إذا اتسع
وقتهم معه لم يفارقوه . وإذا ضاق الوقت تفرقوا عنه ، وتركوه : فقال يوماً

انظروا إلى هؤلاء السفلة، أنا أريدكم لله وهم يريدونني^(١) للدنيا والنفس .
فبينما هو جالس، إذ دخل عليه قريب له مصري ومعه مائتا دينار فوضعا^(٢)
بين يديه ، وسمع الفقراء بذلك فبادروا إليه . فلما دخلوا عليه . فطان لهم
فقام وأخذ الدنانير وجعل يخرج من سكة إلى سكة ، حتى قام على شط
الدجلة ، ثم رفعهما^(٣) على كفه وقال « انظر^(٤) إلى إهلك الذي ظلت عليه
عاكفاً لخرقته ثم لنسفنه في اليم نسفاً » ثم قال . من يريدني فليتبغني ، ومن
يريد الدنانير فليتبغ الدنانير . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله احذر من
مودته على قدر حاجته إليك ، فإذا اقتصرت حاجته انقضت [مودته] . وينبغي
للمؤمن أن يزور أخاه لسبعة أشياء حتى يحصل له جزيل الثواب والجزاء .

أولها : يزور أخاه لحرمة ولجلالة قدره ، كما روى عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه نظر إلى السكبة فقال . لقد شرفك الله وعظمتك وحرمتك ، والمؤمن
أعظم حرمة منك . وقال صلى الله عليه وسلم من أكرم عالماً^(٥) فكأنما
أكرم سبعين نبياً ، ومن أكرم متعلماً فكأنما أكرم سبعين شهيداً ، ومن

(١) في الأصل « وهو لا يريدني » .

(٢) في الأصل « فوضعه » .

(٣) في الأصل « رفع » .

(٤) في الأصل « أنظر » .

(٥) ظهرت بعض الطوائف الدينية تدعو إلى اعتبار العلماء كالعامّة . وقد نقل
ابن مفلح عن ابن عقيل في « الفنون من آداب الإمام أحمد » ، أنه كان مستنداً وذكر
عنده ابن طهمان . فأزال ظهره عن لاستناد وقال : لا ينبغي أن يجري ذكر الصالحين
ونحن مستندون ، وذكر هذا الحافظ بن الأخصر فيمن روى عن أحمد في ترجمة
أبي زرعة الرازي . قال . سمعت أحمد بن حنبل وقد ذكر عنده إبراهيم بن طهمان
وكان متكئاً من علة فاستوى جالساً وقال لا ينبغي أن يذكر الصالحون فنتكئ .
وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه . لا يطلب هذا العلم أحد بالملك وعزة
النفس فينسلح .

آذَى مؤمناً فقد آذَى الأنبياء، ومن آذَى الأنبياء، فقد آذَى الله، ومن آذَى الله، فهو ملعون في التوراة والإنجيل والفرقان . وقال صلى الله عليه وسلم . من أكرم أخاه المؤمن فإنما يكرم الله، وعن جعفر الصادق رضى الله عنه . امش ميلاً وشيع جنازة رجل صالح ، وامش ستة أميال وزر أخا في الله . ويقال: لما أخذ الدئب الذي كذبوا عليه في أكل يوسف بن يعقوب وأوقفوه بين يدي نبي الله يعقوب عليهما السلام [ف]—أله عما أراد منه ، فأخبره خبر صدق ثم قال في آخره . من أين جئت ؟ قال من مصر . قال فأين عزمك ؟ قال إلى جرجان . قال فما حاجتك ؟ قال أزور أخا في الله، لأنى سمعت آبائى يحدثون عن أجدادى عنكم معاشر الأنبياء . أن من زار أخا في الله كتب الله له ألفي ألف حسنة ومحى عنه ألفي سيئة، ورفع له ألفي ألف درجة^(١) . وقال ابن المبارك رحمه الله خمسة أشياء لا تصعد من الأرض إلى السماء إلا بالتأم . حرمة المؤمن، وشكر نعمة الرب، وحق الوالدين، وإكرام العالم الزاهد وعبادة الجبار . وحكى أن أخوين في الله التقيا فقال أحدهما للآخر . من أين أقبلت ؟ قال حججت بيت الله الحرام وزرت قبر الرسول عليه السلام . فأنت من أين أقبلت ؟ قال . من زيارة أخ أحبه في الله . قال فهل تهب لى فضل زيارتك حتى أهب لك فضل حجى ؟ فأطرق الآخر ملياً . فإذا بهاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول: زيارة أخ فى الله أفضل عند الله من مائة حجة سوى حجة الإسلام .

الثانى : ينوى بزيارته تألفه وإبدال قلبه له كي يتولد بينهما المحبة، والله تعالى يقول: لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم . ولكن الله ألف بينهم قال ابن مسعود رضى الله عنه . نزلت هذه الآية فى المتحابين فى الله . وقيل . أربع خصال تؤكد مودة الأخ مع أخيه . الزيارة . والسلام .

== وكان ابن عباس يذهب إلى الرجل من الصحابة ليسأله عن الحديث فى حر الظهيرة فيتوسد رداءه على بابه تسفى عليه الريح من التراب .

(١) لا عبرة بتفاصيل مثل هذه الأخبار بل العبرة بدلالاتها فحسب .

والمصافحة . والهدية ، ولو لم يكن الآن إلا أن يحصل له بهذه الزيارة إدخال السرور على قلب المؤمن . وقال بعضهم . فضل الأخوة الألفة والملازمة ، والمحبة الدائمة . وقال الرشيد اعلى بن الجهم . أنشدني قولك في القربة قال نعم يا أمير المؤمنين :

ألفت التوحيد والقربة وفي كل يوم أرى تربة
فيوم مطيل على نعمة ويوم مقيم على نكبة
ومما يطيب عين الحبيب حبيب تطيب به الصحبة

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ما أعطى عبد بعد الإسلام خيراً من أخ صالح . فإذا رأى أحداً من أخته فليتمسك به .

وقال صلى الله عليه وسلم «ما التقي مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما خيراً» وإن مثل المؤمن ، كمثل الكفين تغسل إحداهما الأخرى . لا بد لها منها .
النية الثالثة .

يزور أخاه لقبل سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستجابه لذلك ، كما روى عن الحسن قال [قال] النبي صلى الله عليه وسلم . يا أبا رزين أشعرت أن الرجل إذا خرج من بيته زائراً أخاه في الله ، شيعة سبعون ألف ملك يصلون عليه يقولون ، ربنا إنه وصل فيك فصله ، فإن استطعت أن تعمل جسدك في ذلك فافعل . قال أبو طالب المكي رحمه الله :

فهذا أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفضيل زيارة الإخوان وقال أنس بن مالك . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غاب الرجل عن المسجد ثلاثاً ، سأل عنه ، فإن كان مريضاً عاده ، وإن كان مسافراً دعاه ، وإن كان حاضراً زاره . وفي الخبر . إذا تصافح الإخوان في قسمت بينهما مائة رحمة ، تسعة وتسعون [منها] لأنسهما بصاحبه ، وفي رواية فضحك أحدهما في وجه صاحبه تساقطت ذنوبهما بينهما ، وقال مجاهد ، إن المتحابين في الله والمتزاورين في الله . إذا قاموا غداً من قبورهم ، بعث الله جعل جلاله إليهم نجائب وقد خلقت من نور ، وسرجت من نور ، وألجت من نور ، رحائلها من نور يقودها

المخلدون ، فيخرجون من القبور ، وهم يلبون الجليل جل جلاله ، فيؤتون بكاسات من ياقوت أحمر وأصفر ، فيها من ماء الكافور ، والشراب والتسليم ، والرحيق المختوم ، وقد ضربت بالرضا والرحمة والرضوان ، فيسقون بحضرة الملك القدوس ، فيركبون النجائب ويتحلون الحل تحلياً^(١) حتى يأتون إلى كراس لهم قد وضعت ، وينظرون إلى ربهم بعين البقاء وهم مسرورون ، وقال عمرو بن العلاء : يستحب للرجل أن يزور أخاه في الله كل يوم مرتين . قال أبو طالب رحمه الله : كأنه تأول قول الجليل في أهل الجنة « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا » فقد أدخل فيه الزيارة وغيره ، وأنشد في ذلك .

إذا غبت يوماً عن صديق وليلة ولم أرني^(٢) أهلاً لبعث رسول
فقد ضل عقلي إن طلبت إخاءه وإن كان ذاملاً وإن كان ذاحال

وفي الخبر . ما زار رجل أخاه شوقاً إليه ، ورغبة في لقائه ، إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة . قال له أبو طالب : وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه رأى ابن عمر يتأفقت يمينا وشمالا ، فسأله فقال : يا رسول الله . أحببت رجلاً فأنا أطلبه ولا أراه ، فقال : يا عبد الله . إذا أحببت أحداً فاسأله عن اسمه وعن اسم أبيه ، وعن منزله ، فإن كان غائباً زرته ، وإن كان مريضاً عدته ، وإن كان مشغولاً أعنته .

النية الرابعة :

ينوى بزيارته كفارة الذنوب وتخطيط الخطايا عنه ، كما جاء في الخبر إذا زار الأخ أخا في الله ثم تصافحا ، فضحك أحدهما في وجه صاحبه تساقطت ذنوبهما بينهما . وعن أبي أمامة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نظر المؤمن إلى المؤمن ، ففرح بعضهم ببعض ، ناداهم ملك من بطنان العرش : استأنفا العمل فقد غفر الله لكما ما تقدم من ذنبكما . فإن ماتوا من يومهم أو ليلتهم ماتوا موت الصديقين ، وقال صلى الله عليه وسلم . من

(١) في الأصل « تحليلاً » .

(٢) في الأصل « ولم أر » .

أخذ بيد مؤمن فصافحه في الله، أعطاه الله من الثواب مثل ما يعطى إبراهيم الخليل، وكتب له بكل إصبع عبادة سنة، ولا يفترقا حتى يغفر الله لهما.

النية الخامسة :

ينوى بزيارته نيله بركات النظر إلى أخيه وفائدته للتقرب منه، فيداوى بذلك قلبه. كما جاء في الخبر، أن الله جل ثناؤه ليحاسب العبد يوم القيامة، فيوقع عليه الحجة فيؤمر به إلى النار. فيبقى العبد، حيران فيقول الله عز وجل: هل رأيت ولياً في دار الدنيا؟ فأحبيته لي؟ أو زرته من أجلي؟ أو أحبك ولي من أوليائي فأحبك اليوم له؟ وقيل لما دنت^(١) وفاة الحسن البصري، قيل له هل تشتهي شهوة؟ قال نعم. نظرة إلى وجه يوسف بن أسباط. وقال جعفر ابن سليمان، كنت إذا وجدت في نفسي فترة نظرت إلى محمد بن واسع نظرة. فأعمل على ذلك. وقال موسى بن عقبة كنت ألقى الأخ من إخواني مرة فأقيم عاملاً بلقائه أياماً، وقال بن عباس رضي الله عنه. سبعة أشياء النظر إليها عبادة نظر الأخ إلى أخيه في الله عبادة، والنظر في المصحف، والنظر إلى الكعبة، وإلى وجه الوالد، وإلى العالم، وفي كتاب العلم، وقال الفضيل. النظر إلى وجه الأخ في الله على الشوق والمحبة عبادة. وقال الحسن البصري. لقاء إخواننا في الله أحب إلى من لقاء أهلينا وأولادنا. لأن أهلينا يذكرونا بالدنيا. وإخواننا يذكرونا بالآخرة.

النية السادسة :

يزور ليعرض حاله على أخيه. ويستنصحه في دينه، وقال بلال بن سعد: أخ لك في الله كلما لقيك وعظاك بالله، خير لك من أخ لك كلما لقيك وضع في كفك ديناراً. قال أبو طالب المكي رحمه الله [كان] الإخوان في الله من السلف يلتقيان فيقول أحدهما لصاحبه: كيف أنت وكيف حالك؟ يقول كيف أنت مع نفسك وهو لك؟ هل تطاوعك إلى ما تدعوها [إليه] من الخير أم لا؟

(١) في الأصل « دنا »

وكيف حال قلبك مع [الله] في الإقبال والإدبار عنه ؟ . وقال بعضهم ما كان أكثر مواجيدنا إلا لقاء الإخوان . كنا نلتقي فيعرض أحوالنا بعضنا على بعض ، ونأخذ المزيد بعضنا من بعض ، وفي حكمة آل داود : وينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات . ساعة يتاجى فيها ربه . [وساعة] يحاسب فيها نفسه ، وساعة يجلس مع إخوانه الذين يذكرونه عيوب نفسه ويرغبونه في الآخرة ، وساعة يخلى بين نفسه وبين حظوظها من لذات الدنيا ^(١) . فإن في هذه الساعة عوناً لتلك الساعات وإجماع [أ] [ا] لنفس . وفصد [ا] تلقاء . وقال بعضهم : سمعت الداراني يقول : إني أجيء من دارنا أطلب قلبي عندي ، ليس في دارنا أحد يسألني عن شيء ، وبعض أهل المحبة قال : غلب علي حال ، فخرجت من منزلي أطلب إنساناً أتنفس معه وأعرض عليه حالي ، فلقيني الثوري ، فتفرس في وقال مالك ؟ قلت . معي متاع أريد من يبايعني . فقال متاع الدنيا أم متاع الآخرة ؟ قلت بل متاع الآخرة . فأخذ بيدي فأخرجني إلى المقابر فلما وقفنا على القبور قال . قد نقل من كان يحسن المعاملة بمتاع الآخرة . إلى هذه البقعة . منذ دهر ، فإن كان معك صدق فأعرض عليهم متاعك . وإلا فاحفظه معك إلى يوم الجمع ^(٢) .

النية السابعة .

ينوي بزيارته إلهام محبة الله ، وتصديق وعد الله الذي وعد للزائر العبد من عبده ، من فرط محبته له . أن ذلك يكون كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى ، فأرسل الله في مدرجته ملكاً ، فقال أين تريد ؟ قال أردت أخاً لي في هذه القرية . قال هل بينك وبينه رحم تصلها أوله عليك نعمة تربها ؟ قال : لا . إلا أني أحببته

(١) المراد الذات المباحة وإن كان الورع عنها أفضل لمن يستطيع .

(٢) وكان المحاسبي يخرج الجنيد من خلوته إلى مكان نام بعيد فيقول له سألني . فيقول الجنيد ليس عندي ما أسألك عنه فيقول سألني عما يرد عليك فيسأله عن كل ما يرد عليه فيجيبه ثم يذهب إلى منزله فيعلمها كتباً وهذا هو التنفس بين الإخوان

في الله قال فإني رسول الله إليك، إنه يحبك كما أحببته فيه . وقال صلى الله عليه وسلم : يقول الله جل ذكره ، حقت محبتي للمتحابين في ، ومعناه حقيقة الاستغفار .
يقال إن عبد الواحد بن زيد سمع رجلاً يستغفر الله فقال : أيها الرجل ، هل تدري ما معنى الاستغفار؟ قال لا أعلم . قال : اعلم أن الاستغفار توبة والتوبة اسم واقع لمعان ست . أولها الندم على الماضي ، والثاني ترك العود في الباقي ، والثالث أداء كل فرض ضيعته فيما بينك وبين الله . الرابع : أداء المظالم في الأعراض ^(١) والأموال ، الخامس : إزابة كل لحم وشحم نبت من حرام حتى يعود العظم والجلد إلى مكانه ^(٢) السادس إزاقة البدن ألم الطاعات ومرارتها كما ذاقته حلاوة المعاصي ^(٣) ، فقال الرجل : من يستطيع هذا؟ قال : إن كان ثوبك جديداً فرقع به بالجديد ، وإن كان ثوبك خلقاً فما ينفع ترقيع خلق بخلق ، والاستغفار هو كالرقعة ^(٤) وقل مع الاستغفار : اللهم إني استقبلك فأقبنى .

(١) في الأصل «الأعراض» . وهذا إذا عجز عن رد المظالم في الأموال : فشرط التوبة أن يرد التائب ما عليه من أموال إلى أصحابها فإذا لم يجد . استغفر لصاحب الحق . والله كفيل بإرضائه إن صدق استغفاره وتوبته أما في الأعراض ، فلا بد من طلب العفو من صاحب العرض . وقال بعضهم : يلزم ذلك تصريحاً ، وقال بعضهم يلزم ذلك تلويحاً لما في التصريح من خطر . فإذا عجز عن معرفة صاحب العرض . استغفر له الله والله كفيل بإرضائه إن صدق استغفاره وتوبته .
(٢) ولا يكون ذلك إلا بعمق الندم ، والسهر والالم من المعاصي السابقة ، والحرمان .

(٣) ليس في الاستغفار ألم ولا مرارة إلا إن قصد معناه الحقيقي ، وهو القيام بحق الاستغفار من قيام وصيام وسياحة في سبيل الله .

(٤) وجه هذه المقارنة بين الثوب والاستغفار : إذا كانت همتك ناهضة صادقة راغبة في حقيقة التوبة والاستغفار فإن استغفارك سيكون ناهضاً صادقاً كالرقعة الجديدة في الثوب الجديد ، وإذا كانت همتك ضعيفة ، ونهوضك ثقيل . فهي =

وحقيقة التوبة الورع^(١) ، وحقيقة الورع الزهد ، والزهد أن تزهد في نفسك^(٢) ، وحقيقة الزهد الرضا ، والرضا أن تحسن أحكامه عندك حتى تكون كالحجر^(٣) ، وحقيقة الرضا المحبة ، وعلامة المحبة أن تؤثر الله على محبتك ، ولا تؤثر عليه شيئاً .

قال: أخبرنا الشيخ أبو علي بن الحسين بن محمد الحشنامي رحمه الله ، قال قرأت عليه^(٤) حديثاً لعقبه . أبي^(٥) موسى عيسى بن محمد بن عيسى ببسطام ، قال حدثني جدي موسى بن عيسى ، قال حدثني أبي عيسى بن آدم بن أخي يزيد طيفور بن عيسى بن سورشان ، عن أبي يزيد رحمه الله قال : طلقت الدنيا ثلاثاً بتاتا لا رجعة فيه لله ، وصرت وحدي إلى ربي ، فناديته بالاستعانة : إلهي أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك . فلما أن علم صدق الدعاء من قلبي ، كان أول ما ورد علي من إجابته ، أن أنساني نفسي بالسكينة ، ونصب الخلائق بين يدي مع إعراضهم عنهم .

وبهذا الإسناد عن أبي يزيد قال إذا جاء حب الله يغلب كل شيء ،

= كالثوب الخلق وما ينتج عنها من استغفار وعبادة كالرقعة الخلقة وإن يصلح ترفيع خلق بخلق .

(١) لأن الورع يحفظ من الوقوع في الشبهات ، فتصدق التوبة وتصح لذلك .
(٢) هذا تعريف دقيق للزهد ، والزهد الحقيقي أن يزهد الإنسان في نفسه ومطالبها ومشاهداتها ووارداتها وعلامة صحة الزهد أن يستوى وجود الشيء وعدم وجوده عندك . وليس من الزهد تعذيب النفس وحرمانها على كره منها ، فتلك مجاهدة في طريق الزهد ، فالزاهد راض بما هو فيه . لا تضطرب نفسه .

(٣) أي لا تتأثر بأحكام الله عليك إن لم توافق نفسك تأثر اضطراب وقلق ، ولا تبالي في الفرح إن وافقت نفسك يشهد الراضى بحكمة الله في سن حكم ولا ينظر إلى أثر الحكم على نفسه ، يتعلم بالبلاء ، ويجد اللذة في التضرع والدعاء .

(٤) في الأصل : قرأت عليه قال .

(٥) في الأصل : أبو موسى .

لا حلاوة الدنيا ، ولا حلاوة الآخرة ، فالحلاوة حلاوة الرحمن ، وبهذا الإسناد عن أبي يزيد أنه قال : رأيت رب العزة في المنام فقال لي : أي (١) شئ تريد ؟ فقلت : أريد ألا أريد غير ماتريد ، فقال : أنا لك كما أنت لي . وبهذا الإسناد أنه قال : غلطت في ابتداء أمري ، حسبت أني ذكرته فإذا هو ذكرني قبل ذكرى له ، وحسبت أني أطلبه فإذا هو طالبني قبل طلي له ، وحسبت أني أعرفه فإذا هو عرفني قبل معرفتي له ، وحسبت أني أحبه فإذا هو أحبنى قبل محبتي له ، وحسبت أني أعبده فإذا هو جعل خلألق الأرض في خدمتي (٢) .

وبهذا الإسناد عنه ، أنه دخل جماعة من أهل الشام على أبي يزيد ، فأخذ معهم في الكلام ، فقالوا : إنا سمعنا كلام ذي النون وغيره من المشايخ ، فلما سمعنا كلامك تركنا كلامهم ، فقال أبو يزيد : لأن القوم كانوا يتكلمون من بحر صفاء العمل ، وأنا أتكلم من بحر صفاء المنة (٣) . الناس يتكلمون بمزوجا وأنا أتكلم صرفا . كم بين [من] يقولون أنا وأنت وبين [من] يقولون أنت أنت (٤) .

(١) في الأصل « إيش » .

(٢) ليس للعبد فعل إلا وقد سبق من الله للعبد قبل صدوره منه . فتأب عليهم ليتوبوا . يحبهم ويحبونه .

(٣) كيف ذلك ؟ ! ! راجع أقوال ذي النون في هذا الكتاب تدرك أنه يشهد المنة كما يشهدا أبو يزيد . رضى الله عنهما وذو النون صاحب مدرسة خاصة في التصوف في مصر ، هي مدرسة العمل الروحي ، وشهد له السكك بالسكك ، ولعله يقصد غير ذي النون بهذا القول .

(٤) الصوفي السكك لا يقول : أنا . بل تعتبر « الأنا » عندهم شركا خفيا . [راجع خمرة الحان للنابلسي] ومعنى التسكك من بحر صفاء العمل . التسكك عن الأحوال والمقامات الناتجة من العمل ، مما يجده السالك في روحه ونفسه من هدوء ، وقبض وبسط ووجد وغلبة ، وعلم ومعرفة ، ومعنى التسكك من بحر صفاء المنة ، التسكك =

وبهذا الإسناد عنه: أنه سئل عن السنة والفريضة، فقال، السنة ترك الدنيا والفريضة صحبة المولى^(١). والسنة على ترك الدنيا. وبهذا الإسناد عنه أنه سئل عن الصوفي فقال: هو الذي يأخذ كتاب الله بيمينه، وسنة رسوله بشماله، وينظر بإحدى عينيه إلى الجنة، وبالأخرى إلى النار^(٢)، ويتزر بالدنيا، ويرتدى بالآخرة^(٣)، ويلبى من بينهما المولى، ليبيك اللهم ليبيك. وبهذا الإسناد عنه أنه قال رأيت رب العزة في المنام فقلت (يا بار خدای^(٤)) كيف الطريق إليك؟ فقال: دع نفسك وتعالى، وبهذا الإسناد

== بما يتلقاه السالك من ربه تعالياً منه تعالى من أجل تقوى العبد، في الوقت الذي ينسى فيه العابد نفسه وعمله، ويتوجه إلى الله طالبا منه الإنعام عليه، معتقداً أنه ليس صاحب حق في ذلك، ومعنى الكلام المذزوج. العلم الممزوج بالنفس أو بظواهر الوجود، أما الصرف، فهو بالله وفي الله وإلى الله.

(١) لاصلة بين معنى السنة والفريضة عند أبي يزيد وتأويلهما على هذا الوجه. وبين تأويلات الباطنية. لأن الباطنية. يسقطون المعنى والعبارة، ويحلون تأويلهم مكان اللفظ. كما قالوا في الصلاة، هي دوام الحضور مع الله، وأسقطوا الصلاة الشرعية وأحلوا هذا التأويل محلها، فكل حاضر مع ربه لا تجب عليه الصلاة عندهم، ولكن الصوفي، يبقى اللفظ والمعنى لغة وشرعا، ويؤمن بوجود مدلوله أو فرضيته أو ندبه، ثم يلتمس للفظ إشارات أخرى ووجوهاً أخرى من المعنى الإشاري.

(٢) أي يكون بين الخوف والرجاء لا يغلب أحدهما الآخر لأن غلبة الخوف يأس وغلبة الرجاء إدلال وكلاهما مذموم.

(٣) ينظر إلى الدنيا ليرى آيات الله في الآفاق وفي الأنفس وينظر إلى الآخرة ليعمل ويجد في العمل فالصوفي يقوم بعمران الدنيا والآخرة معا ولا يدعو إلى خراب أحدهما سيرا على شريعة الإسلام، وفي هذا رد على من يتهم الصوفية بتخريب الدنيا وإيقاف التقدم والعمران هم لا يقولون ذلك، وإنما يقولون: اعمل في العمران للدنيا ولا تجعل في قلبك شيئا من ذلك أي «أخرجوها من قلوبكم وضعوها في أيديكم».

(٤) عبارة فارسية معناها «يارب».

أنه قال : الدنيا لأهل الدنيا غرور في غرور ، والآخرة لأهل الآخرة سرور في سرور ، ومحبة الله لأهل محبته نور على نور . والسرور من الدنيا سرور من غرور ، والسرور من الآخرة سرور من سرور ، والسرور من محبة الله سرور من نور .

وبهذا الإسناد ، أن ذا النون المصري ، أهدى إليه صلى فلم يقبله . وقال للرسول : قل لذي النون : إن هذا يصلح لمثلك لتصلي عليه . قال : فبعث ذو النون بوسادة كان [ت] أبلغ في تجريدته ، فلما جاءه الرسول قال : ارجع إليه . وقل له : من كان هو ووسادته فأى شيء يعمل بوسادتك .

وعن أبي يزيد مرسل^(١) أنه قال : إذا استولت على العبد حقائق الملك من الله عز وجل ، محقه من ذوق طعم الأشياء وهو فيها ، يغيب عنها وهو فيها ، ثم يغيب عن^(٢) فعله ، فيسكون غائبا عن الذي يحضر . كما كان غائبا قبل أن يحضر . وعن أبي يزيد أنه قال بالإسناد الذي تقدم . من اختار الدنيا على الآخرة ، يغلب^(٣) جهله عليه ، وفضله ذكره ، وموصيته طاعته ، ومن اختار الآخرة على الدنيا ، يغلب^(٤) سكوته كلامه ، وفقره غناه ، وهمه سروره ، ومن اختار رضى المولى على الدارين ، تغلب نفسه الرحمة ، وقلبه المحبة ، وسره القربة ، فتصير نفسه مقيدة^(٥) بقيد الخدمة ، وقلبه أسيراً بخوف الفرقة ، وسره مستأنسا بأنس الصحبة .

وروى عن أبي يزيد ، أنه سئل عن التوكل ، فقال : التوكل أن تجد كل ما هممت^(٦) به . وبالإسناد عنه ، أنه سئل عن التواضع ، فقل متى يكون الرجل

(١) فى الأصل « مرسل » .

(٢) فى الأصل « من فعله » .

(٣) فى الأصل « تغلب » .

(٤) فى الأصل « تغلب » وهو تحريف .

(٥) فى الأصل « مقيداً » .

(٦) هذه نتيجة التوكل وعلامة صدقه . والتوكل هو التخلص السكى من أثر =

متواضعاً ؟ قال : إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالة من شرها ورداءتها ، ولا يرى في الناس مثله مثلاً ، وعنه بالإسناد الذي تقدم أنه قال : كان يعظ نفسه فيصبح عليها . يا مأوى كل سوء . المرأة إذا حاضت طهرت بثلاثة أيام ، وأكثره عشرة أيام ، وأنت يا نفسي قاعدة مني ثلاثين سنة بعد ما طهرت فمتى تطهرين ^(١) ؟ إن وقوفك بين يدي الطاهر ينبغي أن تكوني [لأجله] طاهرة .

وعن أبي يزيد بالإسناد المتقدم ، أنه جاء رجل فقال : بلغني : أن عندك اسم الله الأعظم ، فأحب أن تعلمني . فقال له أبو يزيد : مه ، يا غافل ، اسم الله الأعظم ليس له حد محدود ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فإذا كنت كذلك فارفع أي اسم شئت ^(٢) ، وسئل مرة أخرى عن اسم الله الأعظم فقال تسألني عن اسم الله الأعظم فخبّرني عن الأصغر . ثم هاج وقال ليس له اسم صغير أسماؤه كلها عظام ، ولكن يحتاج إلى سرٍّ صاف .

وعنه بالإسناد المتقدم ، أن رجلاً من خراسان جاء إلى عنده ، فقال : أريد الحج فأوصني . فقال له : انظر إلى السماء . فنظر الرجل ، فقال له أبو

== الأسباب في القلب فيعمل العامل كما أمره الله ، ولا يفكر بعد ذلك في نتائج أعماله ، وهنا آفة دقيقة ، وهي أن يدخل العايد في التوكل ليكفيه الله ما أمه . وهو بذلك خارج من التوكل دون أن يشعر أما التجرد : فهو الخروج من كل سبب وهو مذهب قليل من الرواد في التصرف .

(١) في الأصل : تطهري .

(٢) كثير من المريدين يتناقلون عن السادة المرشدين ، أنهم يعرفون اسم الله الأعظم ، الذي إذا دعى به أجاب ، وبعض الصوفية ممن لم يصلوا إلى درجة العظام ، ذكروا أسماء مفردة ، أو مركبة ، أو جملاً ، وقالوا : إن فيها اسم الله الأعظم والحق ما قاله الإمام البسطامي ، من أنه ليس هناك اسم أعظم وأصغر ، وإنما الاسم الأعظم من يكون من حيث تفريغ القلب والتجرد لله بالكل ، وإحكام الجمعية على هذا التوجه ، فكل اسم حينئذ يدعو به الداعي ، يكون أعظم لأنه سيجاب به الدعاء بمجرد التوجه

يزيد : أتدري من خلق هذا ؟ قال : الله ورسوله أعلم . فقال أبو يزيد : هذه السماء . وصيتي لك من هاهنا إلى حيث مضيت ، أعلم أن من خلقها مطلع عليك حيثما كنت ، وعليه حسابك ، يعلم ما في قلبك .

وبهذا الإسناد عن أبي يزيد أنه سئل فقل له : كيف عرفت الله ؟ فقال للسائل : لو عرفت الله لما كنت تسألني عنه^(١) . ومن لم يعرف الله فلا يعرف قول العارف^(٢) . ومن عرف الله استغنى عن السؤال^(٣) ، وعنه مرسلا أنه قال . قال الله للكافر : آمن ، وللنافق أخلص ، وللعاصي ارجع ، وللحب ارض بحكمي . وللعارف . أبصر تر .

وعنه أنه سئل ، بأي شيء يصل العبد إلى الله ؟ قال بالخرس والصمم والبكم والعمى . وعنه أنه قال أحببت الله حتى أبغضت نفسي ، وأبغضت الدنيا حتى أحببت الله ، وتركت الدنيا حتى وصلت إلى الله ، ونخبرت الخالق على المخلوقين حتى أبغضت له .

(١) أي عن طريق معرفة الله .

(٢) لأن معرفة الله مرحلة من مراحل الإدراك خارجة عن حدود الوعي العقلي ، والعارف لا يعبر عن حقيقة مشاهداته الروحية ، وإنما يحاول تقريب المعنى بطريق الرمز والإيحاء الموسيقي للألفاظ ، فهم أول من ابتكر الآداب الرمزية . ابتكروا تعبيرات لا يفهم معناها ، ووقعها الإيحائي إلا هم : وكثير منهم لا يفهمون المشاهد إلا من هذا الطريق . طريق الإيحاء التوقيعي لآدابهم ، وكلما ارتفع العارف في المقام ، دق في أعين العوام : لعدم فهمهم لمعاني ما يقولون ، وينسبونهم إلى أشياء هم منها براء ، فلا يفهم كلام العارف إلا العارف .

(٣) لمعرفته بطريق الوصول إلى الله من جهة ، ومن جهة أخرى . هم لا يتركون مشهودهم ليسألوا عن طرق الوصول إليه التي لم يسلكوها ، أولم تصل إليها معارفهم . ولمعرفة الله طرق : بعدد أنفاس الخلائق كما يقول أئمة التصوف ، وأمهات هذه الطرق . العلم ، وهو مذهب الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي [راجع أوائل مواقع النجوم للشيخ الأكبر] ، والطريق الثاني ، طريق الصعود وهو ، طريق =

وعنه أنه قال . خرجت إلى الحج ، فرأيت في الطريق أسود . فقال لي : يا أبا يزيد إلى أين ؟ فقلت : إلى مكة . فقال الذي تطلبه تركته ببسطام وأنت لا تدري كيف تطلبه ، وهو أقرب إليك من جبل الوريد ^(١) . روى عنه أنه سئل ، فقيل متى يصل العبد إلى الله ؟ فقال : يامسكين . وهل وصل إليه أحد ؟ ولو بدا للخلق منه ذرة ما بقي الكون ولا من هو فيه .

== «الخلوتية» وهم يبدأون سلوكهم من أول مراتب النفس اللاصقة بالمادة ، ويدعون المرید يتفهم أسرار السلوك بتوجيه إيماني منهم ، فحينما يصعد السالك إلى مقام المعرفة العلية يكون قد فقه الكون وغرائبه ، فيعود من صعوده نازلاً ، وقد أضفت عليه المعرفة الإلهية سلوكاً جديداً نحو الكون ، والطريق الثالث ، طريق النزول ، وهو طريق الشاذلية . يبدأون المعرفة من فوق «ها أنت وربك» وحينما يتقن السالك هذا المقام ، ينزل إلى الكون درجة درجة ، ومرتبة مرتبة . والطريق الرابع ، طريق النقشبندية ، وليس للعقل في طريقهم مجال . فهم يبدأون بالفناء والتعاون الروحي والتوجه ، وطرح الروح ، ويفتحون منافذ الروح ويخلقون منافذ الحس تماماً ، ثم يصحون من مجالستهم هذه ، لينذكروا ما ألقى إلى الروح من المعارف فيدونوه أو يسكتوا عنه وقد وضع شيوخهم أسس التعاون الروحي بينهم ، لخدمة الدين وحاجة الدنيا . كما وضع شيوخ «الخلوتية» أسس التعاون المادي بين الإخوان ، ولم يبيحوا لهم التعاون الروحي ، إلا بعد إتمام السير الصعودي .

وعلى أي حال . فطرق السلوك الصوفي ، جديرة بالبحث والتصنيف ، فهي تفوق طرق التربية الحديثة وتسيطر عليها تماماً .

(١) أي بعد حجة الإسلام ، يمكن للعارف أن يتوجه إلى أي مكان من الأماكن المقدسة ، وتوجه العارف يمثل له المشاهد كأنها واقعة أمامه تماماً بل إنها أحياناً تكون حقيقة ماثلة ، وقد روى أن الجبال طأطأت إلى الأرض حينما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرسم القبلة في المدينة حتى يرى الكعبة ويرى عليها المخراب ، أو سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، سارية بن حصن «كما هو معروف فإذا خفت ذبذبات الروح اتصلت بما يشاكلها في الخفة والذبذبة وشهدت ما لا يشهد غيرها» =

وعنه بالإسناد المتقدم أنه قال : من نظر إلى الناس بالعلم مقتهم ، ومن نظر إلى الناس بالحقيقة رحمهم ^(١) ، وعنه أنه سمع رجلاً يقول : عجبت ممن عرف الله كيف يعبد ^(٢) ، وعنه أنه قال له رجل : دلني على عمل أتقرب به إلى الله . فقال : أحب أولياء الله ليحبوك ، فإن الله عز وجل ينظر في قلوب

== ونقل الصورة في «التفريز» خطوة في سبيل تحقيق انتقال الجنة من مكان إلى مكان . وقد نبه الصوفية على ذلك بوجود الأبدال الذين يقومون برحلات روحية يصحبها الجسم ويتركون مثلاً شبيهاً بهم في مكانهم إلى أن يعودوا . وسرعة تقدم العلم في العصر الحديث أمل أخير نرجو أن يكون قريباً ليطمئن الحيارى على ضخامة التراث الإسلامي فيعيدوا النظر فيه وللدلالة على ذلك . أن الإمام النابلسي : فصل نظرية النسبية من الناحية النظرية قبل أن يدركها « أينشتين » ، ولا شك في أنه نال في عصره من سخرية الساخرين الشيء الكثير [راجع خمرة الخان] .

(١) أي من وزن الناس وأعمالهم بالعلم ومقاييسه ، مقتهم واستصغروهم ، بل وربما احتقرهم . أما أهل الحقائق ، فينظرون إلى الناس من حيث الحقيقة ، ومن حيث أنهم لا شيء ، وأنهم مسيروون في صورة مخيرين . رحمهم ، وعطف عليهم ، لجريان المعصية عليهم ، ولذلك ترى كثيراً من أكابر الصوفية يعطفون على أهل الخطايا من هذه الناحية .

(٢) بعض القاصرين يفهمون هذه العبارات ، على أنها إسقاط للفرائض ، وإباحة للمحرمات بعد الوصول إلى الله كما يفعل الباطنية . ولكن المعنى الصوفي لهذه العبارة وأمثالها . أن هناك فرقاً بين العابد والعارف ، فالعابد ، يلاحظ الاثنية : عابد ومعبود ، طالب ومطلوب ، أجير ومؤجر ، ولكنها ليست اثنائية الشرك في حكم الشرع .

أما العارف ، فتسكون حركات العبادة ملكة له وخلقا ، يغنى عنها ، ولا يشعر بها ، لأنه في نعيم أعلى هو نعمة المعرفة ، فعبادة العارف ليست انتظاراً للأجر ، ولا رهبة من مخالفة الأمر ، وإنما هي لذة القرب ونعيم المؤانسة . وعجيب حقاً من ينزل من هذه المرتبة العالية ، إلى مرتبة الأجراء .

أوليائه كل يوم وليلة ، سبعين مرة ، فاعله ينظر ك في قلب وليته ، فيخفر لك .
 وروى عنه أنه قال : بالله أتقدم ، وبنفسى أنا خر . إذا وجد نفسه كان
 متخيراً وإذا فقد نفسه كان مختاراً^(١) ، قال أبو موسى ، [وكان] يقول : لله
 عباد لو بدت لهم الجنة بزيئها لضجوا منها كما يضج أهل النار في النار ،
 وروى عنه ، أنه جاء إلى حلقة [قوم] يقولون : ما قولكم في رجل مات
 وخلف من العقار كذا وكذا ، ومن الورثة كذا وكذا ؟ فقال أبو يزيد :
 ما تقولون في رجل خلف الله تعالى ؟ فنظروا وبكوا^(٢) ، وبهذا الإسناد
 أنه سئل أبو يزيد ، متى يكون الرجل عاملاً على معنى العبودية ؟ فقال : إذا
 لم يكن له إرادة ، فقلت وكيف يكون ذلك ؟ قال : تكون إرادته وتمنيه
 وشهوته داخلية في [إرادة] محبوبه ، ولا تتقدم له إرادة في شيء أبداً ، حتى
 يعلم إرادة الله عز وجل ومحبته فيه .

وبهذا الإسناد أنه قال : كنت عند أبي يزيد فذكر عنده الجاه والنفس ،
 فقال : يا أبا موسى إن المؤمن له نفس^(٣) ، ثم قرأ : إن الله اشترى من
 المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . فمن بايع نفسه فكيف يكون
 له نفس .

(١) أى إن فقد هوى النفس اختاره الله لحبه وجواره

(٢) أى إن البسطامى وجد قوما مشغولين بمسائل الغرائض والمواريث ، فعرض
 عليهم طريق الله ، فبكوا ، وليس المراد كذلك ، أن الصوفى ينهى عن دراسة
 الشريعة كما يدعى ذلك بعض السطحيين من الدراسين ، بل إن مذهب الصوفية
 يفرض على مريديه أن يحلوا ما تصح به الأركان الخمسة ، وما يظهر ، الحلال من
 الحرام ، وبعد إحكام هذه الآلة ، يجب استعمالها في الحال في تصحيح الأعمال لله
 ثم يرقى بعد ذلك إلى مرتبة المعرفة ، وحيث علمنا الغرائض ، فلا جدوى من فرض
 مسائل الإجابة عنها .

(٣) يريد الإمام البسطامى رضى الله عنه . أن يقول إن من هو في درجة الإيمان
 من الناس لا يزال مع نفسه لأن الشراء وقع على النفس التى هى مع المؤمنين ، فمن —

وعن أبي يزيد بالأسناد الذي تقدم أنه قال : من زهد في الدنيا فقد نبه
عن قدرها من قلبه^(١) ، إنما تشغل القلوب لمولى القلوب فقط ، أى لا يشتغل
بتسكف الزهد فيها ، فإنه لا شيء .

وروى عنه أنه قال : أول مقام التوحيد ، أن يصل العلم قائلاً ومستمعاً .
قال أبو موسى : وحدثني أبو^(٢) محمد بن عيسى بهذا الإسناد عن أبي يزيد ،
أنه سئل عن اسم الله الأعظم ، فقال في قولك لا إله إلا هو ، وأنت لا تكون
هناك^(٣) . وقال مرة أخرى : لا إله إلا الله وكن أنت ثم^(٤) .

وروى عن أبي موسى الدؤلى ، أنه قال : سمعت أبا يزيد يقول : بك
أدل عليك ، ومنك وإليك ، اللهم ما أطيب واقعات الإلهام^(٥) منك ، على
خطرات القلوب ، وأجل المشى إليك بالأوهام في طرقات الحيوب^(٦) ،

= أراد أن يبيع نفسه بثمرها الذي قرره المولى الكريم ، ترقى إلى درجة فوق الإيمان ،
وهى الإحسان فإذا باع المؤمن نفسه ، وحظى بنعيم المشاهدة فكيف يكون له نفس
بعد ذلك إلا إن كان من الأشقياء في الازل .

(١) لأنه أقام للدنيا وزناً يستحق الزهد فيه ، فالزاهد الحقيقي في الدنيا ، هو
الذى ينفى زهده ، حتى يصير له ملكة لا يشعر بها .

(٢) فى الأصل « أبى » .

(٣) أى بالفناء عن اللفظ والمعنى والحس كله واصطحاب الروح والسكون معها
والعمق بها فى مناطق الاستلهام العليا .

(٤) أى هناك فى أقصى ما تصل إليه الروح من مجال الاستكشاف .

(٥) واقعات الإلهام ، ما يرد على القلوب من المعارف الإلهية ، والعلوم الربانية ،
وفهم الأسرار الدقيقة ، والمعاني الرقيقة .

(٦) قد يحس السالك المؤمن بالغيب فى سلوكه ببعض المشاهد غير المنظورة ،
وقد يسلك الله به فى معاشه ودنياه طريقاً غير التى عهد لها ، والبسطامى . يستعيد
جلال هذا الطريق وعظمته ، أو المقصود ، نعيم الخواطر والواردات .

اللهم ما أحسن ما لا يمكن للخلق كشفه ، ولا للألسنة^(١) وصفه من حيث لا تدركه العقول والأفهام^(٢) .

وروى عن أبي يزيد أنه سمع رجلا يقول : الله أكبر . فقال : الله أكبر من كل شيء سواه . فقال : ويحك حددته . أو كان معه شيء فيسكون أكبر منه ؟ فقال له الرجل : ما معنى الله أكبر ؟ فقال أبو يزيد : أكبر من أن يقاس بالناس ، أو يدخل تحت القياس ، أو تدركه الحواس .

قال أبو موسى : حدثني بهذا الإسناد : أنه سئل عن طلب العلم فقال : إنما حسن طلب العلم وأخبار الرسول ، لمن يطلب الخبر به ، يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، أو الخبر عنه^(٣) . فأما من طلبه لتزين [به] نفسه عند الخلق ، فإنه يزداد بعدا من الله ورسوله .

وروى عن أبي يزيد أنه سئل من تأمرنا [أن] نصحب ؟ فقال : من إذا مرضت عادك ، وإذا أذنبت [فيه] تاب [عليك] وبهذا الإسناد عن أبي يزيد أنه قال : أليس الله يعطي العباد الجنة برضاه ؟ فإن أعطى عبدا من عبده رضاه ما يرجو بقصور الجنة ؟ ثم قال وزن ذرة من حلاوته ما [ذا] يرجو [بعدها] بقصور الجنة^(٤) ؟ ١١ وروى أبو جعفر النيسابوري ، عن أبي موسى الدؤلي ، عن أبي يزيد . قال : جاء رجل إلى أبي يزيد فقال : أريد أن أجلس معك في مسجدك الذي أنت فيه . فقال : لا تطيق ذلك . فقال : إذا رأيت أن توسع في ذلك . فأذن له . فجلس يوما فلم يطعم وصبر ، فلما كان في اليوم الثاني ، قال : يا أستاذ نريد القوت ؟ قال : يا غلام . القوت عندنا الله . قال : يا أستاذ . لا بد مما لا بد منه . قال : يا غلام . فلا

(١) في الأصل « بالسنة » .

(٢) يقصد غيب الذات الذي يعجز عن دركه كل من الكون .

(٣) يعني ما تتضمنه السنة من الأحكام .

(٤) أي لو أوتي الإنسان وزن ذرة من حلاوة الرضا فماذا يرجو بعد ذلك من قصور الجنة والمقصود : الزهد فيها .

بد لنا من الله . قال : يا أستاذ . أريد شيئاً يقيم جسمي في طاعة الله . قال :
يا غلام . إن الأجسام لا تقوم إلا بالله^(١) .

وروى أبو جعفر ، عن أبي موسى الدؤلي ، أنه قال : كان مع أبي يزيد
تلميذه عشرون سنة ، ما من يوم إلا يقول له : ما اسمك ؟ فاعظم ذلك على الغلام ،
فقال له في بعض الأيام : يا أستاذ ، أنا معك منذ عشرين سنة ، ما منها يوم
إلا سألتني عن اسمي . فقال له : يا غلام . ما أهزأ بك . ولكن غيب هني
اسم الواحد القديم اسم^(٢) كل محدث معدوم .

قال : وحدثني أبي بهذا الإسناد ، عن أبي موسى ، خادم أبي يزيد ، أنه
خرج ذات ليلة إلى رباط^(٣) بقرب بسطام ، يحضر^(٤) فيه الصالحون كل ليلة
جمعة^(٥) فلما جاء وجدهم على الطعام ، فقالوا له : هلم إلى طعامنا . فقال : حتى
أصعد إلى سور الرباط أولاً . وأكبر تكبيرة واحدة . فقالوا له : إنك

(١) مشرب عجيب من مشارب كبار الصوفية ، له في الكون وجود ، ولكنه
قليل ، يصبر أهله على الجوع أياماً متتالية . وقد أوضح الشيخ الأكبر : محي الدين
ابن عربي في كتابه « العبادلة » في الحديث عن « عبدالله بن عبد الواسع بن معروف » ،
مخطوط تحت الطبع لنا . قال : إنها ورائة نبوية ، لأن العارف يأكل في نومه ،
فالنبي يبيت جائعاً ويستيقظ من إطعام الله له ، وهو شبعان ، والولي يستيقظ وهو
شبعان . فإذا صدقت رؤية الولي ، ووجد الشبع بعد اليقظة ، فذلك من أجزاء
النبوة ، التي تكون للمؤمنين . لحديث الرسول عن الرؤيا الصادقة وأنها جزء من
أجزاء النبوة ، وقوله « من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه » . ثم قال
الشيخ الأكبر . وقد رأينا هذا بأنفسنا . أكلنا وأصبحنا وعلينا رائحة أثر الطعام
وشبعنا ، وهذه ورائة نبوية ، فهي للنبوة الأولى . [راجع أيضاً . كتاب الخلوة ،
للشيخ الأكبر ، مخطوط] .

(٢) في الأصل « واسم »

(٣) الرباط مكان يسكنه الصوفية « وينقطعون فيه للجهاد والعمل »

(٤) في الأصل « حضر »

(٥) في الأصل « الجمعة »

لا تعاشر الناس . فصعد السور وبقى إلى طلوع الفجر لم يكبر ، ثم كبر تكبيرة واحدة ، فقليل له في ذلك فقال : لم يوافق القلب اللسان ، فلم أزل أضرب نفسي ، أكره أن أذكره باللسان ، والقلب غائب . فلما أن أصبحت . فارقني الدم مكان البول ^(١) .

قال : وحدثني أبي بهذا الإسناد عن أبي يزيد . أنه قال : طلبت عشر سنين [أن] أصلي ركعتين لا كون فيهما [ما] ، فمكثت بعد ذلك عشرين أطلبني فلا أجدني ^(٢) .

وهذا الإسناد عن أبي يزيد ، أنه قال : لم أذكر منذ أربعين سنة أني استندت إلى حائط مسجد . فقليل له : لم لا تستند ؟ وفي ذلك رخصة ؟ فقال : سمعت الله يقول : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ^(٣) .

(١) ليس هذا ببعيد ، فإنه تعرض للبرد مدة طويلة . إن لم يكن ذلك من اضطراب الأجهزة الجسدية ، لقوة الجهد الذي يبذل في ربط القلب باللسان . فليس ذلك سهلاً كما يتوهم بعض البسطاء من السطحيين . حيث يرددون أنهم يستطيعون ذلك . وإنما هو تدريب طويل ، يقوم على النظام الدقيق الذي لا يقل دقة عن دقة العلاج النفسي الناجح إن لم بغته بكثير .

(٢) وذلك لأنه بربه . فلم يستطع أن يعود إلى مألوف الخلق ، فالثابت في التصرف ، ذوقاً وسلوكاً ، أن لذة المعرفة لا تعد لها لذة في الوجود ، وأن تلك اللذة بما لا يستطيع التعبير عنه بدقة ، وكل ما قالوه في وصفها « لو علم الملوك ما نحن عليه من لذة العلم ، لقاتلونا عليها بالسيوف ، فهي من المسائل التي تذاق ممن له ذوق صوفي بالذات ، ولا يمكن الحديث عنها لقصور اللغة .

(٣) وهو يخشى أن يكون استناده إلى جدار المسجد تعدياً لحدود الله وسوء أدب في بيته وحضرته

وحدثني بهذا الإسناد عن أبي يزيد أنه قال : غصت في بحور الأعمال أربعين سنة ، فصعدت ، فإذا أنا مرتبط بزئار (١) .

وعن أبي موسى ، عن أبي جعفر النيسابوري ، عن أبي يزيد أنه قال : عملت في المجاهدة ثلاثين سنة ، فما وجدت شيئاً أشد من العلم . فقيل له : أليس بالعلم جاهدت ؟ فقال : نعم . ولكن كان يختلف على باختلاف العلماء . ثم قال : اختلاف العلماء بركة في كل مسألة إلا في التوحيد .

وقال . وحدثني أبو موسى ، قال : حدثني أبو حفص ، عن أبي يزيد ، قال . كنت أطوف حول بيت الله الحرام ، فلما أن وصلت إليه ، رأيت البيت يطوف حولي (٢) ، وبهذه الرواية أنه قيل له : بلغنا أنك تمشي على الماء . فقال : سمكة تباع بدائق تمشي على الماء . ابن آدم أكرم على الله من السمك . فقيل : بلغنا أنك تمشي في الهواء . فقال : عصفور يباع بدائق يطير في الهواء . والمؤمن أكرم على الله من العصفور . قيل له : بلغنا أنك تأتي مكة بين

(١) الزئار منطقة للنصارى ولا يقصد أنه صار نصرانياً ، وإنما يقصد أنه لم يحس بتقدم كبير . وهو تعبير شاعري معروف في الأدب ، والمعنى الدقيق لهذا التعبير : أن النصرانية دعت إلى التجرد حقيقة ، ولكن كان ذلك التجرد طلباً لنوال ، هو الدخول في ملكوت الله ، فصارت كل أعمالهم أعمال أجراء عند الله ففهم غاص العارف في بحور الأعمال ، فهو لا زال كأهل الزئار ، في الصعود الروحي ودوافعه لا في العقيدة والإيمان . وليس في ذلك نهى عن الأعمال كما يتبادر إلى أذهان المتسرعين ، بل فيه أمر بنسيان الأعمال الخيرية كلها وعدم التعويل على أي نفع يعود منها ، وأولى بالمتسرعين في الأحكام . أن يغيروا أحكامهم ويقرروا أن هذا النوع من الناس أصلح الخلق لبناء الحياة على الأرض حيث يتطلب العمل البشري نسيان الذات ، والأعمال .

(٢) طوافه حول البيت قبل أن يصل إليه ، كان بروحه وتوجهه الكلى نحوه ، فلما قرب منه كرمه البيت وطاف حوله . وهو مشهد يراه هو ، ولا يراه غيره . ورؤيته له في مقام الوهم وهو مقام شريف .

الأذان والإقامة . قال : هذا فعل بعض الجن ، والمؤمن أكرم على الله [من الجن] . قيل له : يا أبا يزيد . فمن الرجل الذي خطه من الله هو ^(١) ؟

وهذا الإسناد أنه قال : طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب ، وانتظار الشفاعة بلا فضيلة نوع من الغرور ، وارتجاء الرحمة من غير طاعة حق وجهالة ، وفي التوراة : يا ابن آدم . الغنى في القناعة ، والسلامة في العزلة ، والحرية في رفض الشهوة ، والتمتع في أيام طويلة يوجد في الصبر ، على أيام قليلة .

وهذا الإسناد عن أبي يزيد ^(٢) . وقد وصلت ، اضرب بالدينار وجه عشاقها ، وبالأخرة وجه طلابها ، واطلب من بينهم المولى ، وعنه بروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأرجو ألا ^(٣) يضر مع الإيمان عمل ، كما لا ينفع مع الشرك عمل .

وأوحى الله إلى دأرد عليه السلام : إني ما أنحت كنه معرقى لخليلي ، ولا لروحي ، فلو قالا غير ذلك سلبا كل صالح مننت به عليهما . قال : وأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : أن يا عيسى اجعل طعامك جوعا ، وشرابك ظمأ ، واسكن قلبك السماء ، اجعل كلامك للقلوب دواء ، قال : وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى « ما حملتني سمواتي ولا أرضي ولا عرشي ولا كرسي ، وإنما احتملني قلب عبدي المؤمن الوداع

(١) أي ما دمت تنفي عن نفسك كل هذا فخطك من الله « هو » ومن هذا الرجل ؟ فالاستفهام للتعظيم . وعلى هذا يكون الكلام قد انتهى . ويجوز أن يكون سؤالا سقطت الإجابة عنه من الأصل . وهذا يدل على زهد الصوفية في الخوارق والكرامات ، وعدم اعتبارها في السلوك ، لأنها قد تختلط ، فتظهر على يد غير المؤمن ، ولأنها ليست غاية السلوك عندهم .

(٢) في الأصل هنا كلمة . عطف وأمامها في الهامش كلمة تنظر

(٣) في الأصل لمن لا يضر

الخاشع ، لولا أنى أنظر إلى قلبه^(١) فى كل يوم وليلة مائة مرة ، لا ضمحل
وثلاثى^(٢) ، قال : وأنشدنى الشيخ ، الفاضل أبو على قال : وأنشدنى
أبو الفتح البستى : —

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا قدما وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير قى صافى فصوفى حتى لقب الصوفى^(٣)

وسئل عن قول النبى صلى الله عليه وسلم : من يعمل بما يعلم ، ورثه الله
علم ما لم يعلم . قال أبو القاسم الجنيد رحمه الله : من عمل بعلم الرواية^(٤) ، ورثه
الله علم الدراية^(٥) ، وقال غيره : من عمل بما دعا إليه من الفرائض ، ورثه الله
المعونة فى الزيادة ، يعنى النوافل . وقال غيره : من عمل بما دعى إليه ، ورثه
الله الإخلاص والرضا واليقين فى القلب . وهو فعل الله تعالى .

وقال عمر بن عبد الله القرشى : قيمة كل إنسان همته ، فمن كان [ت]
همته الدنيا ، فقيمه أقل من جناح بعوضة ، ومن كان [ت] همته الآحوال
والدرجات والمقامات ، فقيمه القرب والدنو ، ومن كانت همته الله فيباه
الله وشرفه ، [ف] به قيمة ، لأن الله عز وجل ليس له نهاية .

(١) فى الأصل « قلوبهم »

(٢) النظر الذى ينظر به الله تعالى إلى قلب عبده المؤمن هو نظر الرحمة والملاطفة
ولولا هذا النظر لاضمحل القلب وتلاشى من تجليات الجلال والقهر ، ولا بد أن
يموت العارف فى مشهد الجلال فهو مشهد من مات به ثبت على الإيمان ،

(٣) اعترض علماء اللغة على هذه التسمية . وقالوا : إذا نسب إلى أهل الصفاء .
قيل : صفائى لا صوفى . كما اعترضوا على أن هذا الاسم نسبة إلى أهل الصفة وقالوا
النسب إليها صفى . ولتحقيق هذه التسمية [راجع أول إيقاظ الهمم . لابن عجيبة
الحسنى . .]

(٤) أى رواية الحديث

(٥) أى دراية المتون والرجال والمصطلح

وقال: أيها الحكيم قيمة كل إنسان همته ، إن كانت همته الدنيا ^(١) فقيمته لا شيء ، وعلامته إذا غضب يرضى بعرض الدنيا ، فيؤثر حظ نفسه وشهواته ، ومن كانت همته الآخرة فقيمته الجنة ، وعلامته أن يكون غضبه لحق الله ، ورضاه بحق الله ، لا للنفس ولا لدنيا ، ومن كانت همته الله ، فقيمته رضى الله ، وعلامته ألا يستأنسه ولا يوحشه ولا يؤنسه شيء .

وسئل يحيى بن معاذ عن معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه » قال كريم القوم تقيهم . قال الله عز وجل : إن أكرمكم عند الله أتقاكم . على موافقة كتاب الله ، ماتأولت [من] أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن الفاسق لا يكون كريما على الله ولا على رسوله .

(١) يدخل في هذا الباب . استعمال الذكر لصرف الهموم والديون ، والإعانة على الأسباب ، فهل يعتبر العامل بذلك من أصحاب همة الدنيا ؟ أحسن ما قيل في هذا الموضوع قول سيدي أحمد زروق في قواعد التصوف . القاعدة (١٢٣) وجاء فيها « استراق النفوس بما يلائمها طبعاً ، لما فيه نفع ديني مشروع . فمن ثم رغب في أذكار وعبادات لأموال دنيوية كقراءة سورة الواقعة لدفع الفاقة ، وبسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، لصرف البلايا المفاجئة وأعوذ بكلمات الله والتامات من شر ما خاف ، لصرف شر ذوات السموم والحفظ في المنزل ، إلى غير ذلك من أذكار صرف الهموم والديون والإعانة على الأسباب كالغنى والعز ونحوه .

بيان ذلك : أنها إن أفادت عين ما قصدله ، كان ذلك داعياً لحبها ، وحبها داعٍ لحب من جاء بها ، ومن نسبت له أصلاً وفرعاً . فهي مؤدية لحب الله . وإن لم تؤد ما قصدت له ، فاللطف موجود بها ، ولا أقل من أنس النفس بذكر الحق ، ودخول ذلك من حيث الطباع أمكن وأيسر ، ولهذا الأصل أسس الشيخ أبو العباس البوني ومن نحا نحوه في ذكر الأسماء وخواصها وإلا فالأصل . ألا تجعل الأذكار والعبادات سبباً في الأغراض الدنيوية لإجلالها والله أعلم .

في الصوم

وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل ، كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به . الجواب : أما ما ذكر عن الزهري فيه [ف] قولان ، أن الله جل ذكره يؤدي إلى المظلوم من حسنات الظالم ، حتى لا يبقى من عمله شيء غير الصوم ، فيقول المظلوم يارب : قد بقي له الصوم ، فيقول الله عز وجل : الصوم لي خالص وأنا أجزي به عنه بأضعافه ، فيرضى الله الخصم بالصوم دون سائر الأعمال^(١) .

وقال أبو سعيد الخزاز : الصوم في اللغة هو الإمساك عن الطعام والشراب دون غيرهما ، والله جل ثناؤه لا يطعم ولا ينبغي له أن يطعم ، فإذا أمسك الإنسان عن الطعام والشراب ، فقد صار موصوفا بضرب من الصمدية ، فقال جل وعز : الصوم لي . أي نعت من نعوتي ، وأنا أجزي به أكثر مما يأمله الصائمون مني .

[في تأديب الأولاد]

عن عيسى بن أحمد . قال : أخبرنا يزيد بن هارون . قال : أخبرنا عامر ابن صالح . قال : حدثنا أيوب بن موسى . عن أبيه ، عن جده . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن » قال أبو بكر : وجاء رجل إلى باب عمر ، فدق به ، فقال عمر : من بالباب ؟

(١) يلاحظ أنه لم يذكر القول الثاني عن الزهري : ولم يذكر نية الصوم اكتفاء بما ذكر عن النية في التجوع لله . ويرى سيدي عبد العزيز الدباغ في « الإبريز » أنه لما كان إنزال آدم من الجنة إلى الأرض بسبب الأكل من الشجرة كان الأكل هو سبب كل معصية . فهو يتختم الإنسان فيقده عن العبادة . ويشير النزعات الخبيثة ، ويدفع إلى السرقة والغش والخداع والتفاق ، ومع كثرته يكثر احتمال النجاسة في الثوب والجسد لذلك جعل الله أعظم القربات الصوم ، لأنه ترك لأساس المعصية ، وسد لبابها ، ومن هنا كان الصوم خالصا لله تعالى ، فإذا أداه العبد بظاهره وباطنه ، استحق الجزاء الآوفي .

فقال : أنا فلان بن فلان الفلاني : فقال عمر : إن كنت نقيبا من الحرام فأنت كريم ، وإن كنت حسن الخلق فأنت شريف ، وإن كنت عاقلا فسيد كبير ، وإلا [ف] أقل حمار خير منك . وعن محمد بن الفضل . قال : حدثنا علي بن عبيد . قال : حدثنا الخاطبي قال : سمعت ابن عصير قال : أدب ابنك فإنك مسؤول عن ولدك ماذا أدبته ؟ وماذا علمته ؟ وهو مسؤول عن برك وطواعيته لك . وقال القائل :

كن ابن من شئت واتمس أدبا يغنيك محموده عن النسب
ليس يغني النسب نسبه بلا عقل يرى ولا أدب
قال أبو بكر . وقد أمرنا الله تعالى في كتابه بتأديب رعيته حيث يقول :
يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا^(١) .

صفه علامة المؤمن

وصفة وصف النحل في الطيران

وهي أربعون خصلة ، قوله تعالى : أوحى ربك إلى النحل [أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون] أثبت الله تعالى للنحل بهذه الآية شرفا ، ومهد له في ملكه بنفسه مسكنا ، وأباح له ما كان حلالا طيبا ، وأحسن الثناء عليه في صنيعه ، وحث العباد على التفكير في عجائب

(١) والنية في تأديب الأولاد : —

- ١ — أن يكون من دعاء الولد الصالح ما ينفع والديه عند الله ، لأن الولد من الأعمال التي لا تنقطع بموت الوالدين . وولد الإنسان من سعيه .
- ٢ — أن يكون في الولد الصالح عز للإسلام ، ومنعة للإيمان ، بالقدوة ، أو بنشر العلم ، أو غير ذلك من أنواع البر .
- ٣ — أن ينوى بتربية الأولاد أن يكونوا صلة لأرحامهم ، وعونا للمحتاجين من الأهل والعشيرة .

٤ — أن يكثر بالولد المسلمين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله . فتقوى بذلك مشوكة الإسلام .

٥ — أن يكون النسل كله طاهرا مهديا فتقل الآثام بين المسلمين .

أحواله ، وفي المؤمنين من وصفه وصف النحل في خلق الله ، وعيشه عيش النحل في مملكة الله ، وحاله حال النحل مع الله ، والمؤمنون مع كرامتهم عند الله وشرفهم في خلق الله ، وعزمهم في مملكة الله ، على طبقات متلونات في معاملة الله ^(١) ، ومقامات متفاوتات عند الله .

والمؤمنين طرق بعدد نجوم السماء إلى الله ، ومقامات بعدد الأوراق متفاوتات عند الله ، مؤمن كامل ، ومؤمن ناقص ، ومؤمن قوى ، ومؤمن ضعيف ، ومؤمن بشاش هشاش ، ومؤمن منقبض هيوب في قلوب الناس ، ومؤمن سهل ، ومؤمن مستعص ، ومؤمن حبيب ، ومؤمن محبوب ، ومؤمن حاصل ، ومؤمن محصول ، ومؤمن مرید ، ومؤمن مراد ، ومؤمن طالب ، ومؤمن مطلوب ، ومؤمن واصل ، ومؤمن موصول ، ومؤمن لين في الله ، ومؤمن شديد في الله ، ومؤمن يجد المزيد مع الخلق ، ومؤمن يجد المزيد باعتزال الخلق ، ومؤمن لا يصير مع الخالق إلا في الوقت ^(٢) ،

(١) هذا باب جديد من الدراسة المقارنة : يجب أن تنتبه إليه أفهام الدارسين . فمثلا . نرى البأس مشتركاً بين الحديد ، وقوة المؤمنين في أكثر مواضع القرآن والبأس معنوي والحديد مادي ، ونرى التقوى في القرآن صورت بالنور وكذلك العلم ، وألهم الله النمل ، والمهدد ، والدابة وتلك مواضع دراسة واسعة نرجو أن نوفق إليها في القريب العاجل إن شاء الله .

وقد صور القرآن طوائف من غير المؤمنين بصور شتى . فجعل من الكفار قردة وخنازير وجعل عابد الهوى كالأنعام بل هم أضل سبيلا . وجعل من الإنس شياطين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا . وجعل منهم من يأكل ويتمتع كما تأكل الأنعام ، وجعل منهم الصم البكم العمى وإن كان لهم عيون وآذان وألسنة .

(٢) يمكن تمييز كل نوع من هؤلاء من ظاهر الحال . فالأسرة دلائل على السريرة . قال تعالى : سيأثم في وجوههم من أثر السجود ، وقال الرجل الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم : فلما رأيته علمت أنه ليس بوجه كذاب ومعرفة

وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم مثلاً للمؤمنين في مقاماتهم ، اثني عشر مثلاً في أحاديث متفرقة ، كل مثل هو وصف طائفة [من] المؤمنين .

المثل الأول :

روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل المؤمن كمثل النحلة ، أكلت طيباً وصنعت طيباً ، ووقعت على عود فلم تكسره » قال أبو طالب المسكي رحمه الله . فهذه صفة المؤمن المطعم غيره الطيب ، المطعم بنفسه ، النافع للأمة المعطى ماله من غير مسألة ، الخفيف المؤنة ، السكاف الأذى عن الجملة ، يحضر في محضر فلا يضر ، ويظن به الظن الحسن ، ويطمع فيه فيصدق ، ويعرف على هذه الصفة طائفة من المؤمنين .

= الرجل من ثلاثة وجوه : كلامه . وتصرفه . وطبعه . ويمكن التعرف عليها كلها من مغاضبته ، فإن لزم الحق وسامح الخلق فهو مؤمن عارف وإلا فلا . ويرى الشيخ زروق في قواعده أن التعرف على أحوال الرجال يستعان عليه بدراسة ما غلب على طباع بلادهم من الحق أو الباطل ، فإن أردت أن تعرف صالح بلد ، فانظر لباطل أهلها . هل هو برىء منه أولاً فإن كان بريئاً فهو ذاك وإلا فلا عبرة به . وضرب لذلك أمثلة . فقرر في أهل المغرب الأقصى السخاء وحسن الخلق وكذلك أهل الأندلس . وفي أهل المشرق الغيرة لله وسلامة الصدر . وقد قرر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأصل وضرب له أمثلة فقال في أهل نجد . الفتنة هاهنا . وقال عن الفرس : لو كان الإيمان بالثريا لأدرك رجال منهم وعن أهل اليمن . أنهم ذوو أفئدة . وعن أهل المدينة ، إلى غير ذلك . [راجع ٥١ : ٥٢ . القواعد] .

ومعنى المؤمن السكامل في أصح الآراء هو الذي يوازر إيمانه بالعمل الصالح دائماً ، ومعنى المؤمن الناقص : الذي لا نصيب له من الزوائد وشبهها نقص الإيمان وكاله ، بالشجرة الذابلة فإذا أرواها الماء أينعت . والفرق بين المؤمن الحاصل والمحصل كالفرق بين الفاعل والمفعول . فالحاصل ، حصل الإيمان واكتسبه ، والمحصل سبقت له الحسنى بالإيمان حصوله الله في قلبه .

المثل الثاني :

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تميلها الريح مرة هكذا ، ومرة هكذا ، والخامة من الزرع هو الرطب الأخضر الناعم . وهذه صفة المؤمن المبتلى المقصود بالحن والمصائب في الدنيا ، يأتيه البلاء من كل مكان ، فيميل بالجرع والشكوى أحيانا ، ويرجع إلى الاستقامة فيستوى قائما بعد الميل والاعوجاج ، وهو الصابر في البلاء ، [١] مستسلم للحكم والقضاء ، يجرع ثم يرجع إلى الصبر والتجديد سريريا ، ويشكو في الأحيان ثم يندم ويستغفر ، ويظهر حال ضره وبلائه ، في الأوقات للناس ، ثم يستحي من الله ويعتذر ، ومع ذلك لا يزيده الابتلاء إلا قربا إلى الله تعالى ، وعلى هذه الصفة طائفة من المؤمنين .

المثل الثالث :

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : مثل المؤمن كمثل السنبلة ، تقلبها الريح يمينا وشمالا : وهذه أيضا صفة المبتلى بالمصائب والحن المقصود بالحسرات والأمراض ، غير أنه أشد مخاطرة من الأول ، وأقرب إلى الدمار والهلاك . لأن الخامة من الزرع مع ميلها يمينا وشمالا بهبوب الريح آمنة من الكسر والقطع ، وربما تندس في الوحل عند شدة العصف ولا تنكسر . والسنبلة على المخاطرة من الكسر ، والمؤمن الفقير يخرج صحيحا سليما من الابتلاء مع أجر وثواب وفضل ، لأنه خفيف من المال صاف لين في الحال ، كالخامة في لينها ولطافتها وخفتها ^(١) . والمؤمن الغني ثقل بالمال ، كدر في الحال ، كالسنبلة في المعنى ، يضر به البلاء مالا يضر [٢] الفقير ^(٢) ، وكلاهما مراد بالخير والأجر ، لأن البلاء هدايا الرب

(١) في الأصل الضمير العائد على الخامة . مذكر في الجملة كلها وهو خطأ .

(٢) من أجود ما كتب إن لم يكن أجوده على الإطلاق في الفرق بين المؤمن المتقل من المال ، والمستكثر منه . الباب الثاني من كتاب « النصائح الدينية » للحارث ابن أسد المحاسبي ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٤١٦ تصوف : والمعركة الفكرية

جل جلاله ، لا ينقده إلا من يحبه ، ويريد صلاحه وصفاه . عن أنس ابن مالك رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مثل المؤمن مثل السنبلة ، يميل أحيانا ، ويستقيم أحيانا ، ومثل أمتي كمثل المطر ، لا يدرى أوله خير أم آخره (٣) .

المثل الرابع :

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : مثل المؤمن كالنملة ، تجمع في صيفها لشتائها ، وهذه صفة المؤمن . الضعيف اليقين ، الكسوب الجموع خشية الحاجة والجوع ، يؤمن بالرزاق أنه لا يمنعه ما قدر وقسم ، ولكن لا يطمئن قلبه إلا بالحركة في طلب المضمون ، ولا يتقوى بيقينه إلا بالجرب والكيس (٤) والكرز وهذا الشخص موصوف بحب الدنيا ، وشدة

في هذا الباب قديمة ، بدأت بوادرها في عهد الخليفة الثاني رضى الله عنه ، وظهرت بوضوح في عهد الخليفة الثالث رضى الله عنه ، وتبدو حدة المعركة من قصة أبي ذر الغفارى ، حينما بلغه أن كعب الأحبار رد على من خافوا على عبد الرحمن بن عوف فيما ترك ، بقوله : كسب طيبا وأنفق طيبا . ولما بلغ ذلك أبا ذر ، خرج مغضبا ، فوجد في طريقه لحى عظيم بعير فأخذه ، وقصد كعبا ليؤدبه ، فهرب كعب إلى دار عثمان ، واختبأ خلفه ، ودخل عليه أبو ذر وشتمه ، وروى له حديثا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ينفر فيه من الاستكثار من المال .

(٣) هذا تبشير من النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين في عصرنا فقد أبهم الخير بين أول الأمة وآخرها .

(٤) قال الله تعالى : إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين . فو رب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون . وأكد الله ذلك للإنسان بحرف التوكيد والضمير وبالقسم . وإن واللام . ليطمئن إلى وعد الله وقال قبل ذلك ، وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فالإنسان شك في المضمون له من الرزق وسعى فيه بنفسه ، ثم أهمل ما طولب به من العبادة . وعلى أى الحالين فوصف هؤلاء بالمؤمنين =

الشهوة ، وغلبة الحرص ، وقريب من الشح والبخل ، وعلى هذه الصفة طائفة من المؤمنين .

المثل الخامس :

روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : مثل المؤمن كالفرس في آخيته^(١) . يدور ويدور ؛ ثم يرجع إلى آخيته ؛ كذا المؤمن . يسهو ثم يرجع إلى إيمانه ودينه ؛ وهذه صفة المؤمن المتخلط في المعاصي والآثام ؛ والواقع في الشبهات والحرام ؛ بالسهو والغفلة ؛ وغلبة الهوى والشهوة لا بالتعمد والقصد ، المفتون^(٢) التواب [صاحب] النفس^(٣) اللوامة . تغلبه النفس عند الشهوة ، وتخدعه في^(٤) الشهوة . ثم يرجع سريعا إلى الله بالتوبة . وهو الذي لا يصبر عن ملاقة الناس . ولا يجد الأُنس في العزلة عن الناس . يخالط الناس مرة ويعتزل عنهم مرة . إذا كان مع الخلق خلط وأفسد ومزق ، وإذا رجع إلى الحق صفا وأصلح^(٥) ورقع . فلهذه حالته حتى يأتيه مزيد العناية من ربه ، وعلى هذه الصفة طائفة من المؤمنين .

== خطأ . فشرط الإيمان ألا يجد الإنسان حرجا من قضاء الله وأن يسلم أمره تسليما وهذا النوع لم يسلم أمره لله ، بل وجد الحرج في نفسه من القضاء .
(١) قال ابن السكيت : هو أن يدفن طرفا الحبل في الأرض فيظهر منه مثل العروة تشد إليها الدابة

(٢) في الأصل : المفتن

(٣) في الأصل : والنفس اللوامة

(٤) في الأصل : وتخدعه عند الشهوة .

(٥) إنما يضطرب الصوفي هكذا ، لأن وجهته تختلف عن وجهات غيره من العلماء فقد يتغير قلبه إذا خالط الفقهاء . لأن الفقيه يعتبر ما يسقط الحرج - أما الصوفي فيعتبر ما يحصل به الكمال : وقد يتغير قلبه بمخالطة الأصوليين . لأن غاية الأصولي صحة المعتقد . وغاية الصوفي قوة اليقين . وقد يتغير قلبه بمخالطة المفسرين وأصحاب الحديث . لأن كلا منهما يعتبر الحكم والمعنى . والصوفي يطلب الإشارة =

المثل السادس :

روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : مثل المؤمن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب . وهذه صفة المؤمن العالم : العامل القارىء ، الهادى غيره : المهتدى بنفسه ، الذاكر . هو المذكر للغافلين : الصالح بنفسه المصالح للفسدين ، فالأترج طيب ريحه . حسن لونه : لذيد طعمه ، غريب اسمه ، رفيع قيمته ، كذلك هو المؤمن المشبه به في المثل . طيب ريحه ، يسمع بمناقبه وفضائله من بعيد ، حسنة مشاهدته وسيماه وسماته عند التلاقي من قريب . لذيد مخبره ومعاشرته ومخالطته ومحادثته لمن وجد إليه الطريق غريب اسمه . لا اجتماع الفضائل فيه ولنفسه .

في الأحوال ، رفيع قيمته ، لأنه رحل لله على الإخلاص والصدق ، وعلى هذه الصفة طائفة من خواص المؤمنين .

المثل السابع :

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : مثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها . وهذه صفة المؤمن التقي الصالح غير العالم بأمر الله ، ولا المعلم لعباد الله ، ولا الهادى ^(١) غيره ، ولا النافع سواه ، عالم بربه ، يخافه ويعرفه ، ويرجوه ويحبه ، غير عالم بدينه وأمره وأحكامه ، مستور في حاله ، متورع في دينه ، صالح في نفسه ، لا تعدو منفعته إلى غيره ، وعلى هذه الصفة طائفة من المؤمنين .

== بعد إثبات ما أثبتته المفسر والمحدث . أما إذا أخذ الإشارة دون إثبات ما أثبتته المفسر والمحدث والفقهاء والأصولى فهو باطنى خارج عن الشريعة . ولهؤلاء الباطنية مسبشعات تدمى لها القلوب فيأمامهم يسمى إلها لولاه في حب الله ، ويبيحون التزويج من بناتهم ومن الذكران ويسقطون الأركان ويؤلونها . والجنة عندهم إباحة المرأة [راجع : منشورات اسماعيلية : دمشق : نشر الدكتور عادل العوا . عقائد الباطنية لليمانى : نشر . عزت العطار - القاهرة . فضائح الباطنية للإمام الغزالي] (١) في الأصل « المهدي غيره »

المثل الثامن :

روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : مثل المؤمن كالجمل الأنف ، إذا قيد استقاد ، وإن استنبح على الصخرة استنبح ، وهذه صفة المؤمن الهين اللين ، السهل القريب ، المجيب المحمّل المتحمل ، ينخدع ولا يخدع ، فيوافق الإخرا ن ولا يخالف ، يتبع الحق ويدور معه ، كبيراً كان المتبوع أو صغيراً ، يدارى ولا يدهن ، ولا يمارى ، ويغتازل من الأذى والجفا ، ولا يحقد ولا يكافىء ، كاظم الغيظ فى الأشياء ، كافى^(١) الأذى لوجود الورع والتقى ، اللذان^(٢) هما للإنسان كالبرة^(٣) فى أنف الجمل ، تمنعه عن الحرد ، والإباق^(٤) والهرب ، كما قيل فى المثل : إن الخوف والتقى لم يتركا لذى غيظ غيظا .

المثل التاسع :

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : مثل المؤمن كالنخلة لا ينتثر ورقها ، ولا ينقطع ثمرها . صفة المؤمن القوى المسكين ، الكامل الأمين ، ذو القلب الغنى والهيبة [ال] إلهية ، والإخلاص الخضرى ، والبهاء الربانى ، ليس يباهى ولا يلاهى ، ولا يفتر عن الخدمة ، ولا يبخل عن العبادة ، ولا يسأم من الذكر ، ولا يتغير عن الصلاح ، والاستقامة ، توحيده ومعرفة راسخه^(٥) ومشاهدته شامخة^(٦) لطيف الخلق والأصل ، عفيف النظر حصيف العقل . وعلى هذه الصفة طائفة من خصوص المؤمنين المقربين الذين هم

(١) فى الأصل : كافى الأذى .

(٢) فى الأصل « الذى » .

(٣) حلقة من صفر تجعل فى لحم أنف البعير ، وقال الأصمعى : تجعل فى إحدى جانبي المنخرين .

(٤) الحرر والاباق : الهرب .

(٥) فى الأصل « راسخ » .

(٦) فى الأصل « شامخ » .

فوق أصحاب اليمين ، وهم قليلون عزيزون ، فاضلون ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

المثل العاشر :

روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن من المؤمنين من هو أشد في الله من الصخرة ، ومنهم من هو ألين في الله من الحرير ، وهاتان (١) صفتان فاضلتان لشخصين مؤمنين فاضلين ، وحالان محمودان عن مقامين عاليين ، ووصفان صالحان من أوصاف أهل المعرفة والإيقان ، وصفان جليان من من مناقب التقى والإيمان .

وشاهد هذا من العلم وصحته (٢) في الأصل . كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ألين في الله من الحرير ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أشد في الله من الصخرة ، وحسن الشدة والحذر والغضب في الله والله عند العلماء والفضلاء . بحسن (٣) البر والحلم والسياسة ولكل مقام رجال ، ولكل عمل عمال ، ولكل طريق سلاك ، هم درجات عند الله .

وغضب أبي بكر وشدة في دين الله يوم الردة كان أشد من غضب عمر وشدة (٤) ، وإبراهيم الخليل عليه السلام كان ألين في الله تعالى من الحرير ،

(١) في الأصل « وهذه » .

(٢) في الأصل « وصحته » وهو تحريف

(٣) في الأصل « بحسن » والمعنى . أن أنه كما يحسن البر والحلم مع الناس ،

يحسن الغضب والشدة لله وفي الله .

(٤) كان الصديق يرى أن المسألة لا تخرج عن شيئين إمطاعة ، وإما رد إلى الطاعة بالقوة وكان الفاروق يرى أن هؤلاء ضعفاء الإيمان فلا حاجة للمسلمين بهم . ويعال الأستاذ العقاد هذه المسألة في « عبقرية الصديق » تعليلاً نفسياً . بأن الصديق كان صاحب مزاج عصبي وكان يعتصم بالوقار دائماً وكان دقيق البنية نفثي أن يستهين الناس به فجرد حملة الردة ونجح في إقناع المرتدين بأن صاحب البنية الدقيقة أو « أبا الفصيل » كما كانوا يطلقون عليه هو أبو الفحول يستطيع ردهم =

وموسى السكيم عليه السلام كان أشد في الله من الصخرة ، والمؤمن اللين في الله ذو معرفة مشوبة بالخوف والتعظيم والغيرة ، وكان هرون عليه السلام أحب إلى بنى إسرائيل وأقرب إليهم من موسى عليه السلام ، لرفقه بهم وسماحته معهم ، ولينه لهم ، وحسن عبادته وترجمته للتوراة ، وكان موسى عليه السلام أحب إلى الله وأكرم عليه من هرون ، ذكره أبو بكر النقاش [في] كتاب شفاء الصدور . الممنى له والعبارة لنا .

ومعرفة مراتب الرجال للعبارة شديدة ، لا يعرفها ^(١) إلا الرجال . ومشاهدة درجاتهم في المقامات والأحوال عند ذى ^(٢) الجلال أشد وأصعب ، لا يوجد إلا عند السادة الفضال ، والجبايرة الأبدل ^(٣) .

المثل الحادى عشر :

روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : مثل المؤمن كالنعمجة ينتشر صوفها ، ويحلب درها ، ويمشش ^(٤) عظمها ، وهذه صفة المؤمن السلامى السخى بالله بعد السؤال ، كالشاة لا ترسل لبنها ^(٥) حتى يجلس تحتها ^(٦) الحالب فيحلب . كذلك المؤمن المتواسع في حال البر ، الوصول مع إخوانه ،

ومصادرتهم . وكان الفاروق صاحب بسطة في الجسم فهو على ثقة من أمره إن تعدى الأمر إلى خروج آخر عن الاسلام .

(١) فى الأصل : شديد لا يعرفه .

(٢) فى الأصل : ذوى الجلال .

(٣) فى تعريفات الجرجانى وتعريفات ابن عربى . أن الأبدال هم رجال يقومون برحلات روحية وجسدية إلى أما كن بعيدة ويتركون جهة شبيهة بهم مكانهم بحيث لا يشك أحد فى أنهم فى مكانهم لم ينتقلوا منه وقد ألف السيوطى رسالة فى إثبات وجودهم .

(٤) أى يضع عظمها والمشاش رموس العظام اللينة التى يمكن وضعها .

(٥) فى الأصل « لبنه »

(٦) فى الأصل « تحتها »

لا يشرك حتى يُحرك ، ولا يصبح حتى يتعرض ، و [لا] يسعى في الفساد إذا حرك ، مستغن عن قائد وراع . وحافظ ، ليس مثله كالنحل لا حاجة لها إلى هذه الأسباب من غير جنسها ، ففكر ^(١) .

يحتمل عن الناس الأذى والضرر ، ويوصل إليهم النفع والخير كالنعجة تأكل الشوك والهشيم ، وتطعم اللبن والزبد والسمن واللحم ، وعلى هذه الصفة طائفة من المؤمنين ، فقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأمثال للمؤمنين ، وفي مثله فوائد كثيرة ، ولها معان غير قليلة ، وتحت أمثاله أبحر من العلوم والحكم ، وليس معنى المعنى المضروب للمؤمنين بهذه المخلوقات من المحبوبات مثل النحلة والجملة وغيرهما ، واقع على الخلقة والصورة . والجنس والجوهر ^(٢) ، إنما هو واقع على الصنائع والسيرة ، والعمل والوصف ، ووجود المنافع .

بيان ثانى عشر :

غير ما ذكرناه . فى تفسير مثل المؤمن المشبه بالنحل . فمثل المؤمن الموقن العارف المخلص فى جنس الناس ، كمثل النحلة فى جنس الطير ، ثم استخراج فوائد التمثيل يحتاج إلى مزيد فهم وفطنة وتذكير ، وقد تفكرت فى معنى فائدة ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن بالنحلة ، وتدبرت خطاب الله عز وجل فى وجه تفضيله النحلة بالوحي إليها من بين أجناس الطير ، وفى ذوات الأجنحة من يضارع النحلة بريح جناحه ، وبأكله بمنقاره ، ولم يوح الله إليهم ، كما أوحى إلى النحل ، فاستنبطت علم الكتاب ، وفتشت فوائد الخطاب . واستخرجت منه ما وكه الرب إلى الفهم والأفكار ، ورده إلى القلوب فأودعه غوامض الأسرار ، حيث قال فى

(١) أى إن النحلة تسعى وتصنع العمل من غير دافع لها من الخارج بخلاف النعجة فإنه لا بد من دفعها لانزال اللبن . دفعا من الخارج والفرق بين المؤمن الشبيه بالنحلة والشبيه بالنعجة واضح بعد هذا التفسير

(٢) فى الأصل : والجوهر

أجزاء وصف النحل وذكره إياه بالوحي وما يتعلق به . إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون .

فحث الرب عباده المخاطبين على التفكير في حال النحل ، ونبههم على وجود العبر والآيات فيه ، وحرصهم على استخراج فوائد العلم والحكمة منه ، وقد وجدت في النحل أربعين خصلة محمودة ، حسنة ، فاضلة ، صالحة ، شريفة لطيفة ، وكل ذلك يوجد في المؤمن ، وهو فائدة ضرب المثل ، ومقتضى أمر الرب بالتفكير ، وأنا أفرد كل خصلة من ذلك على حد الاختصار ، ليكون تذكرة للمؤمن الصبار ، وتبصرة للمحب ذى اللب والاعتبار . وهو من علم القرآن المستودع في باطن الأمثال ، المردود إلى التفكير والاعتبار ، ولا قوة إلا بالله .

قال : بلغنى عن سفيان الثورى ، أنه قال : لقي رجلا راهبا فقال له يا راهب . كيف رأيت دار نشاطك ؟ قال ما أتت على ساعة إلا وأنا فيها مهمل وما كنت أحسب أن أحدا يسمع بذكر الجنة والنار تأتى عليه ساعة لا يصلى فيها ، [قال] فكيف أملك ؟ قال : مارفعت خطوة ، ولا وضعت خطوة ، إلا وأنا أرى أن الموت سيأتى فيما بينهما ، فسأله عن حاله ، فقال : يا راهب . إنى لأسجد فأبكى فى سجودى حتى ينبت العشب والبقل من دموعى . قال له الراهب : إنك إن تضحك وأنت معترف بخطيئتك ، خير لك من أن تبكى وأنت مدلل بعملك^(١) . اعلم أن صلاة المدلل لا ترفع ، فاتق الله

(١) إنما جاء هذا الاختلاف فى مشارب الصوفية لتعدد الطرق بما يناسب الميول والفطر والأفهام فمن شئ كان لكل فريق طريق من طرق التصوف فالمحاسبى يناسب عموم الصوفية وابن الحاج يناسب الفقهاء فى مدخله ، والمحدثون والحكماء يناسبهم تصوف الشيخ الأکبر والعابدون يناسبهم ما كتبه الامام الغزالى والمرتاضين رسالة القشيرى وللنساك قوت القلوب والاحياء والمناطقه كتب ابن سبعين وللطباطيين كتب البونى وأسراره وللأصوليين تحقیقات الامام الشاذلى وللروحانيين كتب سيدهى مصطفى البكرى وللعلماء عموما مجالس سيدهى عبد القادر الجيللى . رضى الله عنهم .

وازهد في الدنيا ولا تنافس أهلها فيها . وكن فيها كالنحلة إن أكلت
أكلت طيبا ، وإن وضعت وضعت طيبا ، وإن وقعت على عود لم تكسره ،
فمن كان مطعمه حلالا ، وكان ذا سخاوة بما أنعم عليه ذو الجلال ، كاف
الأذى عن النساء والرجال ، مخلصا لله بالأعمال ، فهو المؤمن المضروب
مثله بالنحلة .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : مثل المؤمن في الناس كمثل
النحلة في الطير . كل أجناس الطير يستضعفها ، ولو علموا ما في بطنها [لبجلوها] .
فكذلك يا أخى المؤمن . لو علم الناس ما في بطنه وقلبه وماهية فضله وكيفية
مرتبته عند ربه ، للحسوه بالسنتهم وحملوه على أكفهم^(١) ومهدوا له في
حجورهم ، واشتروا صحبته^(٢) بأموالهم وآثروه على نفوسهم ولكن خفي
ذلك منه عليهم ، بإخفاء الله . حكمة منه غامضة . وحجة بالغة . ليقضى الله
أمرا كان مفعولا . والمؤمن المجتمع فيه ما في النحلة من لطائف الخصال
يكون اسمه آدميا ، ووصفه روحانيا ، وخلقه ربانيا ، وطبعه نورانيا^(٣) ،
وحواشه ملكوتية ، وأنفاسه جلالية ، ومواجيده وإشاراته عربية^(٤) والله
يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ولأبي بكر الصديق رضي الله عنه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :
إذا أردت شريف القوم كلمهم فانظر إلى ملك في زى مسكين
ذاك الذى كلمت فى الناس سوءده فصار يصلح للدنيا وللدين

ذكر تفصيل الخصال المجتمعات في النحلة

الموجود مثلاما وشبهها^(٥) في المؤمن

الأولى : من ذلك أن جميع أجناس الطير لو اجتمعوا ، فعاون بعضهم

(١) فى الأصل على أكفهم

(٢) فى الأصل « صحبتهم »

(٣) فى الأصل « آدمى ، روحانى ، ربانى ، نورانى »

(٤) فى الأصل « حواشه ملكوتيا وأنفاسه جلالية ومواجيده وإشاراته عربى »

(٥) فى الأصل . الموجودات مثله وشبهه

بعضاً على أن يعملوا مثل عمل النحل ، ويهتدوا إلى صنع مثل لطيف صنعه في صنعته ، لم يقدرُوا عليه . كذلك لو اجتمع جميع الخلائق غير المؤمنين^(١) على أن يعملوا عملاً يشبه عمل المؤمن في الجودة ، وجلالة القدر والقيمة ، ما قدرُوا عليه .

الثانية : النحل يخاف من أذى الطير وظلمهم ، وهو كاف الأذى عنهم ، كذلك المؤمن . يصل إليه أذى الخلائق ولا يصل أذاه إلى الخلق .

الثالثة : النحل يستصغره جميع الطير ويحتقره ، ولو علموا ما في جوفه ، وذاقوا طعم ما معه لا كرموه وبجلوه^(٢) ، وكذلك المؤمن من الناس ، يستصغره الجاهل ، ويحتقره السفلة والردال ، ويذمه الأندال ، ولو علموا ما في قلبه من حسن ودائع الرب وعجائب الغيب ، لصاروا تراباً تحت قدمه وحملوه على الرؤوس .

الرابعة : كل أجناس الطير يعيشون لأنفسهم ، ويسعون في طلب الأشياء لشهوتهم ومرادهم ، والنحل يعيش لصاحبه ، ويسعى أبداً في حاجة ماله ، كذلك المؤمن كل الناس يتحركون في الأسباب باختيارهم ولراحة نفوسهم . غير المؤمن فإنه يعيش في الدنيا لله تعالى . ويريد حياته لطاعته ، ويسعى في الأسباب لحظ غيره . ولحق أوجبته عليه حكم ربه .

الخامسة : جميع الطير إذا جن عليهم الليل يبيتون^(٣) في أوكارهم ، وتستريحون بالنوم في أعشاشهم . ويسكتون عن السعي والحركة لمعاشهم ، غير النحل . فإنها تعمل بالليل أكثر مما تعمل بالنهار . كذلك حال المؤمن من أجناس الناس ، إذا جن عليهم الليل احتشوا في البيت ، واضطجعوا على فرش الغفلة . غير المؤمن [فإنه] ينصب قدميه . ويقوم في محرابه بين يدي مولاه . يناجيه في فسك رقبته . ويشكو إليه بلواه .

(١) في الأصل . « المؤمن »

(٢) في الأصل « يكرموه ويجلوه »

(٣) في الأصل « إلى »

السادسة : حرم الله تعالى قتل النحل ^(١) وأذاه . وأحل منفعته وأجلّ قبله . والنافع من غير النحل . كذلك مثل المؤمن . حرم الله تعالى قتله وعرضه وماله وأهله . وأحل للمستحقين منفعته . ومن ليس بمؤمن أحل [الله فيه] الأمرين .

السابعة : عمل النحل يكون في السر والخلوة ، وإنما يظهر للناظرين وقت الفراغ ؛ كذلك المؤمن ؛ يخفي عمله بالإخلاص عن جميع الناس ، وإنما يظهر ذلك للناظرين في عرصة القيامة .

الثامنة : النحل [يأخذ] ما يحتاج إليه ^(٢) من عين الشيء ، ولا يضر بالأصل . ولا يؤثر فيه بالنقص ، كذلك المؤمن ، يأخذ كفايته من مرافق دنياه ؛ وقوام نفسه ، وصلاح دينه وقلبه ، ويتزود منها زاد آخرته ، ولا يضر بالأصل ، ولا يفسد في المملكة ولا يسرف .

التاسعة : النحل لا يتحرك ولا يخرج من بيته ولا يسعى في حاجته في يوم غيم وظلمة ومطر وريح ، ورعد وبرق ووحل . بل يلزم مكانه حتى يصحو يومه ، كذلك المؤمن كيس وقاف . إذ كثر الظلم ، وفشا الحرام ، وأعدا [ت] المناكر ، وظهرت الفتن ، ووقع الهرج والمرج في الناس . ولا يكثر التصرف في طلب المعاش ، بل يلزم بيته ، ويحفظ لسانه ويده ، ويخفي مكانه ، ويقبل على شأنه ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا ، لأنه من كونه ^(٣) .

العاشرة : ^(٤) النحل يتنزه ويتنظف عن التلطيخ بالأنجاس ، والتلوث بالأقذار ، وكذلك المؤمن يتورع عن الحرام والمعاصي ، وكل قبيح وفاحش وخبيث .

(١) في الأصل النحلة .

(٢) في الأصل « إليها »

(٣) أى لأن المؤمن من كون الله الذى تجرى عليه أحكامه ولاراد لقضائه فيه .

(٤) في الأصل « العاشر »

الحادية عشرة : (١) للنحل عشرة أنواع من الآفة . فيهن هلاكها ، وفساد حالها ، وانقطاعها عن عملها . الدخان . والبرد . والحر . والغيم . والنار . والماء . والريح . والظلمة . والوحل . والغوغاء من الجنس والعدو والخارجي .

كذلك المؤمن ، له عشر آفات . فيهن خراب قلبه ، وفساد دينه ، وفتوره عن عمله ، دخان القسوة والغفلة . وبرودة الإصرار والبعد . وحرارة الهوى . وغيم الشك . ونيران الشرك . وطوفان حب الدنيا . وطامة الجهل . ورياح البلاء والقتل . وتتن الحرام . ووحل الفساد والظلم والمنكر . ونوع غوغاء من مثله وعلى اسمه [وهو] المبتدع والمنافق . وخارجي من ضده وهو الكافر . نعوذ بالله من هذه الآفات .

الثانية عشرة : النحل لا يختلط ولا يجتمع مع من ليس من جنسه ، وإن كان ببعض الأوصاف يشبهه . كذلك المؤمن لا يخالط ولا يعاشر ولا يالف من ليس له من أهله ، وإن وافقه بالاسم والرسم على المجاز .

الثالثة عشرة : النحل يخرج من بطونها شراب مختلف الألوان ، [في] كل لون منه منفعة غريبة (٢) ، كذلك المؤمن الفاضل ، يخرج من قلبه أشربة مختلفة الألوان ، متفاوتة المنافع . فيجري ذلك على لسانه ، مثل العلم والحكمة ، والوجد والإشارة ، والفراصة . والشوق ، والمحبة والصدق والنصيحة . ونحو ذلك .

الرابعة عشرة : النحل يضع الحدث من دبره ، وما كان من العسل يتقياً من فمه ، كذلك المؤمن يخرج شهادة للتوحيد ، وغرائب العلم ، وتلاوة القرآن والذكر والطيب [من القول] والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، من فمه على لسانه ، وما كان من القاذورات والأحداث يخرج من دبره وقبله .

(١) في الأصل « الحادى عشر »

(٢) راجع [تذكرة داود حرف النون]

الخامسة عشرة : النحل يأكل الطيب ويضع الطيب . ويطعم غيره الشهى ^(١) الطيب . كذلك المؤمن طعمته طيب [ة] وعليه طيب .

السادسة عشرة : النحل إذا وقعت على عود وشجرة لم تكسره ، وإذا حملت حاجتها ^(٢) من المأم تكدره ، وإذا أخذ كفيلاًته من الورد لم يفسده ، كذلك المؤمن . يعامل الناس في الأشياء بالصفة والعدل ، والشفقة والنصيحة ، يخالط ليعلم فلا يؤلم ولا يظلم ، ويعتزل ويفارق ليسلم .

السابعة عشرة : من عادى النحل وعرض ^(٣) له بالمكروه ، وأكثر الحركة والجلبة ^(٤) واللجاجة معه لسعته وأوجعته ، ومن سالمه ولزم الثبوت ، لم يتعرض له ، كذلك المؤمن . طبعه وخلقه وسيرته . من أخفى المنكر عنه ، وكمى النفاق دونه ، وستر قبائح الأعمال عن رؤيته ، لم يتجسس أثره ، ولم يطلب عثراته ، ومن أظهر ذلك أنكر عليه باللسان ، وتناوله باليد .

الثامنة عشرة : النحل تراه أبدا يدور حول رياض الزهر ، ويجول في مروج الرياحين ، وعلى شطوط الأنهار ، وعلى أبواب دكاكين الحلوانيين ، وذلك وقت فتوره . كذلك المؤمن تراه أبدا يدور حول مجالس العلم والذكر ، وعلى أبواب العلماء والحكام والعارفين المتفردين المتزهدين التاسعة عشرة : النحل إذا هجم على روضة زهر ^(٥) وورد وريحان ، لم ينقطع عن الاختلاف إليها والنقل ^(٦) عنها ، حتى يغنى الشيء أو يتلف ^(٧) هو في طلبه .

(١) في الأصل « الشى »

(٢) في الأصل « حاجته »

(٣) في الأصل « ويعرض »

(٤) في الأصل : الجلبة

(٥) في الأصل « زهرة »

(٦) في الأصل « والعقل » والتصحيح على الهامش

(٧) في الأصل : ويتلف

كذلك المؤمن إذا تنسم روح نسيم القرب من ربه، أو وجد حكيمًا صادقًا،
وعالمًا ناصحًا ينصحه في دينه، أو عارفًا زوحيانًا يخبره عن ربه، أو فتح
له باب عمل صالح، دام عليه وثبت، حتى يحول الموت بينه وبين ذلك،
«وإذا قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا».

العشرون : النحل إذا كان زمان الربيع والصيف، نقل [زاده] من
الخارج إلى الداخل، وعمر بيته، وإذا أقبل الشتاء، وتغير الهواء، دخل
البيت فعكف فيه، وأقبل على إصلاح مرماة عمله، كذلك المؤمن. يدور
في الربيع والصيف في طلب قوته، وكفاية عياله، بما لا بد منه، فإذا أقبل
الشتاء. جلس مجالس الذكر والعلم، ولزم ركب العلماء والحكماء، وعكف
في المساجد، وأقبل على العبادة، ونظر في حاله، وسوى مرماة عمله.

الحادية والعشرون : النحل يأكل من كد يده، ويطعم غيره من كسبه،
ولا يتعرض لشيء غيره، ولا يمد عينيه إلى ما ليس له، كذلك المؤمن
[يأكل] من كد يده، ويواسي غيره، ولا يلح في المسألة إذا احتاج.

الثانية والعشرون : النحل إذا لم يكن في بيته شيء يأكله؛ لم يدخل
بيت بنى جنسه فيأكل شيتهم، ولكن إن وضع بين يديه في بيته من ذلك
الشيء أكل. وإلا فلا. كذلك المؤمن. لا يدخل بيوت الناس عند الضرورة
والحاجة للطعمة^(١)، ولا يأكل شيء الناس بالكره والغلبة، ولكن إن
وضع بين يديه شيء بلا تعرض ولا تسكف منه أخذ. وإلا فلا.

الثالثة والعشرون : النحل لا يعمل بالرأى والهوى والاستحسان،
بل يقتدى بإمامه، ويتبع أمر اليعسوب، ولا يخرج عن طاعته. كذلك
المؤمن. لا يعمل بالرأى والاستحسان والهوى، ولكن يقتدى بأئمة الدين،
وعلماء المتقين.

الرابعة والعشرون : النحل لا يتمكن في عمله حتى يسد على نفسه باب

(١) في الأصل «مع حال الطعمة»

البيت ، فإن بقيت كوة أو خرق لم يسده فرغ منه ^(١) ، ثم يفرغ [١] لعمل بعده كذلك المؤمن لا يجد حلاوة الطاعة ، ولا نشاط العمل ، إلا في الخلوة ، حيث لا يراه أحد غير الله ، أو شخص من أهله ، وإظهار العمل للأهل في الحضر وللرفيق في السفر لا يخرج من الإخلاص .

الخامسة والعشرون : النحل لا حاجة لها في شيء من ^(٢) الدنيا إلا في شيئين : الماء والورد والزهر والرياحين . كذلك المؤمن لا حاجة له في شيء مما في الدنيا إلا في شيئين : العلم النافع . وذكر الله والعمل الصالح . معهما . شغله ، وعليهما قبالة ، ومنافسته ، وعندهما موته .

السادسة والعشرون : النحل رسم جسمه صغير ، ومنظر شخصه حقير ، وعمله في الوزن ثقيل ، وفي القدر والقيمة جليل ، وفي اللذة والحلاوة أطيب شيء . كذلك المؤمن في المنظر حقير وفي رسم الجسم صغير ، وفي القدر والقيمة والعمل جليل .

السابعة والعشرون : للنحل ثلاث حالات : حال طيران بالجناح ، وحال حركة وعمل بالبدن ، وحال استراحة وسكون ، كذلك المؤمن . له ثلاثة أحوال : حال طيران بالقلب ، والهم في برارى الملكوت والغيب ، والتدبر في معانى العلوم . وحال عبادة وخدمة عملا بالجوارح ، وذكراً باللسان . وحال سكون عن الحالتين ، ويفرغ [فيه] إلى ما أباح الله تعالى له من الأكل والشرب وملاعبة الأهل .

الثامنة والعشرون : النحل يقاتل من تعرض لمتاعه . أين كان ، ويدفع يد من مد يده إلى تناول رأس ماله من الشهد والعسل ، فلا يسلم ذلك ^(٣) لأحد طوعاً ، إلا إذا كان بالقهر والغلبة . كذلك المؤمن يبذل نفسه

(١) أى : فرغ من إحكام سده قبل العمل .

(٢) فى الأصل « فى الدنيا »

(٣) فى الأصل « لذلك »

وماله ، ويحرز دينه وعمله ، ويحمي ذويه ، ويقاتل عليهم ^(١) .

التاسعة والعشرون : جميع الطير ينجس ^(٢) بموته ، والشئ الذي يموت فيه ينجس به ، والنحل طاهر في حال حياته ، وبعد مماته ، كذلك المؤمن . طاهر لا ينجس في كلتا الحالتين .

الثلاثون : هو أن الذ الشهورات في الدنيا ، وأحلى الحلاوات ، هو ما يخرج من النحل . كذلك المؤمن . يخرج منه أحلى الحلاوات ، والذ الشهورات . معرفة الله تعالى . والإيمان الخالص ، والعلم النافع ، والمحبة الصافية ، فليس في الملكتين أطيب منه .

الحادية والثلاثون : النحل يصرعه الريح العاصف فيطرحه في الماء والوحل ، وبين الشوك وعلى الأرض ، فيتخلص ويقوم ، فإذا طرحتها في النار ووسط الدخان هلك ، ولم ينج . كذلك المؤمن . يصرعه الحكم والقضاء ، فيطرحه في الذنوب والمعاصي ، حتى ينجو منه ، ويعفو الله عنه ، فإذا وقع في الكفر والبدعة هلك ، ولم يرج صلاحه .

الثانية والثلاثون : كل الطير يصطاد بالحبوب ، وتنصب له الفخاخ والشوك ، فيقع فيها . والنحل لا يصطاد بشئ من ذلك ، إنما يصطاد بما يخرج منه وهو العسل ، فيموت عليه . كذلك المؤمن . لا يصطاد بحطام الدنيا ، إنما يصطاد بالله عز وجل . أو بما لله من الحق والعلم والحكمة .

الثالثة والثلاثون : للنحل ^(٣) رئيس ما دام بينهم لا يظفر بهم العدو ، ولا يطمع في فساد مالهم وتخریب بيتهم الغوغاء ، فإذا مات أو خرج معيوبا هلكوا . كذلك المؤمنون . ما دام العلماء والأمراء بين ظهرانهم ، لا يظفر بهم العدو ، ولا يظفر بهم الشيطان ، فإذا لم يبق من هؤلاء بقية هلكوا .

(١) في الأصل « عليه »

(٢) في الأصل « ينجسه »

(٣) في الأصل « النحل »

الرابعة والثلاثون : إذا خرج رئيس النحل معيوباً . أفسد النحل عمله ، فخرّب العمل بفساد العامل بيته ، وإذا كان الرئيس ^(١) مستقيماً صالحاً [ت] أمورهم . كذلك المؤمنون . إذا كان أمراؤهم ، عادلين ، وعلماءهم متقين ، وتجارهم صادقين ، وصناعهم ناصحين ، صالح [ت] أمورهم وإلا فهم الهالكون ^(٢) .

الخامسة والثلاثون : بيت النحل عامر مع وقوع النفس والمرض والفساد في النحل ، إذا كان الرئيس صالحاً ، كذلك يهلك العام بفساد الخاص ، ولا يهلك العام بفسادهم مع صلاح الخاص ^(٣) .

السادسة والثلاثون : النحل صنفان : صنف في الجبال والأشجار ، وصنف في العمران والأكوار ، فما كان منهم في الجبال والأشجار ، [ف] هم محفوظون عن التلوث بالشبهات ، والوقوع في الهلكات ، وما كان في الأكوار وتحت أيدي المخلوقين في العمران ، لا يؤمنون من الهلاك . كذلك المؤمن صنفان : صنف مستورون في الأسواق والعمران ، وصنف زاهدون منقطعون في الجبال والكهوف ، جالسون في الخلوات ، فمن كان منهم في العمران يختلطون بالناس ، لا ينجو [ن] من الفتنة ، والوقوع في الحرام والشبهة ، والصنف الآخر آمنون سالمون طاهرون .

السابعة والثلاثون : النحل يطرح في بيت خال من المتاع ، فارغ من المنافع ، ليس فيه ما يتعيش به ، فلا يوحشه ذلك ، بل يسكن ويستقر .

(١) في الأصل « الرهن »

(٢) إنما يهلك المؤمن بفساد التجار والصناع والعلماء والأمراء لفساد الضمائر وشيوع الخداع فتضطرب الأحوال فيتغير باطن المؤمن وربما أهلكه تغير باطنه أو لنزول المقت من الله على الجميع « اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة »

(٣) لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، ولأن الخسواص الصالحين يوالون الأمة بالنصح والإرشاد ، ولأن الله لا ينزل مقتته إلا بعد قبض الصالحين .

كذلك المؤمن . لا يوحشه حال الفقر والغنى ، والإفلاس ، لما قد خصه [هـ] الله به من زيادات اليقين ، ووجود حلاوة الأنس برب الناس .

الثامنة والثلاثون : النحل إذا أخذ وحبس في [أى] موضع أسكنته انقاد واستقر فيه ، كذلك المؤمن مجيب . إلى أى موضع أسكنته ودعوته أجاب ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمن كمثل الماء إلى أى أرض سقته انساق ، ما لم يكن هناك نهى أو نقص في الدين .

التاسعة والثلاثون : النحل طبعه في الشتاء لا [يحب] غلبة حرارة ولا برودة ، ولكن بين ذلك . لأنه إذا كان موضعه حاراً يؤذيه ويفسده ، وإذا كان [كانت] غلبة البرد كذلك يهلك ، وكذلك المؤمن . بين الخوف والرجاء . غلبة الرجاء تفسد عليه أمر دينه وغلبة الخوف تقنطه ^(١) من رحمة ربه ^(٢) .

الأربعون : النحل يخاف من أحد شيئين : سموم الصيف ، وزمهرير الشتاء . كذلك المؤمن . بين مخافتين : بين أجل قدمه لا ما يدري الله ما صانع به ، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاصد فيه .

وقال ذو النون المصري رحمه الله عليه . إن العارف لا يلزم حالة واحدة وإنما يلزم ربه في الحالات كلها . وقال بشر الخافى رحمه الله : يأتي على الناس زمان تكون الدولة فيه للحمقى على الأكياس . وقال : النظر إلى الآحق سخنة عين ^(٣) والنظر إلى البخيل يقسى القلب . وقال : لا تكون

(١) في الأصل « فتقنطه »

(٢) في الأصل : لا غلبة الرجاء تفسد عليه أمر دينه ، ولا غلبة الخوف تقنطه من رحمة ربه . وهو ظاهر الخطأ من جهة المقارنة بين هذه الحالة وحالة النحل في الصيف والشتاء . ومن جهة الواقع . فغلبة الرجاء تفسد الدين وغلبة الخوف تقنط من الرحمة ولذلك قالوا يحب أن يكون المؤمن بين الخوف والرجاء كالطائر بين جناحيه

(٣) على هامش الأصل « عكس قرة العين ، وسخنت عينه ، فهو سخين العين ، وأسخن الله عينه أبكاه .

كاملا حتى يأمنك عدوك. وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك.
قال : ورأيت بشر الخافى يوما باردا وأنا أرتعد من البرد، فنظر إلى وقال :

أطوى الليالى مع الأيام فى رتق^(١) والنوم تحت رواق^(٢) الهم والقلق
قالوا رضيت بذى قلب المتنوع غنى ليس الغنى كثرة الأموال والورق
رضيت بالله فى عسرى وفى يسرى ولست أهال إلا واضح الطرق

[أقوال فى المحبة]

وقيل المحبة على ثلاثة . محبة العام ، ومحبة الخاص ، ومحبة خاص الخاص
فمحبة العام محو القلب عن حب المعصية ، ومحبة الخاص محو القلب عن حب
الدنيا ، ومحبة خاص الخاص فى سر السر مع حقائق الإيقان . محبة
العام فى ترك الكبائر ، ومحبة الخاص فى التوبة من الكبائر والصغائر ،
ومحبة خاص الخاص فى التوبة من الخواطر^(٣) ، وعلامة المحبة أن تحب
حبيب حبيبك ، وتبغض عدوه^(٤) ، كما قال الله تعالى : قل إن كنتم تحبون
الله فاتبعونى يحببكم الله .

وروى أن أبا عبد الله اشترى جارية فلما دخل داره قال : قومى وافرشى
الشياب . قالت : ماذا تصنع يا مولاي ؟ قال : أنام . قالت : ألك مولى ؟
قال : نعم . قالت : وينام مولاك ؟ قال : لا . قالت : أما تستحى أن تنام
ومولاك لا ينام ؟ وكانت حبيبة العدوية تقول :

عجبا للمحب كيف ينام كل نوم على المحب حرام

(١) على هامش الأصل « الماء الرنق الكدر ، ورنفته كدرته »

(٢) الرواق ستر يمد دون السقف .

(٣) التوبة من الخواطر ألا يلقى المحب لها بالاً بل يزهد فيها ولا يروىها إلا
لتعليم وتربية . ولا عقوبة على الخاطر الأول إذا كان شيطانياً ، وإنما يحاسب
العارفون على الخواطر لأنهم حققوا ودققوا . ومن دق دقق عليه .

(٤) ولذلك وجه الله تعالى خطابه للمؤمنين قائلاً : لا تتخذوا عدوى وعدوكم
أولياء تلقون إليهم بالمودة . وقال : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى

وسئل يحيى بن معاذ . ما علامة المحب ؟ قال : إذا عُرِفَ فر ، وإذا
أوذى صبر ، وإذا ابتلى سرى سير الدهر ^(١) ، عروس القبر ، شريف المحشر .
لأبي سعيد الخراز :

لا تُسْخِذْ عَنْ فَلْيُحِبِّ دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه ^(٢) بِمُحَرِّ بلائه وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة ^(٣) والفقر إكرام وبر عاجل
وسئل أبو سليمان الداراني عن علامة المحب . فقال : أن يكون قارا
من الناس كالوحوش ^(٤) . واسمه في قلبه منقوش ^(٥) وهو بين يدي الله تعالى
كالهائم المدهوش قال وهب بن منبه : مكتوب في التوراة . يابن آدم
حيث طلبتني وجدتني . وأجرك حيث لا أحب ، فلا تظن أني غافل .
وما سترتك فبرحتي . يابن آدم لو أحببتني وحق عليك ما عصيتني ، وهل
رأيت حبيبا يعصى حبيبه ١١ ؟

عن شقيق البليخي قال خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فلما توسطت
البادية ، رأيت غلاما وهو يمشي على التاني والثودة . قال : فدنوت منه .
وسألت عليه . فرد على السلام وأطرق مليا . فقلت له : حبيبي . امش مشيا
جيذا لعلك تبلغ سريعا ، قال : فالتفت إلى وقال : يا سبحان الله ما أكثر
تكلفك . على المشي وعليه البلاغ ، قال : فتركته ومضيت فلما بلغت مكة ،
رأيت شخصا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول :

(١) السرى السير بالليل ، والدهر يسير سيرا رتبيا لا اختلال فيه ولا اضطراب
فكذلك المحب عند البلاء يسير في حياته اليومية كما كان دون اختلال .

(٢) في الأصل « بنعمته »

(٣) يرى الصوفية أن المنع عين العطاء . فما منع الله السالك من زينة الدنيا
إلا ليعطيه الأحوال والمقامات والعلوم .

(٤) في الأصل : الوحش . والتصحيح رعاية لذوق الصوفية في التزام اللحن اللفظي

(٥) أى : اسمه « المحب » منقوش في قلبه لا يعلن عنه .

رب مكحول بملول^(١) الأرق قلبه وقف بنيران الحرق
 عند مولاه يضافي وده لم يفرقه عن الناس فرق
 إن تفكر جعل الفكر له وبه يفتح فاه إن نطق
 قال طال اشتياقي فمتى آن للعاشق يلقى من عشق
 فدنوت منه فإذا هو الغلام الذي تركته في البادية . قلت له : مه يا غلام
 عن هذا الكلام ، في مثل هذا المقام . فقال : يا شقيق . جئت بفضول
 البادية إلى ههنا دعني وصاحبي . وأنشأ يقول :
 أهيئ به حتى الممات بحبه وحولي من الشوق المبرح خندق
 وفوق سحاب ماطر الشوق والهوى
 وتحتي بحور للمـوى^(٢) تتدفق
 فكم مجلس قد عشت فيه بذكره فماقت حتى كدت بالدمع أغرق
 وروى أن يحيى المرصلي [كان] يشتهي أن يرى الشبلي بعد موته في
 المنام ، وصلى ركعتين ، ووضع جبهته على الأرض ، وقال ثلاث مرات :
 يا قديم الإحسان ، يا دائم المعروف ، يا لا إله إلا أنت ، بحق هذه الأسماء
 [إلا] أريتني الشبلي في المنام . فأخذه للنوم . فرآه في النوم ، وقال له :
 يا شبلي . ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، فقال : بماذا ؟ فقال : بوعظي^(٣)
 للناس ، وذكرهم [لا إله] إلا الله ونعماءه . قلت أي شيء رأيت منه ؟ قال :
 رأيت روحا وريحانا ، وربما غير غضبان ، قلت : ما تصنع الساعة ؟ قال
 وضع لي كرسي في السماء الرابعة وقيل لي : يا شبلي . ما وصفت الدنيا إلا
 بأنها شجرة الشر ، بلاؤها منتشر ، أهلكت أكثر البشر ، عاقبتها ندامة المحشر ،
 أصلها جهالة ، أغصانها غفلة ، أوراقها وسوسة ، طلعها حميم ، ظلها يحموم .

(١) المملول : الميل الذي يتكحل به .

(٢) في الأصل « بحور الهوى » وهو نخل بالوزن .

(٣) في الأصل « لوعظي »

اسمها قلة ، تكنى أم لا شيء^(١) . فقلت له : هل سألت الله في دار الدنيا حاجة ؟ فقال : ثلاث حاجات فقضاني واحدة . فلا أدري هل يقضى الباقي أم لا : سألته أن يقبض روحى بنفسه . وسألته إن كنت من أهل الجنة أن يعطينى الثواب بنفسه ولا يخلينى إلى خازن الجنة . وإن كنت من أهل النار فيعذبني بنفسه ولا يخلينى إلى^(٢) مالك خازن النار . فلا أدري ماذا يصنع معي . قلت له عطنى فقال : احفظ الله يحفظك ، واذكر الله يذكرك ، وتقرب إلى الله يقربك ، قلت له : انصرف . هل لك حاجة ؟ فقال .

أبشر أحبائي أن الموت سلوتهم والموت راحتهم^(٣) والموت تقريب الله يدعو إلى دار السلام رضا الله يدعو إلى بر وتحبيب ما تصنعون بدار غير باقية ما تصنعون بدار فيه تعذيب قال : وكان يوما . عند الشبلى جماعة من الفقراء ، فأصابتهم فاقة وشدة ، فكتب إلى وزير الخليفة : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : وجه إلينا من دنياك شيئا ، فكتب الوزير على ظهر الرقعة ، يا شبلى : سل دنياك من مولاك . فكتب^(٤) إليه الشبلى . إنما الدنيا [شيء] دنى وأنت دنى ولا يسأل الدنى إلا من دنى ، الدنيا هذه ، ولك منها عبرة ، فمن يريد العبرة ، فهو أقل من العبرة . فوجه إليه عشرة آلاف درهم .

وقال : سئل بعض الحكماء . من أين معاشك ؟ قال : من عند من ضيق على من يشاء من غير قلة^(٥) ، ووسع على من يشاء من غير علة ، وقال من دقة [ق] النظر في دينه ، طبق عليه الصراط في وقته^(٦) ومن غاب عن

(١) فى الأصل « يكنى أبو لا شيء »

(٢) فى الأصل « على »

(٣) فى الأصل « والموت سلوتهم »

(٤) فى الأصل « وكتب »

(٥) فى الأصل « من غير علة »

(٦) أى كان سيره هذا نموذجا للسير على الصراط يوم الحشر .

حقوقه بحقوقه (١) ، غاب عن كل شدة وعقوبة .

لظاهر المقدسى :

وكذبت طرفى فيك والطرف صادق وأسمعت أذنى منك ما ليس يسمع
ولا أسكن الأرض التى يسكنونها لكيلا يقولوا (٢) إننى بك مولع
فلا كبدي يهدا ولا لك رحمة ولا عنك إقصاء ولا فيك مطمع

أقوال متفرقة

وقال أبو عمر : مقام الخطرات ، بعيد من مقام الوطنات ، لأن الخطرات
تلمع ثم تخفى ، والوطنات تبدو وتثبت (٣) ، ثم تحقق : والدعاوى تنولد من
الخطرات ، فإن المدعى يظن أن ما لاح ثبت ، ولا دعوى لصاحب
الوطنات بحال (٤)

وقال الطريق واضح ، والدليل عالم ، والزاد تام ، والمركب قوى ؛
ولكن [ما] منع القوم من الوصول ، إلا (٥) الاستدلال بغير الدليل (٦) ،

(١) الضمير فى حقوقه الأولى يعود على « من » ، وفى الثانية يعود على الله جل جلاله
(٢) فى الأصل « يقولون » . وأما هنا على هامش الأصل كلمة « تمر »
(٣) فى الأصل « وأثبت »
(٤) الوطنات خطرات ثابتة . أما أن الدعاوى تنولد من الخطرات فذلك
ناشئ من خطأ فى ميزان الخطرات الصادقة والخطرات الزائفة . فالخطرات الصادقة
لا مودة لها ، ولا مكان . وتعقبها برودة فى البدن . ويكون موضوعها العلم ، وبعض
المريدين ، يحاولون استئزال الخطرات فى أوقات خاصة حسب هواهم فيمدهم الشيطان
بخطرات تصالح للدعوى ، تعظم من شأنهم وتقنعهم بأنهم الواصلون . وقد ذكر
بعض هؤلاء عند بعض أئمة الصوفية على أنهم واصلون فقال : نعم . وصلوا . ولكن
إلى سقر .

(٥) فى الأصل « إلى »

(٦) أى الاقتداء بغير القدوة من علماء الطريق . من جهال المتصدرين المشيخة

والركض في الطريق على حد الشهوة ، وأخذ الزاد من غير وجه ، وإضعاف
المركب لقلة تعمله .

وقال : اليقين ثمرة التوحيد ، فمن صفا بالتوحيد صفاه اليقين .

وقال : التوحيد اعتقاد القلب بوحداية الواحد ، وإبعاد السر
بفردانية الفرد الصمد ، والتسليم ظاهراً وباطناً تحت الأحكام ، لمن لم يلد ،
ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .

وقال عجبته لجاحد كيف يحجد خالقه :

وفي كل شيء وله آية تدل على أنه الواحد

== وهم كثيرون في عصرنا هذا ، ولقد علمت أن أحد هؤلاء الجهال نصيح مریدا له
ادعى الذهول من شدة الواردات . بتعاطى المخدرات ، ورأيت رجلاً من هؤلاء
يسفه الأئمة والمفسرين ، ورجال الحديث ، والحديث نفسه . وشهدت مضابط
الشرطة فرقة من هؤلاء ، يرتكبون المنكرات الفاحشة ، بحجة أنها من شعار
الطريق ، ولا يطعن وجود هؤلاء في أصل المذهب ، كما لا يطعن فساد بعض
علماء الشريعة ، في أصل الشريعة .

وعلاوة المرشد الصالح للإرشاد ألا يكون مهالكا على اجتذاب المريدين ،
وأن يكون عالماً مشهوداً له بالصالح من الثقات ، وألا يتخذ الطريق تجارة ، وأن
يتغير حال المريد على يديه إلى الأفضل ، وأن يكون قليل الكلام ، وألا يكون
مشغولاً بالتصدر للإمامة والتدريس . وألا يكون متحدثاً بأسرار الطريق وحقائق
المشاهدة ، وأن يكون مجلسه شفاء للأجسام والأرواح والنفوس ، وأن يكون
بالروح مع مریده على البعد والقرب ، وعن رأيت من هؤلاء الأعلام في العصر
الحديث . سيدنا ومولانا العارف الأكبر سيدى عبد الخالق الشبراوى قدس الله
سره ووارث الطريق من بعده إمام العارفين سيدى الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الخالق
الشبراوى . رضى الله عنه وأطال حياته والعارف النقشبندى الكبير سيدى سلامة
العزائى ، والعارف الشاذلى الشيخ طه الشعبينى . فهؤلاء هم الذى شهد لهم سلوكهم
بصحة حالهم .

وقال : أفقر الفقراء ، من ستر عنه الحق حقيقة حقه ، لأن الرضا
والسخط ، نعتان من نعوت الحق ، يجريان عن الأزل ، فما جرى في الأزل
يظهر عن الحدث ، بشواهد الإقبال والإدبار ، وأين تنفع الألوان ،
ولاً كإمام المقصورة ، والأبدان المشحوبة (١) ؟ ١١ .

وقال : من يكن الله همته لم تستقطعه الأقدار ، ولا تملكه الأخطار .
وقال : قيمة كل إنسان همته ، فمن كانت همته الدنيا فلا قيمة له ، ومن كانت
همته رضى الله ، فلا يمكن أحد أن يستدرك غاية قيمته .
وقال : القدرة ظاهرة ، والأعين مفتوحة ، ولكن أنوار الأبصار قد
ضعفت (٢) .

وقال : مادام لأعراض الأكران في قلبك خطر ، فلا يكون لك عند
الله أثر (٣) .

(١) معنى العبارة . أن أعظم الفقراء إلى الله السالكين طريقه ، هو من يستر
عنه المولى حقيقة حقه ، لأن نعوت الحق من السخط والرضا وإن كانت أزلية ،
إلا أنها تظهر على المحدث ، وعلامة ظهور الرضا إقبال العبد على ربه ، وعلامة ظهور
السخط ، إدبار العبد عن ربه وهذه الألوان لا تنفع في بدن متعوب وهمة ناقصة
لأن الناظر حينئذ ، ينظر من قريب فيرى البلاء بلاء ، ولا يراه في عين الحق عطاء
ورضا وستر الله تعالى حقيقة حقه عن الفقير العظيم ، لا يكون بعدم إجراء نعوته
عليه ، ولكن بستر لذة الرضا ، وألم السخط بل يستوى عنده الرضا والسخط .
بل يجد في السخط لذة الاستسلام لحبوه . ولذة المعرفة وهي لذة ، من ذاقها نعم
بالبلاء . وهنا أمر لا بد من التنبيه عليه ، وهو أن مشاهد اللذة في البلاء والسخط
تقف عند هذا الحد ، ولا يجوز له أن يتمنى السخط والمرض .

(٢) أنوار الأبصار . المراد بها أنوار البصائر : قال تعالى « وتراهم ينظرون
إليك ، وهم لا يبصرون » لأنهم كانوا يرون بأعينهم محمد بن عبد الله . ولا يرون
ببصائرهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويغلب أن تكون هذه الأقوال
لمشاهد ينورى فقد روى بعضها عنه في الطبقات الكبرى للشعراني .

(٣) لأن الله حقر الدنيا ، والمحجب لله لا بد أن يحقر ما حقره ويعظم ما عظمه .
وما دام قد عكس الأمر فليس له أثر عند الله .

وروى عن حضر موت « خير الناساج » رضى الله عنه ، قال : لما حضرت صلاة المغرب ، غشي عليه ، ثم فتح عينيه . وأوماً إلى ناحية باب البيت وقال : قف عافاك الله . فأنت عبد مأمور ، وأنا عبد مأمور ، ما أمرت به لا يفوتك ، وما أمرت به يفوتني ، فدعني أمضي فيما أمرت به ، ثم امض لما أمرت به ، فدعا بماء ، وتوضأ للصلاة^(١) ، ثم تمدد ، وأغمض عينيه ، وتشهد ومات ، رحمه الله . وأنشدوا في ذلك .

يقولون ثكلى ومن لم يذق فسراق الأحبة لم يشكل
لقد جرعتني ليالى الفرا ق شراباً أمر من الحنظل

قال : فأخبرني بعضهم : أنه رأى « خير الناساج »^(٢) ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : لا تسألني عن هذا . ولكن استرحت من دنياكم الوضرة^(٣)

(١) الوضوء أصل عظيم ، من أصول تحويل النفس إلى روح ، أو عزل النفس عن الروح ، ثم سيطرة الروح عليها ولذلك ، شرع الوضوء ، وكان من السنن ، أن يكون الإنسان على طهارة دائمة ، ما أمكن ، وفي سر ذلك يرى أستاذى العارف الأكبر : سيدى الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الخالق الشبراوى ، أن الوضوء يفعل فى باطن الإنسان ، فعل المغناطيس فى الحديد . فكما أن الحديد تترتب جزئياته بفعل المغناطيس ، فكذلك باطن الإنسان تترتب جزئياته النفسية وحدها والروحية وحدها ، فتعزل الروح عن النفس ، وتتم لها السيطرة عليها ، ويصير للمجموع الإنسانى ، الذى يدوم على ذلك مجالا جاذبا ، كالمجال المغناطيسى تماما وهذا المجال الجاذب الإنسانى ، إذ اقترن بمداومة التوجه الكلى لله ، كان جذبه للأسرار والمعارف من حضرة الغيب ، وإلا كان جذبه لمائله من جنس الانسان

(٢) فى الأصل « فأخبرني بعض خير الناساج أنه رأى فى المنام » .

(٣) الوضرة الدرن والدم يقال وضرت القصعة توضرا ووضرا إذا دسمت . والوضر ما يشمه الإنسان من ريح يحمده فى طعام فاسد (على هامش الأصل)

قال وسئل الحسين^(١) بن عبد الله رضى الله عنه ، عن أصول الدين ، فقال :
إثبات صدق الافتقار إلى الله ، وحسن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه
وسلم^(٢) .

وقال : أبو يزيد البسطامي ، رحمه الله إن لله خواصا من عباده ،
هبت عليهم رياح العناية ، فتجردت همتهم ، وتوحدت أسرارهم ، فهم بالوحدانية
مطالبون ، وبتجريد التوحيد مرادون ، توحيشهم الأزواح ، وتكدرهم
ولائج الأغيار ، ويؤنسهم الواحد الجبار ، لا يهتملو غنج مخلوق ، ويؤلمهم
مسقط الذباب لما في أسرارهم من غليان التوحيد ، لا يخافون إلا من واحد
ولا يعملون إلا لواحد ، ولا يشيرون إلا إلى واحد ، فهم وحش الله في
أرضه ، وغرباؤه من بين جميع خلقه ، لا قرار لهم ولا فرار ، وأنشد في ذلك :

(١) في الاصل « عن الحسين » .

(٢) في شئون الدنيا والآخرة . ولقد غلط بعض علماء الشريعة في تفسير
حديث تأبير النخل ، حيث أمرهم الرسول بعدم تلقيح النخل حين رأيهم قائلا :
لو تركتموها لصلحت . فتركوها ففسد القمح . وهنا قال علماء الشريعة . إن الرسول
صلى الله عليه وسلم لم تكن له دراية كاملة بأمور الدنيا لدوام توجهه إلى ربه ،
وسحب علماء الشريعة نفس الحكم على رجال التصوف ، ولو فقهوا رأي الرسول
لو جدوه الحق ولا جق غيره لأن جميع الأشجار والنباتات تترك كما هي . ذكورها
وسط إنائها . فتلقحها الرياح اللواقح دون أى تدخل من الزارع . أما في النخل
فقد تعود زارعوه أن يقتلعوا ذكوره ، ويدعون منها واحدا يأخذون منه الطلع
لتلقيح النخل . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم . لو تركتموها على أصل وجودها
دون أن تقتلعوا ذكورها لصلحت بفعل الرياح . وهذا غاية العلم بشئون الدنيا
كما كان في ذروة العلم بالله صلى الله عليه وسلم . قال بعض المحققين إن النبي صلى الله
عليه وسلم كان أشد الناس صعودا كما كان أشد الناس نزولا أى في العلوم العلوية ، =

ووحشى الطبيعة مستهام تفور^(١) القلب تأباه الديار
خيالى التألف ذو^(٢) انفراد غريب الله مأواه القفار
وقال : من أراد أن يذكر الواحد فلينس^(٣) ما دون الواحد ، حتى
يكون ذا كرا للواحد ، وإن كنت تحب الواحد ، فابغض ما دون الواحد ،
حتى تحصل لك محبة الواحد . كما قال جعفر بن محمد الصادق . الموحّد من طالعه
الحق بنور التوحيد ، [و] هو ألا يكون للمخلوقين فى قلبه خطر .
وقال : من طلب مطالعة التوحيد . قبل خمود البشرية هلك فى الهالكين .
وكذلك من طلب حقيقة التوحيد ، قبل الإشراف على الأسرار يهلك .
وقال : توحيد الله فى المعرفة ألا تعرف معه غيره ، فتوحيده بالرجوع
إليه فى كل مالك وعليك ، فلا تسأل أحدا غيره ، ولا تشك إلى سواه ،
ولا تحب غير إياه^(٣) ، وتعلم أن أوصاف الحق مباينة لأوصاف خلقه ،
= والدينية ، هكذا سمعت من حضرة أستاذى العارف الأكبر سيدى الاستاذ الشيخ
مصطفى عبد الخالق الشبراوى رضى الله عنه وأطال عمره .

(١) فى الأصل « يغور » . وقد كرر هذا القول مع بعض الأقوال من هذا
الباب فى الكتاب .

(٢) فى الأصل « ذى انفراد » .

(٣) فى الأصل « فانس » وكيف ينسى ما دون الواحد وهو يعيش بين مظاهر
الكون ، وفى قوانين الأسباب . يقول الإمام أحمد العربى الدرقاوى فى كتابه
« شور الهدية » مخطوط . نسخة خاصة . إسقاط الأسباب اختلال ، ونسبة الأعمال
إليها زندقة ، والنظر إليها من أصل العين تحقيق . وعلى هذا يكون نسيان ما دون
الواحد ، أن ينظر إلى الأكوان على أنها ناشئة من أسباب ظاهرة اقتضتها حكمة
الواحد ، ويتدرج الناظر إلى سبب السبب حتى يدرك الأعيان كلها فائضة من
الواحد . فهنا يتحقق لك نسيان غير الواحد . أما الاطمئنان إلى الأسباب بقطع
النظر عن موجد ها فهو جهل فاضح فضلا عن كونه زندقة .

(٤) يقول الشيخ « الدرقاوى » فى المصدر السابق ، إذا كانت لك حاجة
فأنزلها بمولاك ، قبل أن تنزلها بالمخلوق . تجد الخير الكثير . ولا تحاول أن تسأل
مخلوقا لأنك حينئذ تكون قد أغلقت باب الاضطرار بيدك ، وهو باب عظيم =

باينهم بصفاته قديما ، كما باينوه بصفاتهم حديثا ، فهذا هو التوحيد ، وما سواه فهو تلحيد لا توحيد .

كما جاء عن جعفر بن محمد الصادق أنه أمر بضرب غلام له ، في جناية ، فلما مد للضرب ، قال الغلام : تضرب من ليس شفيع غيرك ؟ فأين كرمك وإحسانك ؟ فخلي عنه ، فقال الغلام : ما أنت خليتني ، لكن خلي عني من أجرى الكلمة على لساني ، فقال جعفر : موحد ورب الكعبة ، لا يرى مع الله غير الله . وقيل التوحيد هو أن تفتقد نفسك بوجود ربك ، ثم تغيب عن وجودك بفناء رؤية وجودك ، فيبقى الرب كما كان ، قبل كونك ، وترجع أنت إلى ما كنت ، قبل كونك ، ثم قال : حجبوا بالاسم فعاشوا ، ولو أبرز لهم علوم القدرة لطاشوا ، ولو كشف لهم ^(١) عن الحقيقة ^(٢) لما توا ، وأنشد في ذلك :

== من أبواب القرب إلى الله يقوم لك مقام الاسم الأعظم . وهذا أصل عظيم من أصول الشاذلية لأن سلوكهم نزولي كما أوضحنا في تعليق آخر .
(١) في الأصل : عليهم .

(٢) في هذا القول للحسين الحلاج وأمثاله نزوع نحو مذهب وحدة الوجود ، ويعتقد بعض الدارسين أن وحدة الوجود عند الصوفية هي وحدة الوجود عند الصوفية هي وحدة الوجود عند الفلاسفة ، والواقع غير ذلك . فوحدة الوجود عند الصوفية . عبارة عن وحدة الأسماء والصفات الإلهية . فثلا وحدة الخلق . يفهمونها هكذا . كل ما في الكون خلق الله ، فهو مظهر صفة الخلق ومجلاها الذي نستطيع أن نفهم صفة الخلق بها ، من حيث التدبر والتأمل ، وتتدرج منها إلى أن نستشرف على عين صفة الخلق ذوقا وشهودا وإحساسا ، لا اتحادا وحلولا ، وصفة الوجود الحق لله فحسب ، أما الموجودات الكونية ، فوجودها مستعار من وجود الحق ، وكل ما كان وجوده مستعارا فليس وجوده أصيلا فهو موجود ولا موجود . موجود وجودا مستعارا ، وليس موجودا لأن الموجود الحق الذي يستمد وجوده من ذاته هو الله فقط . ثم تتجمع الأسماء والصفات الإلهية كلها في

فقلت لأصحابي هو الشمس ضوءها قريب ولكن في تناوطها بعد
وقال أيضا :

ولي ألف باب قد عرفت مكانه ولكن بلا قلب إلى أين أذهب
فهذا يكفي لمن له فهم وفطنة ، في معاني ما أشرت إليه ، من علم التوحيد
وصحة التوحيد ، لأن علامة المعرفة بالعارف ، ترك الطلب لما قد غاب^(١)
عنه ، وما غاب عنه شيء ، فليس بعارف .

وقال أبو يزيد : المعرفة أولها هو ، وأوسطها هو ، وآخرها هو^(٢) ،
وقال بعضهم : العارف ينظر بالله ، والمؤمن ينظر بنور الله ، وللمؤمن قلب
في وليس للعارف قلب^(٣) وأنشدني ذلك :

= الاسم الجامع وهو « الله » . فصار الوجود الكوني راجعا إلى الأسماء والصفات
وصارت الأسماء والصفات راجعة إلى الاسم الجامع ، والاسم الجامع مغيب في
غيب الذات التي لا يدركها مدرك على وجه الكون كله . ولا ضرر مطلقا في اعتقاد
هذا المذهب بأي حال .

أما وحدة الوجود عند الفلاسفة ، فيقول فيها (أفلوطين) إن الوجود
المطلق لا يمكن بأي حال أن يعيش وحده ولذلك يفيض من ذاته موجودات
أخرى ، وتقول الفلسفة المسيحية ، إن التضحية هي التي جعلت الوجود المطلة
يتعدد ، وغير ذلك من الترهات العجيبة . فهل رأيت الفارق بين النظرين ؟ ! وحدة
الوجود عند الفلاسفة تخضع لمداركهم العقلية ، ووحدة الوجود لدى الصوفية
تخضع لمشاهدتهم الذوقية في الواحد المطلق . بل المطلق عن الإطلاق ، لأنهم يرون
في كلمة « المطلق » قيودا لا يجوز وصف المطلق به .

(١) يرى بعض الفلاسفة العقلين وجوب الخوض بالعقل في كل شيء حتى
المغيب عن درك العقل فخرجوا بأفكار مضحكة ، ومذهب الصوفية أسلم ،
لقصور العقل عن فهم كثير من الأشياء المتصلة بالإنسان ، فكيف بالمغيب
البعيد .

(٢) في الأصل : الضمير في الفقرة كلها . للمؤنث الغائب .

يقولون لي قلب، فما أنا قتشوا فإن كان لي قلب فما أنا صادق
وقيل : من سكن إلى غير الله فهو من قلة معرفته بالله . وقيل : إن
العارف يقبل [عاينك] بوجهه كأنه لم يعرف غيرك . فيقوم عاك كأنه لم
يعرفك قط ^(١) . وقال : أدنى ما يجب على العارف . أن يهب مولاه ^(٢)
ما ملكه مولاه . حتى يصير كله لمولاه . فيحصل له مولاه ^(٣) . فإذا حصل له
مولاه . فكأنه عاد إليه كل الكل بالكلية . ويصير به غنيا . وإليه فقيرا .
وجاء في الخبر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال من : قال في
سواد الليل لا إله إلا الله محمد رسول الله خرج من ذنونه كيوم ولدته
أمه ^(٤) .

(١) لأن العارف ابن الوقت ، ويسلك مع الأنفاس ، فهو إن أقبل على أحد
من الناس ، فإنما يقبل عليه باعتبارين : الأول أن هذا الشخص ، أثر من آثار
الصفات الإلهية والأسماء الربانية ، فهو يشهد تلك الأسماء والصفات ، في كل حركة
وتصرف وكلية تصدر من هذا الإنسان ، فهو من هذه الناحية في تأمل ، وذكر
خفي ، وترق في المقامات . الثاني : اعتبار التعليم والتربية والإرشاد . وكلا الاعتبارين
سلوك إلى الله . فإذا قام من المجلس ، وصل مشاعره في الحال بالمشاهد العلوية التي
لا تنتهي ، فلا يعرف من كان معه ، ولا من أمامه .
(٢) في الأصل : لولاه .

(٣) إنما تخلى الله تعالى عن السالكين إليه خاصة ، وعن الناس عامة ، لاستقلالهم
بأنفسهم ، حسا ومعنى ، وحينئذ ينسبهم الله حقائق أنفسهم ، فيمنعون في الاستقلال
بأنفسهم ، وبما ملكت أنفسهم ، نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون .
والسلوك الحق : أن ينظر المرء في نفسه وما ملكت ، فيجد أن نفسه وحياته .
مستعارة من الله تعالى ، وأن ماله وولده ، وما حوله . إنما هو هبة الله للإنسان
فإذا تحقق بذلك معنى وحسا ، وعينا ، ألقي بنفسه بين يدي مولاه . ووهب
لمولاه . ما ملك مولاه . فيحقق فقر الإنسان إلى ربه . وحينئذ يكون غنيا به .
ويكفيه ما أهمه .

(٤) على هامش الأصل « مطلب تبشير المؤمنين ، وليس المراد من الخبر =

وروى جعفر: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : يا رسول الله علمني من غرائب العلم قال : وما فعلت في رأسى العلم ؟ قال : وما رأس العلم قال : عرفت الرب ؟ قال : نعم . قال : فما فعلت ؟ في حقه ؟ قال : ما شاء الله . قال : عرفت الموت ؟ قال : نعم . قال : فما أعددت له ؟ قال : ما شاء الله . قال : قم فاحكم ما ههنا ، ثم انتنى ، أعلبك من غرائب العلم .

وقال الحسن بن محمد القلانسي ، رحمه الله : من أراد الله في عباده المؤمنين - بعد إذ هداهم للإيمان ، وشرح صدورهم للإسلام - استخلص أعمالهم ، واستصفى قلوبهم [و] همهم ، في معاملتهم إياه ^(١) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم . فمن كان له قلب صالح تحن ^(٢) الله عليه .

وقال . علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه : من كان ظاهره أرجح من باطنه ^(٣) ، خفت موازينه يوم القيامة . ومن كان باطنه أرجح . من ظاهره ثقلت موازينه يوم القيامة .

بمجرد قول لا إله إلا الله ... الخ . باللسان . بل المراد التحقق والتخلق . فإذا فهمت معنى : لا إله إلا الله : وأنه المعبود ، وإليه ترجع الأمور ، وأن الذل له عز ، وليس في البشر من يستحق اللجوء إليه . ثم طبقت هذه المعاني على حياتك وحركاتك ، فقد تحققت بذلك وتخلقت . وإذا قلت : محمد رسول الله . وفهمت أنه مرجعك في كل ما شجر بينك وبين غيرك أو شجر بينك وبين نفسك . تنزل على حكمه ، ولا تبعد الخرج في صدرك من حكمه . كنت متحققا بذلك ومتخلقا . وحق لك دخول الجنة حقا .

(١) أى من أراد الله بعمله في المؤمنين ، علمهم الإخلاص في العمل ، وصفاء القلب والهمة ، في معاملة الله .

(٢) تحن عليه : ترحم عليه .

(٣) رجحان الظاهر على الباطن ، أن يكون العمل في ظاهره متقنا ، ولكن التوجه الباطني لله غير متقن ، أو غير موجود ، ورجحان الباطن معناه . صحة التوجه إلى الله في الأعمال ، مع قلة أعمالها .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن لله أوانيا في الأرض ، وأحبها إليه مارق وصفا وصلب . أصفها من الذنوب ، وأصلبها في الدين ، وأرقها على الإخوان .

وروى ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان هذا ^(١) وصفه . قالت عائشة : يكون معنا في البيت كأحدكم ، فإذا سمع الأذان ، قام مسرعا ، كأنه لم يعرفنا .

وسئل الشبلي ، عن العارف ، فقال : لسانه بذكر الله ناطق ، وقلبه بمحبة الله صادق ، وسره بموعود الله واثق ، فهو أبدا على الله عاشق . ثم قال : لسانه لطيف ، ونفسه عفيف ، ودينه كفيف ، وهو يعرف أن مولاه شريف ، وأنشدوا :

يا حسن عبد أحب مولاه وحسن قلب يصيد معناه
طوبى لمن كان عاشقا دنفا يشكو إلى ذي الجلال بلواه
يا ذا المعالي عليك معتمدى طوبى لمن كنت أنت مغناه
وقال : العارف قلبه سليم ، وفؤاده سقيم ^(٢) ، ونفسه كظيم ، وبلاؤه عظيم ^(٣) ، لأن معاملته مع رب كريم .

(١) في الأصل : هذه .

(٢) القلب السليم هو الذي لا يحمل الحقد والغل لأحد ، بل يرحم ، الكل ، والفؤاد السقيم ، هو باطن القلب الخائر في المعرفة فلا يهتأ ، ولا يهدأ . ظاهر ساكن ، وباطن مائج .

(٣) أعظم البلاء يكون لأقرب الناس إلى الله ، وليس بعد الخوف بلاء . وكان أحد المريدين قد عرض حالا من الخوف الشديد على حضرة المرشد الأكبر العارف الجليل سيدي الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الخالق الشبراوى ، فرد عليه قائلا : هل تخاف من رئيس الدولة يا ولدى ، وأنت في بيتك أو في المسجد ؟ قال : لا . قال : فمتى تخاف منه ؟ قال : إن كنت في حاشيته اشتد خوفي منه . قال : أبشر . فالخوف من دلائل القرب .

وقال : نفسه مدلل ، وقلبه مدلل ، وروحه منحل^(١) ، وجسمه مسبل
وقال الجنيد : رأيت سبعين عارفا ، قد هلكوا بالتقى والتوهم ، يعنى أنهم ما
عرفوا الله وهو قوله « إن يتبعون إلا الظن . وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا » .

وقال يحيى بن معاذ : جسم معيوب ، وقلب معيوب ، وخلق معيوب ،
ودار معيوب ، أفتطالبني أن أخرج من بين هؤلاء المعيوبين عملا لا عيب
فيه ؟ وعزتك لا أقدر على ذلك إلا بعونك . فأعنى^(٢) .

وقال أبو طالب : أفضل ما نوى العبد في عمله ألا يريد بعمله إلا وجه الله
وحده . وقال يونس بن عبيد : خلق الله القلوب . معدنا لذكره .
فجعلتموها^(٣) معدنا لشهواتكم . والشهوات لا يخرجها من القلوب . إلا
خوف مزعج . أو شوق مقلق .

وقال ذو النون . رحمه الله يلينا أنا أسير في جبال أنطاكية . فإذا أنا
بجارية . كأنها مجنونة . وعليها جبة صوف . فسلمت عليها . فرددت على
السلام . ثم قالت : أأنت ذا النون المصري ؟ فقلت : عافاك الله . كيف
عرفتني ؟ قالت : الحبيب بيني وبينك . فعرفتك باتصال معرفة الحبيب .
ثم قالت : أسألك عن مسألة . قلت : سليني . قالت : أى شيء عندك .
من السخاء في الدين ؟ قلت : المسارعة إلى طاعة الله . قالت : أتحب منه
الجزاء ؟ قلت : نعم . للواحد عشرة . قالت : مر يا بطل . هذا في الدين
قبيح . ولكن المسارعة إلى طاعة المولى . أن تطلع على قلبك . وأنت
لا تريد^(٤) منه شيئا . ويحك يا ذا النون . إنى أريد أن أقسم عليه في طلب

== والبلاء يزيد العارف علما بربه ، لأنه يزيد فقره إليه .

(١) الروح المنحل ، هو الهائم في عالم المعرفة ، لا قرار له ، ولا مقام .

(٢) هذه حقيقة الفقر إلى الله ، وحقيقة المعرفة به ، لأن القائل رضى الله عنه

عرف نفسه ، فعرف ربه .

(٣) فى الأصل : فجعلتموه .

(٤) فى الأصل لا يريد .

شهوة . منذ عشرين سنة فاستحي منه ، مخافة أن أكون كالأجير السوء .
إذا عمل طلب الأجر ، ولكن أعمل تعظيماً لهيبته^(١) ، وعز جلاله . ثم
ولت وتركتني .

ويقال: أن أبا عثمان الزاهد . قال . استقبلني يوماً في بعض سكك
الكوفة . ثلاثة^(٢) مجانين أحدها . عليان المجنون . والثاني حيان .
المجنون . والثالث بهلول المجنون . فسألت عليهم ، فردوا على السلام .
قلت : أين تريدون ؟ فقال : نسيح في الأرض ؛ على عزم التوكل . وضحة
اليقين . والآنقطاع إليه ، ثم أقبل على عليان المجنون . وكان أكبرهم سناً .
فقال لي : أنت أبو عثمان الزاهد الذي يزعم أهل الكوفة أن [ك] أكثرهم
صلاة ؟ قلت : كذا يقولون . فقال : لقد أطعموك^(٣) بصلاتك . ثم قال :
تحسن أن تسمع ؟ قلت : نعم . فأنشأ يقول :

فما دعاني الهوى لمعصية إلا نهاني الحياء والكرم
ولا إلى محرم دعت بدني ولا سعت بي لريبة قدمي

ثم أقبل على بهلول ، وأنشأ يقول :
إن طرفي ومقلتي ولساني وضميري عن الخناء عفيف

(١) العارف الحق ، لا يطلب لنفسه شيئاً ، ولا لولده ، ولا لأهل بيته .
فإن دعا لنفسه أو لولده ، عوقب بالرجوع إلى مرتبة المريدين ، وحرّم من قرب
المعرفة ، وقد شاهدت أستاذي الحبيب سيدي الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الخالق
الشبراوي ، وأولاده مرضى ، ولا يدعو لهم بالشفاء ، وإنما يدعو المريدين من
أحبائهم يدعون لهم ، ورأيتهم رضي الله عنه ، في المرض الشديد ، وما يطلب من الله
الشفاء التّبة ، وتلك سمة المعرفة الحقّة .

(٢) في الأصل : ثلاث مجانين .

(٣) أي . أعطوك أجر ك بمدح صلاتك .

فقلت : ما لثالككم لا يتكلم . قال : سله ، عن الكلام . فقلت له :
 حبيبي قل ، كما قال أصحابك ، فقال : إني مشغول ، وقلبي متفكر ، قلت : بماذا ؟
 فقال : وهل في قلوب العارفين شغل ^(١) غير الله ؟ ثم أنشأ يقول :
 يا ذا الذي أنس الفؤاد بذكره أنت الذي ما إن سواك أريد
 وفي مثل ذلك يقول :

نحيل الجسم مصرور	نخس الحال في الدنيا
وبالفاقة مسرور	عليه الحزن مكتئب
عليه البر منشور	كساه عليه طمـسـراه
فهو في العرش مشهور	فلا يعرفه الخـلق
له في قلبه نور	كذا من كان صديقا

وقال سري السقطي : احذر أن يكون ذلك ثناء مشهور ، وعيب مستور
 وقال بعض السلف : من أراد أن يصل إلى روح التوحيد ، فعليه بثلاث
 خصال . ترك الكلام ^(٢) ، وتلقى الأحكام ، وقلة الطعام ^(٣) ، فحرام على

(١) في الأصل : بشغل .

(٢) الصمت من أمهات الطريق ، وهو نوعان : صمت باللسان ، عن الحديث
 لغير الله ، مع غير الله جملة ، واحدة ، وصمت بالقلب ، عن خاطر يخطر له في النفس ،
 في كون من إلا كوان البتة ، فمن صمت لسانه ، ولم يصمت قلبه ، خف وزره ، ومن
 صمت لسانه وقلبه ، ظهر له سره ، وتجلي له ربه ، ومن صمت قلبه ، ولم يصمت لسانه
 فهو ناطق بلسان الحكمة ، ومن لم يصمت بقلبه ولا بلسانه ، كان مملوك للشيطان ،
 مسخرة له ، فصمت اللسان ، من منازل العامة ، وأرباب السلوك ، وصمت القلب
 من صفات المقربين أهل المشاهدات ، وحال صمت السالكين ، السلامه من الآفات
 وحال صمت المقربين ، مخاطبة التأنيس . فمن التزم الصمت في جميع الأحوال كلها ،
 لم يبق له حديث إلا مع ربه ، فإن الصمت على الإنسان محال في نفسه ، فإذا انتقل
 من الحديث مع الأغيار إلى الحديث مع ربه ، كان نجيا مقربا مؤيدا في نطقه .
 إذا نطق ، نطق بالصواب ، لأنه ينطق عن ربه ، فالنطق بالصواب ، نتيجة الصمت =

قلب أن يلج في الملكوت ، وهو يجد لذة الشراب . والطعام .

= عن الخطأ ، والكلام مع غير الله تعالى ، خطأ من كل وجه ، ولغير الله ، سوء من كل وجه . قال تعالى : لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس . [حلية الأبدال للشيخ الأكبر . سيدي محي الدين بن عربي نسخة خاصة . بمكتبة العارف الأكبر سيدي عبد الخالق الشبراوي] .

(١) الجوع جوعان : جوع اختياري ، وهو جوع الساكين . وجوع اضطراري وهو جوع المحققين ، فإن المحقق لا يجوع نفسه ولكن قد يقلل أكله ، إن كان في مقام الانس ، فإن كان في مقام الهيبة ، كثر أكله ، وكثرة الأكل للمحققين ، دليل على صحة سطوات أنوار الحقيقة على قلوبهم ، بحال العظمة ، من شهودهم ، وقلة الأكل لهم ، دليل على صحة المحادثة بحال المؤانسة من مشهودهم ، وكثرة الأكل للساكنين ، دليل على بعدهم من الله تعالى ، وطردهم عن بابه ، واستيلاء النفس الشهوانية البهيمية بسلطانها عليهم ، وقلة الأكل لهم ، دليل على نفحات الجود الإلهي على قلوبهم ، فشغلهم ذلك عن تدبير جسومهم . والجوع بكل حال ووجه ، سبب داع للسالك والمحقق ، إلى نيل عظيم الأحوال للساكنين ، والأسرار للمحققين ، ما لم يفترط الجائع ، فإنه إذا أقرط ، أدى إلى الهوس ، وذهاب العقل ، وفساد المزاج . فلا سبيل للسالك أن يجوع الجوع المطلوب ، لنيل الأحوال ، إلا عن أمر شيخ . فأما وحده فلا سبيل . ولكن يتعين على السالك إذا كان وحده التقليل من الطعام ، واستدامة الصيام ، ولزوم أكلة واحدة بين الليل والنهار ، وأن يغيب من الادم الدسم ، فلا يتأدم في الجمعة سوى مرتين ، إن أراد أن ينتفع ، حتى يجد شيخا ، فإذا وجدته سلم أمره إليه وشيخه يدبر حاله وأمره ، إذ الشيخ أعرف بمصالحه منه .

و حال الجوع الخشوع والخضوع والمسكنة ، والذلة والافتقار ؛ وعدم الفضول وسكون الجوارح ، وعدم الخواطر الرديئة . هذا حال الجوع للساكنين ، وأما حاله في المحققين ، فالرقة والصفاء والمؤانسة ، وذهاب الكون ، والتسزل عن أوصاف البشرية بالعزة الإلهية ، والسلطان الرباني . ومقامه . المقام الصمداني وهو مقام عال ، له أسرار وتجليات وأحوال . [المصدر السابق . راجع أيضا . مواقع النجوم للشيخ الأكبر . عضو المغلب .]

قال وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام، يا داود. أخبر أهل الأرض
عني أني حبيب لمن أحبني، وجليس من جالسي، ومؤنس لمن أنس بذكرى
وصاحب من صحبني، ومطيع لمن أطاعني، ومختار لمن اختارني. فارفضوا يا أهل
الدنيا ما أنتم فيه من غرورها، وهلموا إلى كرامته ومصاحبته ومحادثته،
وأنسوا بي آنس بكم، وأسارع إلى محبتكم فإني خلقت طينة أحبائي من طينة
إبراهيم خليلي ويحيى بن زكريا ونجي، ومحمد بن عبد الله صفني لا أعرف حبي
في قلب عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه إلا قتلته لنفسه وأحببته حبا لا يتقدمه
أحد من خلقي. ذلك باني أجود ما أجد أقول للأمر كن فيكون وأنشدوا
للحسين بن منصور الحلاج :

أنت بين الشغاف والقلب تجرى في مجرى الدموع من أجفاني
وتحل الضمير جوف فؤادي كحلول الأرواح في الأبدان
ليس من ساكن تحرك إلا أنت حركته خفي المكان

وقال الحسين : إن الأنبياء سلطوا على الأحوال فملكوها ، فهم
يصرفونها ، لا الأحوال تصرفهم^(١) ، وغير الأنبياء ، سلط عليهم الأحوال
تصرفهم لا هم يصرفون الأحوال .

وقال فضيل بن عياض : يكون في آخر الزمان ، أقوام يكونون إخوان
العلانية ، أعداء السريرة [من] أظهر الود بلسانه ، وأخفى^(٢) العداوة والبغضاء .

وقال ذو النون : كان لي صديق فقير فمات ، فرأيت في النوم ، فقلت له :

(١) في الأصل : يصرفهم .

(٢) في الأصل : وأظهر العداوة .

ما فعل الله بك ؟ فقال : قال لي الرب : قد غفرت لك بترددك إلى هؤلاء
السفلة ، أبناء الدنيا ، في رغيغ قبل أن يعطوك^(١) .
وقال أبو العباس ، عن ذي النون ، يقول : يا معشر المريرين من أراد
منكم الطريق إلى الله فليلق العلماء^(٢) بالجهل ، والزهاد بالرغبة ، وأهل
المعرفة بالصمت . وقال ذو النون : العارف كل يوم أخشع ، لأنه كل ساعة
أقرب .

تم الكتاب بحمد الله ، ومنه ، والصلاة والسلام على خير خلقه ،
محمد وآله وصحبه .

(١) في الأصل : أن يعطونك .

(٢) في الأصل : العلم .

الكتاب ومؤلفه

شك بعض الدارسين من المعاصرين في نسبة كتاب « علم القلوب » إلى أبي طالب المكي ، وأبدوا بعض الملاحظات قبيل تقديمه للطبعة ، وهذه الملاحظات على ما فيها من دقة يشكر عليها الذين أبدوها ، فإنها لم تدخل في حسابنا . لآنا نؤمن إيمانا قاطعا بأن المواهب البشرية لا تقف عند حد من الحدود التي رسمت حديثا ، ولا تسير في طريق واحد ، وليست من مسائل المادة التي يشق لها درب واحد ، فإنها إن كانت كذلك فهي قواعد علم لا تسبح في أجواء الفن . أما التصوف فهو في مرحلة العلم يسمى « بعلم السلوك » وفي مرحلة الفن يسمى « المنازلات » ويرقى في مدارج الفن فيكون « ذوق الحقائق » وكاتب السلوك عالم ، يخصي الآداب ويسردها ، ويحدد معالم الطريق ، من جوع وسهر ، وعزلة وصمت ، وذكر وأوراد ، ودرس علم وأدعية ، وقوانين يجب التزامها مع الشيخ ومع الإخوان ، إلى غير ذلك ، ولهذا اللون منهج واحد لا يجيد عنه كاتب ، ولا يختلف فيه مؤلف عن مؤلف إلا بمقدار ما يحمل من ذوق العرض ووجوه الإغراء بالمذهب . فإذا ما طبق الإنسان هذه القوانين على نفسه ، وأخذ بها حياته ، عاد ما كان علوا واستحال إلى فن تطبيقي له منهجه الحر الذي لا تقيد قيود . ومن هنا فلا مجال لصحة القول بأن الكتاب يختلف منهجه عن منهج قوت القلوب ، مما يشكك في نسبته إلى أبي طالب المكي .

وإذا جاز لنا أن نشك في إنتاج باحث من الباحثين إذا تغير منهجه في البحث تبعا لطبيعة الموضوع الذي يتحدث عنه ، أو تبعا لطبيعة ذوقه الذي يتلون بتلون المشاهد التي تتوارد عليه . إذا جاز لنا ذلك فإننا نشك حتما في مقطوعة موسيقية مدونة على الأوراق ، إذا سمعناها معزوفة على

الآلات ، للاختلاف المنهجي ، ونشك في نسبة كتاب النصائح ، وكتاب اللوائح ، وكتاب حلية الأبدال ، وكتاب الخلوة ، للشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن عربي ، لاختلاف منهجه فيها عن منهجه في كتاب الفتوحات المملكية ، وكتاب الفتوحات المدنية ، كتاب عقلة المستوفز ، مثلاً . وهو مالم يقل به أحد على الإطلاق .

إن أبا طالب المكي كما تروى عنه المراجع ، كان صاحب مجاهدات في أول أمره . وفي آخر أمره كان صاحب مشاهدات ومكاشفات ، وكلا المنهجين يختلف كل منهما عن الآخر ، فلا عجب أن كتب قوت القلوب على منهج ، وعلم القلوب على منهج آخر ، والخلاف بين القوت والعلم ، واضح وضوح الفرق بين الطعام على المائدة . وهو نفسه إذا استحال إلى دم يجري في العروق وهو نفسه إذا استحال إلى خلايا و طاقة فعالة ، تفعل المعجزات .

إن الحقائق الصوفية ، مشاهدات ذوقية يحسها السالك ، يستكشفها من خلال روحه هو ، ولا يقلد فيها سواه وهي مارواها المكي عن أعلام التصوف في « علم القلوب » ، أما السلوك الصوفي ، فهو ما كتبه المكي في كتابه « قوت القلوب » .

وقيل كذلك إن المكي تعرض للحكمة في « علم القلوب » وهو موضوع لا يتفق مع ثقافته ، ولا مشربه الخاص . والحكمة التي تحدث عنها المكي في علم القلوب هي تفسير الحكمة التي جاء بها القرآن الكريم في قوله تعالى « يؤتي الحكمة من يشاء » ، ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر إلا أولو الأبواب ، وفسر كلمة الحكمة بأربعة عشر تفسيراً ليس من بينها ما تعنيه حكمة أفلاطون ولا أرسطو .

لقد تحدث المكي عن الحكمة الإسلامية التي عنها القرآن الكريم ، وعد الموعود بها صاحب خير كثير ولا ينطبق هذا المعنى القرآني على حكام الفلسفة ، إن اعترفنا لهم بالحكمة ولقبناهم بالحكام ، على سبيل المجاز والتسليم الجدلي .

على أن المعاني التي ساقها للحكمة يتألق من بينها ، حفظ القرآن ، وفهم الطائفة ورقائقه ، والورع ، والإصابة في القول والعمل . وتلك هي المعاني الإسلامية الخالصة التي لا تبعث على الشك في صدورها من عالم مسلم صاحب مجاهدات وسلوك . وعن نقل عنهم في معاني الحكمة ابن عباس والسدي رضي الله عنهما ، وهما في عصر متقدم على عصر المكي ، ولا يستغرب منهما ومن غيرهما تفسير آية في القرآن على السنن الإسلامية الصحيح .

فلا وجه إذن للشك في الكتاب لأن صاحبه يتحدث عن الحكمة ، على أن الصوفية تحدثوا في حكمة الفلسفة ووجوهها الوجهة الصحيحة ، وصححوا ما فيها من أخطاء وهم في هذا الميدان عمالقة لا يشق لهم غبار .

وقيل كذلك إن المكي أحال في « علم القلوب » على « قوت القلوب » قائلا بعد تلك الإحالة . « فمن أراد ذلك فليطالع كتابه » ، يقصد قوت القلوب لأبي طالب المكي . وهذا قول يدعو إلى الوقوف عنده حقا ، ولكنه لا يقطع يقينا بأن الكتاب منحول على أبي طالب ، إلا بعد أن نعود إلى دراسة شخصية المكي دراسة دقيقة .

تروى المراجع أن المكي قد هجره الناس في آخر حياته ، لأنه خلط في كلامه ، حتى لقد رموه بالبدعة ، ولا يستغرب انصراف الناس عن واعظ خلط في كلامه ، ولكن أليس من الجائز جدا أن تلك العبارة التي دعت إلى الشك في نسبة الكتاب إليه داخلة في نطاق هذا الخلط ؟ أو هي حق ، وعين الحق ، لأنها إحالة من أبي طالب المهجور إلى أبي طالب المشهود وإذا أخذنا في اعتبارنا أن كثيرا من كبار الصوفية أنسكروا أسماءهم ، وصاروا أصحاب شخصيات متعددة ينسخ لها حقها سابقها ، جاز لنا ألا نعتبر هذا القول داعيا إلى نفي نسبة الكتاب إليه .

لقد فقد أبو يزيد البسطامي نفسه واسمه وشخصيته حينما جاء بعض المريدين من تلاميذ ذي النون المصري ، يسألون عنه ، فتساءل هو الآخر

عن نفسه ، وقال : إنه يبحث هو الآخر عن أبي يزيد ، فلا يجده . ولو كان البسطامي رضى الله عنه من المؤلفين لأحال عن كتبه السابقة بما أحال به أبو طالب على قوت القلوب وفي هذا الكتاب شواهد كثيرة ، تدل على أن الصوفية كانوا يعيشون بعيدا عن شخصياتهم في مقام الفناء . وإذا كان سيد العارفين صلى الله عليه وسلم أنكر كل حال سبق أن اجتازه واستغفر الله تعالى منه فلا يستغرب من السالكين أن ينكروا شخصياتهم ، ويحيلوا إليها كما يحيل الإنسان على إنسان آخر ، لاسيما وقد شهد المؤرخون بأن المكي خلط في آخر عمره كما أسلفنا . أما القول بأن المراجع لم تذكر الكتاب ضمن مؤلفات المكي ، فلا يقوم حجة على الشك في نسبة الكتاب إلى مؤلفه إلا إذا أقننا الدلائل على أن «حاجي خليفة» ، مثلا اطلع على كل ما كتب في العلم قبل عصره وهو مالا يمكن بأي حال من الأحوال . وهناك آلاف الكتب لم تذكرها المراجع لمؤلفيها مع أنها ثابتة لهم دون شك ، ولكن المراجع ، كلما أجمعت على أن له مؤلفات في التوحيد وهل هذا الكتاب إلا من كتب التوحيد ؟ وعلى فرض أن الكتاب مجهول المؤلف ، فهل في ذلك ما يسقط الكتاب من ميدان العلم . ومن قائمة الكتب التي تبث الفائدة في الناس ، وتطلعهم على جديد من المعرفة ؟

إن كتاب علم القلوب يمثل مرحلة من مراحل حياة أبي طالب المكي حينما كان في بغداد ؛ وحينما جنى ثمرات مجاهداته ، وصار متحدثا بالآذواق وهو كتاب كما قلنا من قبل يتحدث في موضوعات جديدة ويفتح آفاقا جديدة ذكرنا بعضها ، ونضيف إليها أنه لحن من ألحان الأدب الصوفي الرفيع جدير بالبحث ، فكل النقول التي رواها المؤلف قطع أدبية رائعة ، ونغم من أنغام الروح يضاف كل على السكبان الإنساني رهبة وحباللكون كله .

عبد القادر أحمد عطا
المتخرج في كلية دار العلوم

فهارس الأعلام

أبو بكر النقاش : ٢٢ ، ٢٣ ، ٨٩

أبو بكر الوراق : ٢٣ ، ١٣٤ ،

أبو بكر الرقي : ١٦٠ ،

أبو بكر بن طاهر : ٩٧ ، ١١٠ ،

أبو بكر الخوارزمي : ١٥٤ ،

أبو بكر الشبلي : ٤٦ ، ٦٩ ، ٩٩ ،

١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٠ ،

١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ،

٢٢٢

أبو بكر الواسطي : ٦١ ، ١٣٢ ،

١٥٥ ، ١٧٤

أبو ثورين علي : ٨٣

أبو جعفر النيسابوري : ١٠٤ ، ٢٤١ ،

٢٤٣

أبو جهم : ٢٦

أبو الحسن العلوي الهمزاني : ١٩ ،

٨٥

أبو الحسن البوشنجي (انظر البوشنجي)

أبو الحسن الأطروش : ١٠٢

أ

آدم عليه السلام : ٢٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ،

١٠٣ ، ٢٩٤

الأنطاكي : ١٥٠ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ،

إبراهيم بن آدم : ٤٣ ، ٨٣ ،

إبراهيم بن أسباط : ٨٣

إبراهيم التيمي : ٢٣

إبراهيم بن رستم : ٢٤

إبراهيم الخليل (عليه السلام) : ٢٣

٣٢ ، ٦١ ، ١٩٥ ، ٢٥٦ ،

إبراهيم الخواص : ١٣٧ ،

إبراهيم بن شيبان : ١٥٩ ، ١٧٨ ،

إبليس : ١٠٣ ، ١٤٩ ، ١٦٩ ، ١٦٤ ،

١٩٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٦ ،

أبو أمامة : ١٧٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ،

٢٢٦

أبو رزين العقيلي : ١١٣ ، ٢٢٥ ،

أبو بكر الصديق : ١١٦ ، ١٣٤ ، ١٢٨ ،

١٥٥ ، ٢٠٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ،

أبو بكر بن يزداينار : ١٨٠ ،

الثوري (انظر : سفيان الثوري)

ج

جبريل (عليه السلام) : ٢٢ ،

جعفر بن سليمان : ٢٢٧ ،

جعفر الخلدی : ٢٠ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ١١٩٩٧ ،

١٢٢١ ، ١٢٢٢

جعفر بن محمد الصادق : ٨٠ ، ٨٧ ،

١٩٨ ، ٨١٠ ، ١٠٨ ، ١٢٤ ، ١٤٢ ،

١٨٠ ، ١٩٢ ، ٢٢٤ ، ٢٨٣ ،

جنيد بن محمد البغدادي (أبو القاسم)

٢٨ ، ٣٧ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٧٥ ، ٩٥ ، ٩٧ ،

١١١ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٤ ،

١٦١ ، ١٦٩ ، ١٩٢ ، ٢٤٥ ،

الجهمية : ١٤٨

ح

حاتم الطائي : ٢٢٠

الحارث بن أسد المحاسبي : ٨٣

حاتم الأصم : ٥٢ ، ٥٤ ، ٧١ ، ١٥٨ ،

٢١٣ ، ٢١٨

حذيفة بن اليمان : ٣٢ ، ٥٢

الحجاج بن غرافصة : ٢١٥

الحسن البصري : ٥٢ ، ٦٩ ، ٩٤ ، ١٣١ ،

١٣٤ ، ١٥٥ ، ١٩٢ ، ٢٢٧ ،

الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي

الله عنهما) : ٦٣ ، ٦٧ ، ٢١٩ ،

الحسين بن عبد الله : ٢٧٨

الحسن بن محمد القلانسي : ١٤٨ ، ٢٨٣ ،

الحسين بن الفضل : ٥٨ ، ١٧٨ ،

الحسين بن محمد الحشنامي : ٢٣٠

الحسين بن منصور الحلاج : ٣٤ ،

٧٣ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٤٣ ،

الحصري : ١٦٩

الحرورية : ١٤٨

حيان المجنون : ٢٨٦

خ

خارجة بن مصعب : ١٩

الخليل بن أحمد : ٢٣ ، ٢٤ ،

الخضر (عليه السلام) : ٤٦ ، ٥٣ ، ٧٢ ،

خير النساء : ٢٧٥

د

داود (عليه السلام) : ١٨ ، ٢١ ، ٣١ ،

٣٢ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٦ ، ١٥٢ ، ١٦٣ ،

١٧٩ ، ٢٢٨ ، ٢٤٤ ،

داود بن علي : ٨٣

ذ

ذو النون بن إبراهيم المصري : ٣٠ ،

٢١ ، ٣١ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٧٠ ، ٨٥ ، ٩٩ ،

١٠٦ ، ١١٠ ، ١٣٦ ، ١٦١ ، ٢٨١ ، ٢٣٢ ،

٢٣٣ ، ٢٦٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩

ر

الربيع بن أنس : ٢١

الربيع بن سليمان : ٢٢

رابعة العدوية : ٤٢ ، ٤٣ ، ١٢٨

رستم أحمد الثرواني : ٥

الرافضة : ١٤٨

ز

زيد بن ثابت : ٤٨

زين العابدين (علي بن الحسين بن

علي) : ٨٦ ، ٥

س

سعد بن معاذ : ٣١

السبكي . (تقي الدين) : ٣٦

سرى السقطي : ٢٨٧

سفيان بن عيينة : ٢٥ ، ٧٣١ ، ٢٦

سفيان الثوري : ١٩ ، ٢٣ ، ٥٥ ، ٦٦ ،

٧١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ٢٢٢ ،

٢٥٩ ، ٢٢٨

سفيان بن عبد الله الأزدي : ٥٢

سليمان الفارسي : ٢٩ ، ٣٢

سليمان بن داود (عليهما السلام)

٣٤ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٣٨ ، ١٤٢

سهل بن عبد الله التستري : ٥٠ ، ٥٩ ،

٦٢ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٤ ،

١١٧ ، ١٢٨ ، ١٤١ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،

١٧٨ ، ٢١٥ ، ٢٢١

ش

الشافعي (محمد بن إدريس . الإمام)

٢٢ ، ٢٥ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٧٢

الشبلي (أبو بكر) : ٤٦ ، ٤٩ ، ٩٩ ،

١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٠ ،

١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ،

١٣٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٣

شقيق البلخي : ١٦٣ ، ٢٧١

الشعبي (عامر) : ١٧٠ ، ٢٠٩

الشعراني (الشيخ عبد الوهاب) : ٥٤

شيبان الراعي : ٥١

ص

صالح بن الهيثم : ٢٤

صالح بن أحمد بن حنبل : ٥١

الصائبة : ١٤٦

ض

الضحاك بن مزاحم : ٤٦ ، ١٥٦ ،

ط

طاهر المقدسي : ٢٧٤

ع

عائشة (أم المؤمنين رضى الله عنها)

١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٧٠ ، ٢٠٣

عامر بن صالح : ٢٤٧

عبد الله بن أم مكتوم : ٢٦

عبد الله بن مسعود : ٤٤ ، ٥٠ ،

٧٣ ، ٨٦ ، ١٢٨ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٢٤

عبد الله بن المبارك : ٥١ ، ٥٥ ، ٥٨ ،

١٦٨ ، ٢٢٤

عبد الله بن عمر : ٧٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ،

٢٢٦

عبد الله الرازي الشعراني : ١٦٠

عبد الله بن عباس : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ،

٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٤٨ ، ٦٩ ، ٧٩ ، ٧٦ ، ١٥١

١٧٢ ، ٢٠١ ، ٢١٧ ، ٢٢٧

عبد الرحمن بن يحيى : ٨٢

عبد العزيز الدباغ : ٥٤

عبد الملك بن مروان

عبد الواحد بن زيد . ٥٢ ، ٨٢ ، ٢٢٩

عزيز : ١٤٧

عثمان بن عفان : ٢١٣

عثمان بن مظعون : ٢١٠

عجم بنت النفيس البغدادية : ٥٤

عصام بن طليق : ١٧٢

عليان المجنون : ٢٨٦

علي بن أبي طالب : ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٨ ،

٥٩ ، ٦٤ ، ٨٧ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٦ ،

١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٧٠ ،

١٨٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٧ ، ٢٦٠ ، ٢٨٣

علي الخواص : ٥٤

علي بن الجهم : ٢٢٥

العلوي (انظر أحمد بن القاسم

العلوي)

عمر بن الخطاب : ٢١ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٦٣ ،

٦٨ ، ١١٦ ، ١٣٤ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٩٥ ،

١٩٦ ، ٢٠٦ ، ٢٢٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٣٥٦

عمار بن ياسر : ٢٩

عمر بن عبد العزيز : ١٥٢ ، ٢٢٣

عمر بن محمد . ٥٠

عمر بن حفص . ٢٥

عمرو بن العاص : ٢١

عمر بن عبد الله القرشي : ٢٤٥

الكتاني : ١٧٤، ٥٥، ٤٢

كعب الأحبار : ٢١ ، ٤٠

ل

لقمان الحكيم : ٢٠، ٣٤، ٣٥، ٥٦

١٧٣

م

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

١٤، ١٩، ٢٢، ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢

٣٣، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٤٨

٥٠، ٥١، ٥٣، ٦١، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٦٩

٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٦، ٧٨، ٨١، ٨٣

٨٤، ٨٥، ٨٦، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٠١

١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١٩، ١٢٠، ١٢٧

١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٨، ١٤٨

١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦

١٥٧، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٠

١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧

١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٩

١٩٣، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٥

٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣

٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١

٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٢٩

٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠

٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦

٢٥٧ ، ٢٥٨

عيسى بن أحمد : ٢٤٧

عيسى عليه السلام : ٢٧، ٣٢، ٣٩

٤١، ٤٢، ٤٨، ٤٩، ٥٦، ٥٩، ١٥٠

١٧٩، ٢٠٦، ٢١٣، ٢١٦، ٣١٣، ٢١٦

عيسى بن محمد بن عيسى : ٢٣٠

عيسى بن آدم : ٢٣٠

ف

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه

وسلم : ١٨٠

فاطمة بنت قيس : ٢٥

غرفد السنجي : ٨٢

فرعوز : ١٠٣

فضيل بن عياض : ٢٨، ٥٦، ٥٩

٧٠، ١١٠، ٢٢٢

ق

القاسم

قارون : ١٠٣

القصار : ١٦٤

القرضي : ١٧، ١٩٧

القلانسي (انظر : الحسن بن محمد)

ك

كميل بن زياد : ١٧، ١٢٥

المكي (انظر : أبو طالب المكي)

موفق الزاهد : ٢٠٠

موسى عليه السلام : ٤٠ ، ٣٥ ، ٣٢

٤٦ ، ٧٢ ، ١٠٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٠

١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ٢٥٧

موسى بن عقبة : ٢٢٧

منصور بن عمار : ٤٢ ، ٤٣ ، ١٣٤

ميكائيل : ٥٢

ن

النابلسي (عبد الغني) ٣٠

النصاري : ١٤٦ ، ٦١١

النفري (محمد بن عبد الجبار) ٥٤

النوري (انظر : أبو الحسين

النوري)

النهر جوري : ١٢٧

هـ

هرون الرشيد : ٦١ ، ٦٢ ، ٢٢٥

هارون عليه السلام : ٣٢ ، ١٢٠

٢٥٧

الهيثم (أبو صالح) ٣٧ ، ٩٨

و

وهيب بن الورد : ٨٣

مالك بن دينار : ٧١ ، ٨٢ ، ١٣٥

١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢١٢ ، ٢١٩

مالك بن أنس : ٧١

مثيرعة : ٢٥

المجوس : ١٤٦

مجنون بن عامر (قيس بن الملوح) ٣٧

مجاهد : ٢٢٥

محمد بن واسع : ١٣٥ ، ٢٢٧

محي الدين بن عربي (الشيخ

الأكبر) : ٥٤ ، ٦١

المرجئة : ١٤٨

المشركون : ١٤٦

مسروق الطوسي (أبو العباس)

مسعر بن كدام : ١٩٨

مصطفى عبد الخالق الشبراوي

(سيدي الأستاذ الشيخ الأكبر) ٣

مطرف بن الشيخير : ١٨١

مظفر القرمسيتي : ١٣٤

معاوية بن أبي سفيان : ٢٦ ، ١٧٠

معاذ بن جبل : ٤٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٩٩

معروف الكرخي : ٥١ ، ١٣٣ ، ١٥٨

مقدار الكندي : ٢٩

يحيى الموصلى : ٢٧٢
يزيد. طيفور بن عيسى بن سور شان
٢٣٠

يزيد بن هارون : ٢٤٧
اليهود : ١٤٦ ، ١٦١
يعقوب (عليه السلام) : ٢٢٤
يوسف بن يعقوب عليه السلام :
٢٢٤ ، ٢٣٠
يوسف بن أسباط : ٢٢٧

وهب بن منبه : ٢١ ، ٣١ ، ١٦٧
الواسطى (انظر ابو بكر الواسطى)
ى

يحيى بن معاذ الرازى : ٣٥ ، ٣٦ ،
٤٩ ، ٩٠ ، ١٢٩ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥٩ ،
١٦٥ ، ١٨٨ ، ١٩٤ ، ٢٤٦ ، ٢٧١ ، ٢٨٤ ،
٢٨٩ ، ٢٨٥

يحيى بن أكرم : ١٩
يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان)
٢٠ ، ٢١ ، ٤٦ ، ٥٩ ، ١٣٢ ، ١٦٩

فهرس الموضوعات

الصحيفة

الموضوع

الإهداء	٣
التقديم	٥
١ - باب ماهية الحكمة وعظم قدرها ، ومن المستحق لبذل الحكمة وشرفها	١٤

تفسير قوله تعالى «يؤتى الحكمة من يشاء... الآية» -
 فضل الله المستثنى فيه الأنواع غير المستثنى فيها -
 تفسير قوله تعالى «فاذكروني أذكركم» - شرح
 معاني الحكمة - المعرفة بالقرآن من حيث
 الأحكام - النبوة - الفراسة - العقل -
 الخشية - فقه تفسير القرآن - العلم - الإصابة
 في الأقوال - الحديث النبوي - إصابة الأقوال
 والأعمال والإرادات - الحياء وحفظ الحرمة
 للنبي ، ورعاية حقوق الأهل والولد والجار -
 الورع - حفظ القرآن - فهم لطائف القرآن -
 معنى قوله تعالى «فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد...
 الآية» - سر اشتياق الجنة إلى علي وعمار وسلمان
 ومقداد - معنى قوله تعالى «اذكروني أذكركم»
 - نور القلب وظلمته - فضل الحكمة -
 أنواع المتكلمين بالعلم - بساتين قلب العارف -
 أنواع الدعوة النبوية - البكاءون والشهداء
 لا يبلغون منزلة الحكماء - غراس قلب المؤمن -
 حكمة منصور بن عمار - كلام الإمام الشافعي -

إبراهيم بن أدهم — خصال الحكيم — رأى ذى
النون المصرى فى سبب لذة الحكمة — رأى
الشبلى .

٢ — باب الفرق بين الحكمة والعلم ، والحكيم والعلم . ٤٦

إعطاء الحكمة ليحيى — إعطاء العلم للدنى للخضر —
إعطاء العلم المزيدي لمحمد صلى الله عليه وسلم —
إعطاء علم الأسماء والحروف لأدم — الربانى من
العلماء — تفسير قوله تعالى « ففهمناها سليمان .. »
الآية ، — تقسيم العلم والحكمة والفهم والفراسة ،
بين داود وسليمان ومحمد عليهم الصلاة والسلام —
تمييز الصحابة فى مراتب الفضل — فضل الحكيم
على العالم — من الفروق بين العالم والحكيم ،
والعارف — تفسير قوله تعالى « ولولا أن
ثبتناك .. الآية » — مقامات الناس فى الفضل —
العالم محتاج إلى الحكيم ولا عكس — الفرق بين
العلم والمعرفة — بين قاضى خراسان وحاتم
الأصم — مصادر العلم والحكمة — علم الباطن —
الظاهر والباطن لا يستغنى أحدهما عن الآخر —
مصادر علم الظاهر والباطن — حاتم الأصم والجلوس
للناس — أرفع علوم التصوف — حكمة لقمان
ومصادرهما — من الفرق بين العلم والمعرفة —
مقارنة أبى طالب بين علم الإيمان واليقين وعين
اليقين وحق اليقين وبين مراحل اللب — فضل
علم السر — قول ابن المبارك فى طلب العلم لله

ولغير الله — شرط جلوس العالم للفتوى —
تفسير قوله تعالى « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات » — قول الجنييد : العلم أرفع
من المعرفة — بين الرشيد والأوزاعي — تفسير
الواسطي لقوله تعالى « فاعلم أنه لا إله إلا الله » —
بين بهلول والرشيد — العالم غير الحكيم —
أنواع الناس في العلم والحكمة — من الفروق بين
العالم والحكيم — علم الباطن — من أخلاق
العلماء — أنواع العلماء — علامات علماء الإرشاد —
العبارة والإشارة ، والرمز واللطائف —

٣ — باب معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : طلب العلم

فريضة على كل مسلم ٨٠

تفسير قوله تعالى « وأما السائل فلا تنهر » — العلم
المراد طلبه هو علم الحال — رأى علماء الشام أنه
علم الإخلاص ومعرفة آفات النفوس — رأى
بعض البصريين ، أنه علم القلب — رأى بعض
السلف أنه مبادئ التوحيد وأصول الأمر
والنهي — رأى ابن المبارك وبعض علماء خراسان
أنه طلب الفتيا فيما يعرض للناس من مسائل —
رأى أبي ثور وداود والمحاسبي ومن تبعهم أنه علم
الشبهات والمشكلات — رأى أبي طالب المكي
أنه علم الفرائض الخمس — أقوال في العالم
والعارف

٤ — باب بيان التوحيد والتفريد على لسان أهل الإشارة من

العارف والمريد ٨٧

تفسير قوله تعالى « وإلهكم إله واحد » — تفسير
قوله تعالى « وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم
ذريتهم . . . الآية » وتفصيل الكلام في أخذ
الميثاق — تفسير قوله تعالى « إن الله يرى من
المشركين ورسوله » — تفسير قوله تعالى « الر .
كتاب أحكمت آياته ثم فصلت . . . الآية »
وتفصيل القول في التوحيد المحكم ، والتوحيد
المتشابه — تفسير قوله تعالى « ومن كل شيء خلقنا
زوجين » — تفسير قوله تعالى « فقرؤا إلى الله » —
أقوال في صفة الموحدين — تفصيل القول في
التوحيد والتفريد والتجريد —

٥ — باب وصف العارفين ، الذين وصفهم المعروف ، بالصفاء

واليقين ١١٨

تفسير قوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا
ليعبدون » — تفسير قوله تعالى « الله الصمد » —
أنواع الشرك — تفسير قوله تعالى « الرحمن على
العرش استوى » — تفسير قوله تعالى « ولا يحيطون
بشيء من علمه إلا بما شاء » تفسير قوله تعالى « وما
قدروا الله حق قدره » — تفسير قوله تعالى « ليس
كمثل شيء وهو السميع البصير » — أقوال في
علامات العارف —

الصفحة

الموضوع

٦ — باب صفة الإخلاص وطبقات المخلصين بالقلب . . . ١٤٤

قيمة الإخلاص — وجوه الإخلاص خمسة —
الفرق بين إخلاص العبودية ، وإخلاص المهمة ،
وإخلاص التوحيد

٧ — باب حكم النية في الأعمال ، ودقائق العلل ، وغوامض الآفات ١٧٥

ماهية النية وأقوال الحكماء فيها — آيات ثلاث ،
وثلاثة أحاديث توضح ما يحتاج العمل إليه من
تصحيح الإخلاص — أقوال العلماء في دقائق
النيات والعلل

٨ — باب تصريف العقائد والأعمال ، وتحصيل نيات كثيرة في محل واحد ١٩٨

تفسير قوله تعالى « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا . . . الآية »

٩ — باب نية الاختلاف في المساجد ٢٠٠

الأولى — الثانية — الثالثة — الرابعة —
الخامسة — السادسة — السابعة — الثامنة

١٠ — باب النية في جلوس العبد في المساجد والتعود فيها . . . ٢٠٨

فضل التعود في المساجد — النيات المستحبة في
الجلوس في المساجد — الأولى — الثانية —
الثالثة — الرابعة — الخامسة — السادسة —
السابعة — الثامنة — التاسعة — العاشرة —
الحادية عشرة — الثانية عشرة

١١ — النية في التجوع لله ٢١٤

النيات المستحبة في الجوع — الأولى — الثانية —
الثالثة — الرابعة — الخامسة — السادسة —
السابعة

١٢ — النية في زيارة الإخوان ٢٢٠

آفات النية في زيارة الإخوان — خمس آفات في
هذا الباب — النيات المستحبة في زيارة الإخوان —
الأولى — الثانية — الثالثة — الرابعة —
الخامسة — السادسة — السابعة

أقوال مروية عن أبي يزيد البسطامي في دقائق
المعرفة والتوحيد

١٣ — النية في الصوم ٢٤٧

١٤ — النية في تأديب الأولاد ٢٤٧

١٥ — صفة علامة المؤمن ، وصفة وصف النحل في الطيران ٢٤٨

طرق المؤمنين — اثنا عشر مثلاً من الحديث
الشريف لطوائف المؤمنين — من أقوال العارفين
في المؤمنين

١٦ — ذكر تفضيل الخصال المجتمعات في النحلة الموجود مثلها

وشبهها في المؤمن ٢٦٠

أربعون وصفاً في المؤمن والنحلة

١٧ — أقوال في المحبة ٢٧٠

١٨ — أقوال متفرقة ٢٧٤

مقام الخطرات ومقام الوطنيات — التوحيد

واليقين — في موت خير النساء — من خواص
عباد الله — التوحيد والبشرية — التوحيد في
المعرفة — مراتب المعرفة — الظاهر والباطن
ورجحان أحدهما على الآخر — رأى الشبلي في
العارف — بين أبي عثمان الزاهد وبهلول وعليان
وحيان — من دقائق السلوك .

- | | | | | | | | |
|-----|---|---|---|---|---|---|---------------------|
| ٢٩١ | . | . | . | . | . | . | ١٩ — الكتاب ومؤلفه |
| ٢٩٥ | . | . | . | . | . | . | ٢٠ — فهرس الأعلام |
| ٣٠٥ | . | . | . | . | . | . | ٢١ — فهرس الموضوعات |

